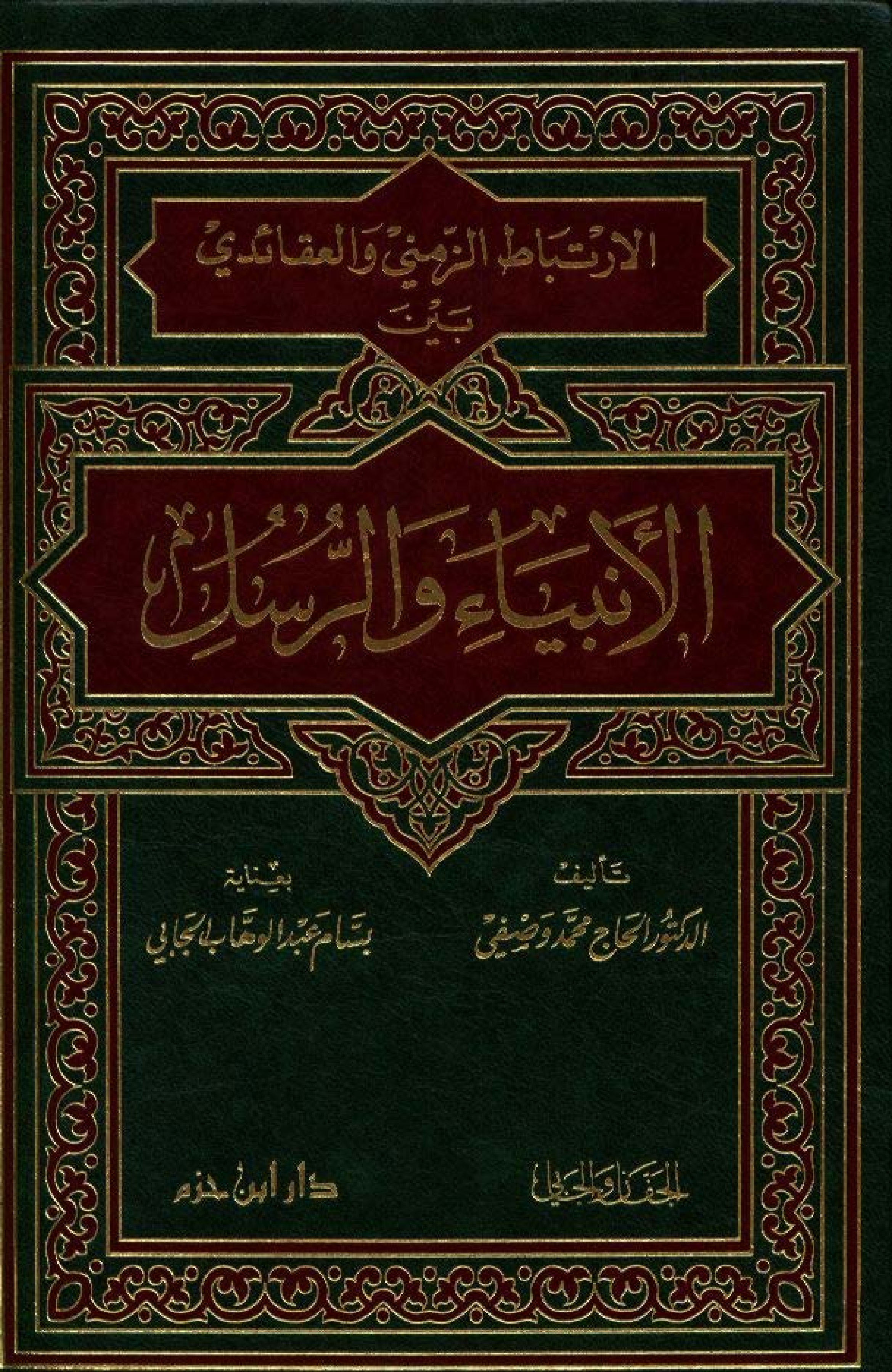

الارتباط الزمني والعقائدي
بين
الأنبياء والرسل
تأليف
الدكتور الحاج محمد وصفي
بعناية
بسام عبد الوهاب الجابي
الجفان والجابي
دار ابن حزم

الارتباط الزمني والعقائدي

بين

الأنبياء والرسل

تأليف

الدكتور الحاج محمد وصفي

بعناية

بسام عبد الوهاب الجابي



دار ابن حزم



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ/١٩٩٧م



AL JAFFAN & AL-JABI
Printers - Publishers

عنوان المراسلة :
Correspondence - Address :
JAFFAN TRADERS P.O.Box : 4170 Limassol - Cyprus
Telex : 4963 JAFFAN Cy. Fax : 357 - 5 - 341160, Phone : (05) 375345

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون : ٧٠١٩٧٤

مقدمة الناشر

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ترجمة المؤلف:

ولد الدكتور الطبيب الحاج محمد وصفي ابن المهندس محمد بك وصفي في ٢٩ نوفمبر/ تشرين الآخر ١٩٠٨م؛ وتوفي يوم الأحد الواقع في ٣٠ مارس/ آذار ١٩٦٩م في القاهرة.

أمضى حياته العلمية في مثابرة وإصرار وانكباب على البحث والكشف عن القيم الحقيقية للدين الإسلامي، بل تميّزت أبحاثه إما بإضافة جديدة أو إبراز معنى. واهتمّ بكلّ ما له علاقة بالمجتمع والأسرة، وخاصة من الزاوية الطبية، وعلاقة الطب بأحكام الإسلام.

شغل في حياته عدة مناصب، منها:

- مدرّس بكلية الطب البشري عقب تخرجه منها.
- مدير لمعمل (مختبر، مخبر) مستشفى الجلاء للأطفال.
- مدير الشؤون الدينية بالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي.
- عضو لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- أسس جمعية أنصار الحج.
- ساهم في سبيل إنشاء جماعة أدباء العروبة.

مؤلفاته:

- «الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل» طبع عام ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.
- «الإسلام والطب» طبعه أولاً تحت هذا الاسم عام ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م، ثم زاد عليه أربع مباحث، وبدل اسمه إلى «القرآن والطب» وطبعه عام ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.
- «الرجل والمرأة في الإسلام» طبع عام ١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م.
- «المسيح والتثليث» طبع عام ١٣٥٥هـ = ١٩٣٧م.

وهذه الكتب الأربعة يعاد طبعها لدى الجفان والجابي للطباعة والنشر، ليماسول، قبرص.

وله كتب أخرى أشار إليها، ولم أطّلع عليها، ولم أعثر على أي إشارة تفيد أنها مطبوعة:

- «الاشتراكية الإسلامية».

- «البخاري في الميزان».
- «تفسير للقرآن الكريم».
- «حياة الإنسان».
- «الفصل في الناسخ والمنسوخ».
- «القرآن والصيام».
- «القرآن وعلما المينورولوجيا والجغرافية الطبيعية».
- «القرآن ونشأة الكون وفناؤه».
- «لا إلغاء في أحكام الشريعة».

بالإضافة لمجموعة كبيرة من المقالات مبثوثة في مختلف المجلات والصحف.

هذا الكتاب:

موضوع هذا الكتاب موضوع بِكْرٌ، لم يتطرق إليه قبل الدكتور محمد وصفي رحمه الله أحد من المؤلِّفين، وهو محاولة تعيين زمن إرسال أشهر الرسل والأنبياء مع استنباط أهم أركان رسالاتهم وذلك بالرجوع بشكلٍ رئيسيٍّ إلى القرآن الكريم؛ ثم ذكر ما نقله علماء الإسلام من معلومات، مع محاولةِ المقارنة والاستئناس بما عند أهل الكتاب من أخبار وكذلك بما توصلت إليه الأبحاث العلمية.

لقد أوْضحَ أَنَّ الله أرسل الأنبياء والرسل على توالي القرون والعصور يبيّنون للناس سُبُلَ الرشاد، ويمدُّونهم بالتعاليم التي تقوي عزيمتهم، ويزودونهم بالأفكار الصالحة التي يستطيعون أن يهتدوا بهديها، والتي تساعدهم على التمييز بين الظلام والنور، وبين الهدى والضلال، وبين الطريق المستقيم والطريق المعوج الذي يؤدي إلى الهلاك والفشل والدمار.

ثم بيّنَ أن جميع النبيّين بعثهم الله بعقيدة الإسلام، التي كانت تتلاءم مع البشرية والإنسانيّة على ممرّ القرون والعصور مع اختلاف البيئات، بالرغم من تقلّبات الزمان وتغير عقليات الناس قرناً بعد قرنٍ وجيلاً بعد جيلٍ.

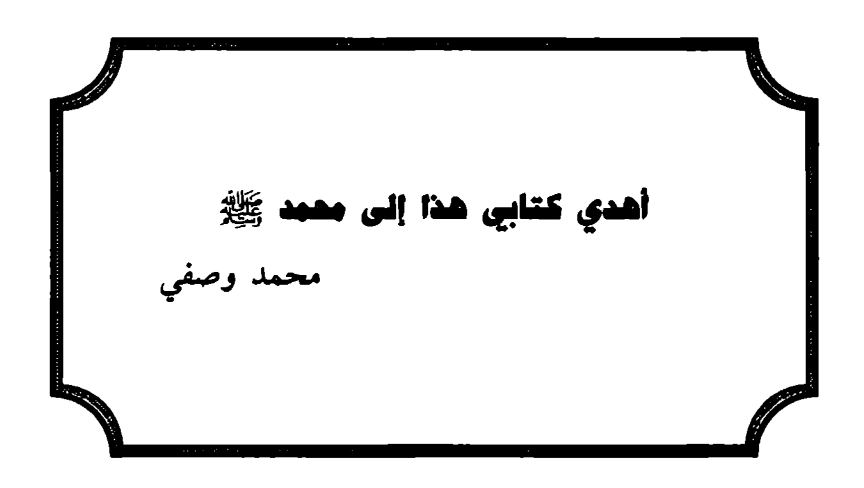
هذه الطبعة:

اعتمدْتُ كأصلٍ لهذه الطبعة الطبعةَ الأولى التي صدرت عام ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م عن لجنة التعريف بالإسلام التابعة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة؛ فزدْتُها ضَبْطاً وتفصيلاً، وسَعَيْتُ أنْ أوصِلَ الكتابَ بصورَةٍ مُشْرِقَةٍ ومُيَسَّرَةٍ للقارىء.

وفي الختام أرجو الله سبحانه وتعالى أن ييسِّرَنا للخير ويستعملنا صالحاً، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولكل من له حق أو فضل علينا؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق في ٢١/٧/١٩٩٦م

بسّام عبد الوهّاب الجابي



أهدي كتابي هذا إلى محمد ﷺ

محمد وصفي



مقدمة

أعلن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عن مسابقة كبرى لتأليف كتب في مواضيع دينية معينة، تتناول كثيراً من النواحي التي تهمّ المسلمين، وتسدّ فراغاً في المكتبة الإسلامية، وكان ضمن هذه الموضوعات موضوع: «الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل».

ولما كان هذا الموضوع لم يتقدّم بالكتابة فيه أحد من المتسابقين، ولم يطرقْهُ باحِثٌ مِنْ قبل، رأيتُ أن أقدِّمَ فيه هذه الرسالة لعلها توفي بالمقصد النبيل الذي هدف إليه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وهو خدمة الإسلام والمسلمين.

ولما كان هذا الموضوع يتعلّقُ بالله، وأنبيائه، ورسله، وكتبه، وعقائد الدين الحنيف، رأيت أنْ أكونَ حريصاً كلَّ الحرص على اجتناب كل ما يحيدُ عن القَوْلِ الحق الذي جاء في كتاب الله، وأن أعرض عن ذكر أي اختلاف في تأويل عقيدة من العقائد الإسلامية التي جاء بها الأنبياء والرسل، ولهذا عكفتُ على القرآن الكريم، وجعلتُهُ المرجع الأساسي الذي أؤلِّف منه هذا الكتاب، أَسْبُرُ غورَهُ، وأحاوِلُ الغوصَ للبحث عن ما يتعلّقُ بالبحث الذي عزمْتُ على التأليف فيه.

وإنّ الإخلاص في محاولة إظهار الارتباط العقائدي بين الأنبياء

والرسل، جعلني لا أحيد عن كتاب الله، وأن أعمل جاهداً في البحث عن الآيات الكريمة التي تتعلقَ بكلّ رسولٍ من الرسل أو نبي من الأنبياء، وأنْ أحاول استخلاص العقائد من الرسالات نفسها التي جاء ذكرها في القرآن، ورأيتُ قبل أن أذكر العقائد التي جاء بها رسول من الرسل أو نبي من الأنبياء، أن أبيِّن الأخبار التي ذكرها اللّهُ عنه، وأن أقْصُرَ البحثَ على ذلك، حتى لا يزلّ القلم، أو ينحرف الفكر إلى مصادر أخرى لا يُؤمَن جانبها، خاصَّةً فيما يتعلَّق بالعقائد التي تتصل بدين الله.

وحتى يكون الكتاب مرجعاً من المراجع، حرصت على ذكر الآيات القرآنية التي يتناولها البحث، حتى أُعِينَ القارىء على تتبّع موضوع الكتاب بدون الحاجة إلى تحمّل مشقّة البحث عن الآيات في المصحف، فهذا الأمر أعلم عِلماً أكيداً مقدار صعوبته، وعدم تيسُّره لمن ليس عنده إلمام تام بجميع آيات الذكر الحكيم.

ورأيتُ في بحث الارتباط العقائدي بين الأنبياء والرسل، أن أُراعي على قدر الاستطاعة، الترتيب الزمني بينهم حتى أصل بالنهاية إلى الكتابة عن خاتم النبيين، فأختم به البحث، وأبيِّن كيف أنه برسالته قد كمل الدين، وتبيَّنتِ العقائدُ الإسلامية بياناً أكثر وضوحاً وأشدّ جلاءً.

أمّا فيما يختصّ بالارتباط الزمني، فقد رأيتُ أن أبْدَأَ عند كلّ مبحث بذكر أقوال المؤرّخين المسلمين في نسب النبي الذي يتناوله البحث وزمنه، ثم أعرّج بعد ذلك على أقوال المؤرّخين من غير المسلمين، وأحاول أن أوفِّق بين أقوال هؤلاء وهؤلاء، على أن أؤيِّدَ الرأي الذي أرجحه، وأن أذكر رأيي في ذلك مبيّناً الأدلّة التي بَنَيْتُ عليها هذا الرأي.

وسيلاحظ القارىء أني قد أخالفُ ما يظن أن الإجماع من المؤرخين انْعَقَدَ عليه، ولا أفْعَلُ هذا إلا سعياً لكشف الحقائق، وحرصاً على اجتناب التناقض الذي أحرصُ على أن لا أقع فيه.

ولقد رأيتُ ـ تسهيلاً على القارىء ـ أن أبيِّنَ له ما قد يغمضُ عليه، بعمل جداول خاصة متفرّقة ومتجمّعة تبسط الرأي الذي قد أذهب إليه، واللّهَ أسألَ أنْ يكون هذا الكتاب نافعاً للمسلمين، وأن يروا فيه مادة مفيدة، ومرجعاً يُرجع إليه.

دكتور محمد وصفي

المبحث الأول
آدم والعقائد المستخلصة من قصته

آدم هو أول مخلوق إنساني خلقه الله، وهو أول الجنس البشري، ومنه ومِنْ زَوْجِهِ خلق اللّهُ بَنيه الذين عمَّرُوا الأرض من بعده، وهو أول اسم ذكَرَهُ الله فيمَنِ اصطفاهم على العالمين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان: ٣٣ و ٣٤]. وَهُوَ «خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره»[١].

ولا شك أنَّ العقائد الصحيحة التي شاء الله أن نؤمن بها، قد بَيَّنها الله في القرآن الكريم، ولذلك نرىٰ لزاماً علينا أن نبدأ بما ذكره الله فيما يتعلَّق بخلق آدم وقصته، وأنْ نذكُرَ الآيات الكريمة الخاصة بذلك، ثم نحاول بعد ذلك أنْ نستَخْلِصَ منها ما نستطيع أن نبيِّنَه مما يجب أن يؤمن به كلّ مسلم، وأن يلم به كل من أراد أن يعرف شيئاً من أسرار الغيب، التي مَنَّ اللّهُ علينا بكشفها وإظهارها، حتى لا نضلَّ الطريق إلى معرفة أصلنا وتاريخنا الأوّل، ومعرفة ما يحيط بنا من عوالم نعيش بينها، ومعرفة مصيرنا، وما يجب علينا من الإيمان بوجود الخالق المبْدِع، وغير ذلك مما يمكن استخراجه من بين ثنايا كلمات الله وآياته البينات.

---

(١) «تفسير القرطبي» ١/ ٢٦٣.

١ ـ آدم وقصته في كتاب الله:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾
[٢ سورة البقرة/ الآيات: ٣٠ ـ ٣٩].

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ١١ ـ ٢٥].

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآيات: ٢٦ ـ ٤٢].

وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ

ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآيات: ٦١ ـ ٦٥].

وقــال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [١٨ سورة الكهف/ الآية: ٥٠].

وقـال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ١١٥ ـ ١٢٦].

وقـــال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ

مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيات: ٧١ ـ ٨٥].

وقال جَلَّ شأنه في إبليس لعنه الله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآيات: ١١٨ ـ ١٢١].

٢ ـ آدم نبي مرسل:

ومن المعتقد أنّ آدم كان أوّلَ نبي، وقد رُوِي عن أبي أُمَامَة، أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! أنبياً كان آدم؟ قال: «نعَم، مُكلّم»(١).

وفي حديث أبي ذَرٍّ، قال: قلت: يا رسول الله أنبياً كان مُرْسلاً؟ قال: «نَعَم».

قال القرطُبيُّ: كانَ رسولاً إلى وَلَدِه، وكانوا أربعين ولداً في عشرين بطناً، في كل بطن ذكر وأنثى، وتوالدوا حتى كثروا، كما قال الله تعالى: ﴿..خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١](٢).

---

(١) «البداية والنهاية» ١/ ١٠١.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ٢٦٢ و٢٦٤.

وذكر مثل هذا في «دائرة المعارف الإسلامية» وهو أن آدم أول الأنبياء الذين أوحىٰ الله إليهم كُتباً[1].

وروي عن أبي ذر، في رواية ابن سَعْدٍ بسندِه، قال: قلت للنبيّ عليه السلام: أيُّ الأنبياء أوّل؟ قال: «آدم»، قلتُ: أو نبياً كانَ؟ قال: «نعم، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ».

وفي روايةٍ أُخْرَىٰ، عن جعفر بن ربيعة، وزياد مولى مصعب؛ قال: سألتُ رسولَ اللّهِ عن آدَمَ، أَنبِيّاً كانَ أو مَلكاً؟، قال: «بَلْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ»[2].

وقال ابن قُتَيْبَة: إنَّهُ أُنْزِلَ علىٰ آدَمَ تَحْرِيمُ المَيْتَةِ والدَّمِ وَلَحْمِ الخِنْزِيرِ، وحُروفُ المُعْجَم في إحدى وعشرين وَرَقة، وهو أوَّلُ كِتابٍ كان في الدنيا حَدّ اللّهُ عليه الألْسِنَةَ[3]؛ مما يستفادُ منه أنَّ آدمَ كان رسولاً.

وروى أحمدُ والطَّيالِسيُّ كذلك في «مسندَيْهِما» أنَّ آدمَ كان نَبِيّاً[4].

٣ ـ العقائد المستخلصة من قصة آدم:

١ ـ عقيدة التوحيد:

وبدراسة الآيات الكريمة التي تناولت قصة آدم، يتبيَّنُ لنا أنَّهُ ليس هنالك من خالق غير الله، فالله هو الذي خلق السماوات والأرض،

---

(١) «دائرة المعارف الإسلامية» ١/ ٥٥٤.

(٢) «الطبقات الكبرى» ١/ ٣٢ و٣٤.

(٣) «المعارف» ص ٩.

(٤) «مسند أحمد» ٥/ ١٧٨ و١٧٩ و٢٦٥، و«مسند الطيالسي» ح: ٤٧٩.

وخلق الملائكة والجن والإنس، فلا يجوز بذلك أن يعبد من دونه شيء في السماوات أو في الأرض، فباطلةٌ عبادةُ أجرام السماء، أو ما يتَّخذ في الأرض من أصنام أو أوثان أو تماثيل، وباطلةٌ كذلك عبادة الملائكة، أو الجن، أو أحدٍ من البشر.

لقد أقرَّتِ الملائكة بوحدانية الله، فقالوا: ﴿..وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية ٣٠] أي: دون سواك، واعترفوا أنهم لا يعلمون شيئاً غير الذي مَنَّ الله عليهم به من العلم: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٢] وتبيِّن القصة أن الملائكة تسارع إلى طاعة ربها دون توقّف أو تردّد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٤] وتذكُرُ لنا القصة أنَّ الله هو خالق الجن: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧)﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآية: ٢٧] وبينت اعتراف إبليس بخلق الله له، قال: ﴿..خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٢].

وبينت القصة كذلك أنَّ اللّهَ هو الذي خَلَق الإنسان وصوَّرَه، قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١١] وخَلَقَ فيه الروحَ الإنسانية: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيتان: ٧١ و ٧٢]، ويعني هذا أن الله خلق هذه المخلوقات كلّها بقُدْرَتِهِ بعد العَدَمِ، وأنشأها إنشاء بعد أن لم تكن شيئاً.

وذكر اللّهُ في الآيات الكريمة بعض صفاتِه، كالعلم، فو يعلم ﴿غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ويعلم السر والعلانية، وهو قوله للملائكة:

﴿.. أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٣] ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٢] أي: حكيم في أفعاله، وهو: ﴿.. ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٧] وهو الخالق البارىء المصور: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآيات: ٢٦ ـ ٢٩].

وهو سميع بصير، وجاء في القصة أنّه كلّم الملائكة وآدم وزوجَه وإبليس[1]، وأنه منتقِمٌ من العاصين، إذ قال لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٨٥].

---

(١) نعتقد أنّ الله كلّم الجميع من وراء حجاب، لقوله تعالىٰ: **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾** [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ٥١] والظاهر في القصة أنّ مقامَ الكلام كان واحداً، فلم تدركْهُ أبصارُ المخاطبين كذلك، وهذا يخالِفُ ما جاء في كتاب اليهودِ ممّا يفهم منه ما توهّموه من تجسُّدِ الله، فقد قالوا: إنّ آدم وامرأتَه: سمعا صوت الربِّ الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأتُهُ من وجْهِ الرب الإله في وسط شَجَرِ الجنّة، فنادىٰ الربُّ الإله آدمَ، وقال له: أينَ أنت؟ فقال: سمعتُ صوتَكَ في الجنة فخشيتُ، لأنّي عريان، فاختبأتُ (تكوين ٣: ٨ ـ ١٠) فالشيءُ والصوت الذي يصدرُ عن المشي يلزم منه أن يكون الماشي مجسَّداً، واللّهُ تعالى منزّهٌ عن التجسُّدِ في العقائد الإسلامية، وهو قوله جلّ شأنه: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾** [٦ سورة الأنعام/ الآية: ١٠٣].

٢ - الإيمان بوجود الملائكة والجن:

ومن العقائد الإسلامية أن الله خلق ملائكة: ﴿..لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦٦ سورة التحريم/ الآية: ٦] مما هو ظاهِرٌ في قصَّةِ آدم. وأنَّ اللّهَ خلق جانّاً، خلقهم من نار السموم، وأن إبليس خلقه الله، وأنه بمعصيته وعدم امتثاله لأمر رَبّه صار كافراً وعدوّاً لآدم وزَوْجِه وأبنائهما[1]، وأنّ له صوتاً ووسوسةً وقدرةً على إغراء جميع بني آدم ما عدا المخْلَصين من عباد الله، فإنّ هؤلاء ليس له عليهم سلطان، لأنّهم متمسّكون بتعاليم الله، ولأنّهُم باتّباعهم شريعة الله أصبحت لهم إرادة قوية لا يستطيع الشيطان أنْ يتغلّب عليها، فإنَّ كَيْدَهُ ضعيفٌ أمامهم، وحجَّتُه حيالهم داحضة واهية لا سَنَدَ لها من العَقْلِ والحَقّ.

---

(١) تَعْتَقِدُ اليهودُ أنّ الحيّة هي التي خدعت آدم وامرأته، لا إبليس، وجاء كلامهم بحيث لا يمكن أن يؤوّل بغير ذلك، فقد ذكَرت أنّ الحيَّةَ عاقبها الله بأنْ أفقَدَها الأرجل على زعم أنها كانت تمشي على أرجل، وعاقبها بأنْ حَكَم عليها بأن تتغَذّىٰ على التربة الأرضية، هذا مع العِلْم بأنّ الحيّات والثعابين لا تعيشُ على التراب، وإنّما تعيش على ما تأكله من الحيوانات الصغيرة كالأسماك والضفادع والحمام الصغير والبيض والفئران وما شابهها، حسب نوْعِها، ونصُّ حديثِهِم هو ما يلي: (فقال - أي الله -: من أَعْلَمَكَ - أي يا آدم - أنك عريان؟ هل أكلتَ من الشجرة التي أَوْصَيْتُكَ أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتَها معي هي أعطتني فأكلتُ. فقال الربُّ الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلتِ؟ فقالت المرأة: الحيّةُ غرّتني، فأكلتُ. فقال الربُّ الإله للحَيَّة: لأنّكِ فعلتِ هذا معلونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطْنِكِ تسْعين، وتراباً تأكلين كلَّ أيّام حياتك، وأضَعُ عداوةً بينك وبين المرأة وبين نسْلك ونسلها، وهو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه) (تكوين ٣: ١١ - ١٥).
وقد وصفتِ اليهودُ الحيّةَ وصفاً لا يمكن حمله على المجاز، قالت: (وكانَتِ الحيّةُ أحيل جميع حيوانات البرية، فقالت للمرأة: أحقاً قال اللّهُ لا تأكلان من كل شجر الجنة....) (تكوين ٣: ١).

٣ ـ خَلْقُ الإنسان من طين:

ونعتقد أن خَلْقَ الإنسان من طين يندرج تحت باب العقائد[1]، وقد أثبت العلمُ الحديثُ هذه الحقيقة، فقد وجد أنَّ الجسم الإنساني يتكوّن من سلالةٍ خاصّة من عناصر القشرة الأرضية بنسب خاصة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآية: ٢٨] والمعروفُ أنَّ لفظ الصلصال يشير إلى أجزاء التربة الخصبة الغنية بالعناصر التي ينْمُو فيها النبات نموّاً طيّباً، وغنية بالعناصر الستة عشر التي اختيرتْ من الستة وتسعين عنصراً المعروفة اليوم، ونرى أنَّ نبيِّنَ جدولاً يقرب فيه هذا المعنى، مذكورة فيه العناصر التي يتكرّر وجودها في تركيب التربة الزراعية، وفي جميع النباتات والحيوانات، مرتبة بنسبة وجودها في كلٍّ من التربة الزراعية، وفي جسم الإنسان.

جسم الإنسان		التربة الزراعية	
الأكسجين	٦٣,٠٢٪	الأكسجين	٤٦,٦٨٪
الكربون	٢٠,٢٠٪	السليكون	٢٧,٦٠٪
الهيدروجين	٩,٩٠٪	الألومنيوم	٨,٠٥٪
النيتروجين	٢,٥٠٪	الحديد	٥,٠٣٪
الكالسيوم	٢,٤٥٪	الكالسيوم	٣,٦٣٪
الفسفور	١,٠١٪	الصوديوم	٢,٧٢٪
الكلور	٠,١٦٪	البوتاسيوم	٢,٥٦٪
الفلور	٠,١٤٪	المغنسيوم	٢,٠٧٪

(١) وجاء في كتاب اليهود: (وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية) (تكوين: ٢: ٧)، وقَدْ أيّدَ القرآن الكريمُ القولَ بأنّ آدم خُلِقَ من تراب، أما نفخ الروح من الأنف، فهو عقيدة يهودية.

تابع جسم الإنسان		التربة الزراعية	
الكبريت	٠,١٤٪	الفسفور	٠,١٥٪
البوتاسيوم	٠,١١٪	الكربون	٠,١٥٪
الصوديوم	٠,١٠٪	الهيدروجين	٠,١١٪
المغنسيوم	٠,٠٧٪	المنغنيز	٠,١٠٪
الحديد	٠,٠١٪	الكبريت	٠,٠٩٪
اليود	آثار	الكلور	٠,٠٩٪
السليكون	آثار	النيتروجين	آثار
المنغنيز	آثار	اليود	آثار

٤ ـ خلق زوج آدم:

وتوحي القصّة أنّ اللّهَ خلق زَوْج آدم من نَفْسِ العناصر والمكوّنات التي خلق منها آدم، لقوله جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ...﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٨٩] وقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآية: ٦].

وهذا المعنى يخْتَلِفُ اختلافاً كلّيّاً عن ما يعتقده اليهودُ والنصارى وغيرهم ممّن لفّ لفّهم، من أنّ زوجَ آدم قد خُلِقَتْ من أحَدِ أضلاعه المكوّنة لقفصه الصدري، فقد جاء في العهد القديم ما نصه: (فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم) (تكوين ٢: ٢١، ٢٢) وقد أخذ بعض المسلمين بهذه العقيدة،

بسلامة نِيّة من غير دراسة أو تفكير[١] وعلّل القائلون بهذه العقيدة بأنّ الذَّكَرَ ينقصُ ضلعاً عن الأنثى، مع أنّ الثابت في علم التشريح أنّ القَفَصَ الصَّدْرِيّ يتكوّن من ٢٤ ضلعاً، منها اثنا عشر ضلعاً في الجهة اليمنى واثنا عشر ضلعاً في الجهة اليسرى، ولا يختلف هذا التركيب في الجنسين[٢].

فالصحيح ما قدّمنا، وهو أنّ زَوْجَ آدم خُلِقَتْ من نَفْسِ العناصر التي خُلِقَ منها آدم، وأنّ نفسَها نفسٌ إنسانية، فهي من الجنس البشري وليست من جنس الملائكة أو الجن أو الحيوانات، فاللّهُ خَلَق زَوْجَ آدم من نفس نوع آدم، كما خلق لنا من أنفسنا أزواجاً، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ..﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ٧٢]

---

(١) عرض الطبري، أقوالاً لمجاهد وقَتَادَة والسُّدِّي يذكر فيها مِثل ما قالته اليهود، وروى بسنده كذلك عن ابن إسحاق قال: ألقىٰ اللّهُ على آدم السِّنَة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن العباس و غيره، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شِقِّه الأيسر، ولأم مكانه، وآدم نائم لم يهب من نومته، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء، فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كشفت عنه السِّنَة وهبَّ من نومَتِه رآها إلى جنبه، فقال فيما يزعمون والله أعلم: لحمي ودمي وزوجتي، فسكن إليها. «جامع البيان» جـ ٤/ص ١٥٠. وممن تأثّر بهذه العقيدة اليهودية السيد محمد صديق حسن خان بهادُر، ملك مملكة بهوبال، قال: وكان خلق حواء من ضلعه الأيسر، فجهة اليمين أضلاعه ثماني عشرة، وجهة اليسار أضلاعه سبع عشرة. «حسن الأسوة» ص ٥. وذكر هذا الرأي في «روح المعاني» جـ ١/ ص ١٩٦.

(٢) ومما يجدُرُ ذكرُهُ أنّ الله تعالى لم يخلق هذا العدد من الضلوع عبثاً، فكُلُّ ضلع منها لازم للقفص الصدري، وليس عنه غناء، حتى الضلع الثاني عشر (الأيمن والأيسر) فهو على قصره له خطره في بناء الصدر، لأنه موضع اتصال لعدد كبيرة من العضلات والأربطة الأساسية في بناء الجسم، وشأنه شأن باقي الأعضاء، وأنه لَمِنْ نِعَمِ اللّه أنْ جعل هذا الضلع قصيراً لأسباب حيوية هامة ليس هنا مقام تفصيلها.

وقـــولـــه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [٣٠ سورة الروم/ الآية ٢١] وليس معنى هذا أنّ الله خلق من ضلوعنا أزواجاً.

ومثل ما تقدّم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ..﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ٢٨] أي: من الجنس البشري من بني آدم، وليس من جنس الملائكة، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٩٥].

أمّا الحديث الذي جاء فيه: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَأَنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضلع أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمَهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»[1]، إنْ صَحّ[2] فإنّما يدلّ على معنىً مجازي، وهو أنّ المرأةَ قد خُلِقَتْ أنثى، لها صفاتها الخَلْقِية والعقلية والنفسية الخاصة بأنوثتها، والتي قد يعتبرها البعض

---

(١) البخاري الحديث ٣١١٦ ك ٦٠ ب ١، وقال الكرماني: أو بيان أنها لا تقبل الإقامة، لأنّ الأصل في التقويم هو أعلى الضلع لا أسفله، وهو غايةٌ في الاعوجاج، وقال البيضاوي: أي أوصيكم بهنّ خَيْراً، فاقبلوا وصيتي فيهن، لأنّه خلقن خلقاً فيه اعوجاج، كأنهن خلقن من أَصْلٍ معوجّ كالضلع مثلاً، فلا يتهيّأ الانتفاع بهن إلا بالصبر على اعوجاجهن. «البخاري بشرح الكرماني»، ١٣/ ٢٢٨ وقال ابن حجر: أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم، كما أنّ الضلع لا يقبله. «فتح الباري» ٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) يراجع سند هذا الحديث، فقد لاحظنا أنّ فيه أبا كريب المتوفى سنة ٢٤٨ هـ، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: لا بأس به؛ والحديث معنعن من حسين بن علي الكوفي، عن زائدة، عن ميسرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة.

شذوذاً فيها أو انحرافاً، إذا حاول مقارَنَتَها بالصفات المميزة للرُجولة، فإذا حاول أنْ يقيمَ ما يتوهّمه فيها من اعْوِجاج فَقَدَها، وفَقَدَ ما يحتاج إليه من عاطفة ورِقَّة وضَعْفٍ وغير ذلك من مميزات المرأة الطبيعية، فهي كالضلع الذي وضعه الله على صورة خاصة في القفص الصدري، فإذا حاول امرؤ أن يُقِيمَ ضلعه أفقده وظيفته، وكان هذا وبالاً عليه، فقد خلقَهُ اللّهُ ملائِماً للقوام الجسماني، وللوظائف الوظيفة العضوية (الفسيولوجية) في البدن.

٥ ـ الرُسُل والكتب المُنْزَلة:

ومن العقائد المبيّنة في القصة، أنَّهُ من السنن الإلهية إرسال الرسل المزوّدة بالكُتُبِ المنْزَلة عليهم لِهِدايَةِ النَّاسِ إلى الصراط المستقيم. وهو طريق الحياةِ الذي يلائِم خَلْقَهُم وطبيعَتَهُم وسائر وظائفهم الإنسانية، ويضْمَنُ لهم عدم الوقوع في مهاوي الهلاك، ويؤمنهم ضد الضّلال في بَيْداء الظنون والأوْهام، ويهديهم إلى النُظُم التي تكفُلُ لهم التمتُّعَ بحياةٍ سَهْلةٍ رغدةٍ مليئةٍ بالسَّعَادَةِ والهناءَةِ، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٨] وقوله: ﴿.. فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٢٣].

٦ ـ جَنَّة آدم:

ولا شك عندنا أنَّ الجنّةَ التي أسْكَنَها اللّهُ آدَمَ وزَوْجَهُ، وأمَرَ فيها الملائكة بالسُّجود لأبي البَشَر، والتي وَسْوَسَ فيها إبليس كانت حديقة في الأرض، لها أوصافها التي جاءت في القِصّة، وقد ذَهَبَ إلى هذا القَوْلِ كثيرٌ من المسلمين، منهم: منذر بن سعيد، واحتج في ذلك

بأشياء، منها: أنَّهُ لو كانَتْ جنَّةُ الخُلْدِ لما أَكَلَ آدَمُ من الشجرة رجاء أن يكون من الخالِدِين، واحتجَّ أيضاً بأنَّ جَنَّةَ الخُلْدِ لا كَذِبَ فيها، وقد كَذَبَ فيها إبليس، وقال: مَنْ دَخَل الجنَّةَ لم يخْرُجْ منها، وآدم وامرأتُهُ قد خَرَجا مِنْها[1].

وجاء في «روح المعاني» ما نصُّه: وذهب المعتزلة وأبو مسلم الأصْفهاني وأناسٌ إلى أنَّها ـ أي: جنة آدم ـ جَنَّةٌ أخرى، خلقها الله تعالى امتحاناً لآدم عليه السلام، وكانت بستاناً في الأرْضِ بين فارس وكرمان، وقيل: بأرض عدن[2]، وقِيلَ: بفِلَسْطِين كورة بالشَّام، ولم تَكُنِ الجنَّةُ المعروفة. وحَمَلُوا الهبوطَ على الانتقال من بقعة إلى بقعة، كما في ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٦١]، أو على ظاهرِه، ويجوزُ أن تكونَ في مكانٍ مرْتَفِع، قالوا: لأنَّهُ لا نِزاعَ في أنَّهُ تعالى خَلق آدم في الأرض، ولم يذكر في القِصَّة أنَّه نقله إلى السماء، ولو كان نَقَلَهُ إليها لكان أوْلى بالذِّكر، ولأنَّهُ سبحانه قال في شأن تلك الجنة وأهلها: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [٥٦ سورة الواقعة/ الآيتان: ٢٥ و ٢٦]، و ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [٥٢ سورة الطور/ الآية: ٢٣]، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآية: ٤٨]، وقد لغا إبليس فيها وكَذب، وأخرج منها آدم وحواء، مع إدخالهما فيها على وجْهِ السُّكْنَى، ولأنَّ جنةَ الخُلْدِ دارٌ للنَّعِيم وراحة وليست بدار تكليف، وقد كُلِّفَ آدمُ أن لا يأكل من الشجرة، ولأن إبليس كان من الكافرين، وقد دَخَلَها للوَسْوَسة، ولو

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ٤/٦٩.

(٢) قالت اليهود: (وغرس الربّ الإله جنة في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله) (تكوين٢: ٨).

كانَتْ دار الخُلْدِ ما دخلها، ولا كادَ، لأن الأكابِرَ صرَّحُوا بأنَّهُ لو جيء بالكافِر إلى باب الجنَّة لتمزّق ولم يدخلْهَا، لأنَّهُ ظلمة وهي نور، ودخوله مُسْتَتِراً في الجنة على ما فيه لا يفيد، ولأنَّها محلّ تطهير، فكيف يحسن أن يقع فيها العصيان والمخالفة، ويحل بها غير المطهرين؟. قال: وقيل: كانت في السَّماءِ وليست دار الثواب.. قيل: كانت غيرهما، وقيل: الكلُّ مُمْكِنٌ، والله تعالى على ما يشاء قدير، والأدلّة متعارِضَةٌ، فالأحوط.. والأسْلَمُ هو الكفُّ عن تعيينها والقَطْعِ به، وإليه مال صاحب «التأويلات»، والذي ذهب إليه بعض الصوفية أنّها في الأرض، عند جبل الياقوت، تحت خط الاستواء؛ ويسمُّونَها جنة البربخ. وهي الآن موجودة، وإن العارفين يدخلونَها اليوم بأرواحهم لا بأجسادهم..[1] وطبعي أنَّ هذا القولَ الأخيرَ ظاهِرُ البُعْدِ عن الصَّواب.

وقد رَدَّ ابنُ حَزم على بَعْضِ هذه الحُجَج[2]، فقال في قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٥] أنَّ الإشارة بالألف واللام لا يكون إلا على معهود ولا تطلق ﴿الْجَنَّةَ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٥] هكذا إلا على جَنَّةِ الخُلْدِ، ولا ينْطَلِقُ هذا الاسم على غَيْرِها إلاّ بالإضافة؛ ولكن يلاحَظُ أنَّهُ جاء في القرآن الكريم لفظ ﴿الجنة﴾ بالألف واللام بمعنى بستان في الأرْضِ في قوله جَلّ شأنه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧﴾ [٦٨ سورة القلم/ الآية: ١٧].

وقال: وأيضاً فلو سَكَنَ آدَمُ عليه السلام جَنَّةً في الأرض فما

---

(١) «روح المعاني» ١/ ١٩٥.

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ج ٤/ص ٦٩.

كان في إخراجه منها إلى غَيْرِها من الأرض عقوبة، بل قد بَيَّنَ تعالىٰ أنّها ليست في الأرض، بقوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٦] فصحَّ يقيناً بالنّصّ أنَّهُ قد أُهْبِطَ من الجنة إلى الأرض، فصَحَّ أنّها لم تكن في الأرض أَلْبَتَّةَ.

ونقول: إن إخراج آدم من الجنة التي وصفها الله، والتي أسكن فيها آدم، يُعَدُّ عقوبة، بعَكْسِ ما يقولُ ابن حَزْمٍ، فعندما خَرَجَ آدَمُ من ذلك البستان الذي لم يَكُنْ آدَمُ في حاجَةٍ إلى غَرْسِ شَجَرِهِ وتعهّدِه بالرَّيِّ والعزق والتقليم والتسْمِيد وغيره مما هو معروف في علم فلاحة البساتين، إلى أرض لا يصلح زرعها إلا بِبَذْلِ الجُهْدِ والعمل المسْتَمِرّ الذي يجب الصبر عليه للحصول على الثمار المخْتَلِفة، فإنَّهُ يكون قد انْتَقَلَ مِنْ حياة الراحة إلى حياة لا تصلح إلا بالكَدّ والتَّعَبِ ودراسة أساليب الزراعة وفنونها، ومعرفة الأوقات والفصول السنوية التي تناسِبُ غَرْسَ مختلف أنواع النبات، أمّا ما اسْتدلَّ به من لَفْظِ (الهبوط) فقد جاء في كتاب الله، كما تقدّم، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ [٢ سورة البقرة/الآية: ٦١] أي: اذْهَبُوا إلى مصرٍ من الأمْصَار تصلح فيه زراعة الخضر والبقول. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٤٨] والمعروفُ أنَّ نوحاً هَبَطَ من السَّفِينة إلى الأرض، ولم يهْبطْ من السّماء، ويكون آدم قد هبط من بستانٍ في الأرْضِ، سواء كان قد هَبَط، بمعنى خرج من الجنّة، كما خرج إبليس، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ..﴾

[٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٨] أو هَبَطَ بمعنى نزل من مستوى أرضي عالٍ إلى مستوى أرضي منخفض، بإنْ كانَتْ جنَّتُه بربْوَةٍ كالجنَّةِ التي أشارَ اللَّهُ إليها في قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ[1] أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٦٥].

وردَّ ابنُ حَزمٍ على حُجَّةِ القائلين بأنَّ جَنَّة الخُلْدِ لا يجوز فيها الكذب، وأنَّ جَنَّة آدَمَ كَذَبَ فيها إبليس، بأنَّهُ كان يجوز الكذب في جنة الخلد، وأن قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [٨٨ سورة الغاشية/ الآية: ١١] إنَّما هو على المسْتأنف لا على ما سَلَف؛ وقد ذَكَر ابنُ حَزْمٍ هذا على اعتبار أنَّ الجنَّةَ كانت مخلوقةً فعلاً قَبْلَ خَلْقِ آدم، وعلى أيِّ حال فنحن نعتقد أنَّ نَفْيَ اللَّغْوِ في الجنة هو نفيٌ مطلق، فالجنَّةُ التي وعَدَ اللَّهُ المتَّقِين لا يكون فيها اللغو مطلقاً بصَرْفِ النَّظَرِ عن تاريخ خَلْقِها، وهو ما يُفْهَمُ بداهةً من قولِهِ تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ..﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيتان: ٦١ و ٦٢] وقوله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [٧٨ سورة النبأ/ الآية: ٣٥] وقوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [٨٨ سورة الغاشية/ الآية: ١١] أمَّا جَنَّةُ آدم فقد حدَثَ فيها الكَذِبُ، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ

---

(١) وجاء لفظ (الربوة) بمعنى مكانٍ مرتفع ذي استواء وماء ظاهر في قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٥٠].

ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٢٠ ـ ٢٢].

وقال ابنُ حَزمٍ لِمَنِ احتجَّ بقولِهِ تعالى في وصْفِ جَنَّةِ الخُلْدِ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآية: ٤٨] بأنَّ هذا يكون صفة للجنة مستقبلاً، كما قال في مسألة الكَذِبِ في جنَّةِ آدم.

ولكنّنا نعتَقِدُ أنَّ صِفَةَ الخلود لازمةٌ في الجنَّة، سواء لبَني آدم أو لآدم وزَوْجِهِ، وبما أنَّ آدَمَ وزوجَهُ وإبليس أُخرِجوا من الجنة، فلا يصحّ أن تكون الجنّةُ التي كانوا فيها هي جنة الخلْد التي وصفها الله بوصف الخلد في قوله: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآيتان: ١٥ و ١٦].

أما قوله تعالى في جَنَّةِ آدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ١١٨ و ١١٩] فينقَسِمُ إلى شِقَّيْن: الشقّ الأوّلُ أنَّ هذه الجنة لآدم وزوجه أن لا يجوعان فيها ولا يظمآن، فكلّما اشتَهَتْ نَفْساهُما الأكْلَ أو الشرْبَ وجَدا فيها الطَّعام على أشجارِهِ جاهزاً، والماءَ في جداوله جارياً، لا يحجزُهما عن الأكْلِ أو الشرْبِ حاجزٌ، ولا يحولُ دونَهما حائِلٌ، فلا يذوقانِ مرارةَ الجُوعِ أو الظَّمأ، ولن تلفح كذلك وجهَيْهِما الشمسُ في ذلك البستان لما فيه من توافُرِ الظلّ.

أما الشقّ الثاني، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١١٨] فلا ينطبق إلا على جنَّةِ آدمَ، فإن لآدم ألا يَعْرىٰ ما امْتَنَعَ عن الأكْلِ من الشجرة المحرّمة. وهذا القول مما يؤيِّدُ القولَ بأنَّ جنة آدم ليست

هي جنّات الخُلْدِ، فإنّ جنّةَ الخُلْدِ قد أذِنَ اللّهُ للأزواج فيها بالاتّصالِ الجنسي، وأنّهُ حَلالٌ فيها أصلاً، قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [٥٥ سورة الرحمن/ الآية: ٥٦].

ثم إنّ جنّةَ الخُلْدِ لا يَسْمَحُ اللّهُ بالدُّخولِ فيها إلا بعد الحساب، فهي دار جزاءٍ لا دار امتحان، وهو قولُهُ تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ١٤٢] وقوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [٧٦ سورة الإنسان/ الآية: ١٢] وقوله: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٦٣]. وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [٧٩ سورة النازعات/ الآيتان: ٤٠ و ٤١].

ولو كانَتْ جنّةُ آدم هي جنة الخُلْدِ، لما خَفِيَ ذلك عن آدم، وهو الذي علّمَهُ اللّهُ الأسماء كلّها، ولما خُدِع بقول إبليس له: ﴿.. يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٢٠]، ولا يجوزُ أنْ ندّعي أنّ إبليس كان أعلم من آدم، إذ ثَبتَ أنّ إبليس يعلم أنّ هناك بَعْثاً يحاسَبُ الناسُ بَعْدَه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآية: ٣٦] ويتبع هذا أنّهُ لا بُدّ أنّهُ يعلم بأن هنالك دار الخلود بعد البعث، سواء في الجنة أو في النار، وإلا لما خاطَبَهُ الله تعالى بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٨٥].

ونستطيع أن نضيفَ إلى ما تقدّمَ أنّ القرآنَ الكريمَ حين ذَكَرَ أنّ آدمَ وزوجَهُ كانا يأكُلانِ الطّعام، لم يَنفِ أنّ تركيبَهما كان إنسانياً دُنيوياً، وأنّهُ كانَ لكُلّ منهما جهازه الإفرازي والبَوْلي، ولم ينفِ أنّهما

كانا يستعملان هذَيْن الجهازَيْن للتخلُّصِ من فضلات الطعام والماء، ولما كانَتْ جنَّةُ الخُلْدِ في عقائدنا لن يكون فيها تغوّط أو تبوّل[1]، وأنَّهُ سوفَ يكون تركيب أجسامنا ملائماً لبيئة هذه الجنة المنزَّهَة عن ذلك؛ وجب أن تكون جنة آدم غير جنة الخلد.

ونستطيعُ أن نضيف إلى ذلك إنَّهُ ما دامَ من المُسَلَّمِ به أنَّ آدَمَ خُلِقَ من طينة هذه الأرض التي نعيش عليها، كما خُلِقَ من طينها سائر أنواع النبات والحيوان، فلا داعي إلى الذهاب بعيداً أو القول بأنَّ تسْوِيَةَ طينة آدم وتصويرها كانت في مكان آخر يختلف عن البيئة التي اسْتُخْرِجَتْ منها، خصوصاً أنَّ آدَمَ وزوجَهُ وبَنِيه يعودون إلى هذه الأرض نفسها، وأنهم سوف يُخْلَقُون منها تارةً أخرى، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٥٥].

وخصوصاً أنَّ اللَّهَ تعالى حين قال للملائكة: ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٠] لم يَقُلْ هل هي الأرض الأولىٰ أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة أو السادسة أو السابعة، إذ أنَّ هنالِكَ سبع أرضين، لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ..﴾ [٦٥ سورة الطلاق/ الآية: ١٢].

٧ ـ معصية آدم وتوبة الله عليه وعلى زوجه:

وجاء في قصة آدم أن الله حين أسْكَنَ آدمَ وزوجَهُ الجنة، أمَرَهُما أن يأكلا منها رغداً حيث شاءا، ولكنَّهُ سبحانه وتعالى حَرَّمَ عليهما

---

(١) وجاء في صحيحي البخاري ومسلم أنَّ أهلَ الجنَّة لا يبولون ولا يتغوّطون. (البخاري الحديث: ٣١١٢ ك ٦٠ ب ١) و (مسلم الحديث: ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ك ٥١ ب ٦، ٧).

شجرة معيّنة[1]، حرّم عليهما أن يأكلا منها، بل حَرَّم عليهما القربَ منها مبالغةً في التحذير منها، ولكنَّ الشيطانَ وَسْوَسَ لهما: ﴿..وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ٢١ و ٢٢].

(١) ذهب الناس مذاهب شتى في تحديد هذه الشجرة، فقيل: الحنظلة، وقيل: النخلة. وقيل: شجرة الكافور. ونسب هذا القول إلى علي ابن أبي طالب، وقيل: التين. «روح المعاني» جـ ١/ ص ١٩٦. وقيل: هي السنبلة أو الكرمة أو التينة. «جامع البيان» جـ ١/ ص ١٨٣ ـ ١٨٥. وقيل: هي نوع من أنواع الموز يصلح للطبخ، يسمى: موز باراديسياكا Mosa Paradisiaca. أي: موز الفردوس. وقيل: هي حبوب الجنة Grains of Paradise. وقيل: هي التفاح، ولهذا سميت جوزة الحلقوم باسم: تفاحة آدم Adam's apple وسمّاها إبليس: شجرة الخلد: ﴿قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد...﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٢٠]، وقالت اليهود ما قاله إبليس أنها هي شجرة الحياة، قالوا: (وقال الربّ الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد...) (تكوين ٣: ٢٢) وقالت اليهود في موضع آخر من كتابهم: هي شجرة معرفة الخير والشر، قالوا: (وأوصى الربّ الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها...) (تكوين ٢: ١٦ و ١٧).

أما القول بأنّ الشجرة هي شجرة الحياة فباطِلٌ، إذ أنّ آدم وزوجه أكلا منها فعلاً ولم يخلدا، فكيف يقال: إنّ الله سمّاها شجرة الحياة وخاف أن يأكل منها آدم وزوجه، كما جاء في كتاب اليهود؟! وأما الأقوال المختلفة في أنها شجرة غير محرّمة لنا في الدنيا، فنعتقد أنها جانبت الصواب، إذ أننا نعتقد أنّ الله لا يحرم الطيّبات من الرزق تحريماً مستديماً بدون سبب ظاهر معلل في الأمر بالتحريم، قال تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٣٢]، وإن لنا لرأياً في هذه الشجرة ليس هنا مقام بحثه والتدليل عليه.

وقال جلّ شأنه في موضعٍ آخرَ من كتابه: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ٣٥ و ٣٦] وقال: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ١٢٠ و ١٢١][1].

---

(١) ذكرت اليهود هذه القصة على نحو آخر، فذكرت أنّ آدم تنصّلَ من الذنب، واتّهَمَ امرأتَهُ بأنّها هي التي خدعته، وأنّ زوْج آدم ألقتِ التبعة على الحيّة، قالوا: إنّ الله قال لآدمَ: هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلتِ؟ فقالت المرأة: الحية غرّتني، فأكلت. (تكوين ٣: ١٢ و ١٣).

وقد بَنَتِ النصارىٰ على مَعْصِيَةِ آدم عقيدَتَها في الفِدَاءِ والصَلْبِ، إذ تقول الكنيسة: إنّ الجنسَ البشريّ قد وُصِمَ بِوَصْمَةِ الْمَعْصِيَة، وأنّ هذه الوصمة قد نالَتْهُ من جرّاءِ أكْلِ آدم من الشجرة المحرّمة بإيعاز من الحيّة، فأصبح على ذلك مستحِقّاً للعنة الله، محكوماً عليه بالهلاك الأبدي في الجحيم.

وقالت بجانب ذلك: إنّ رحمة الله شاءت تخليص هذا العالم، والتجاوز عن ذلك الذنب الفطري الموروث له Peccatum Original فوجب تقديم الترضية اللازمة للّه! وقالت: إنّه لمّا كانَ هلاكُ النّاس هو شيء يقتضيه النظام الإلٰهي، ولما كان المحكومُ عليه بالمَوْتِ يجب تنفيذ الحكم عليه، أو تقديم غيره، أو تطوّع سواه بدلاً عنه، فقد سمح الله بتَضْحِيَةِ ابْنِهِ على الصَّلِيب كَفّارةً عن الناس، ومع هذا فإنّهم يدّعون أنّهُ لا ينجو إلا من آمن بهذه الدعوى واتّخَذَها عقيدةً له!

ويلاحَظُ أنّ هذه العقيدة التي تقول بتوارُثِ الجنس البشري لخطيئة آدم تتعارض مع نصوص في الكتاب المقدّس عند اليهود والنصارى تنبىء أنّ الأبناء لا يُؤخَذُونَ بجرائم الآباء، مثال ذلك قولهم: (النفس التي تخطىء هي تموت، الابنُ لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. برُّ البار عليه =

وقد بيَّنَ اللَّهُ في قصَّةِ آدم عقيدةَ التَّوْبَةِ، وبيَّنَ أنَّهُ غفَرَ لآدَمَ وزوجِهِ حين اعترفا بذَنْبِهما، وسألاه المغْفِرَةَ والرَّحمة[1] قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٢٣] وقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٧] وقال: ﴿.. وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٢٢].

وَيُلاحَظُ في القِصَّة أنَّ آدَمَ وزوجَهُ بادَرا بالتَّوْبَةِ[2]، ولم يحدُثْ منهما أيُّ تردُّدٍ في الاعتراف بذَنْبِهما، وأنَّ اللَّهَ قَبِلَ تَوْبَتَهُما، إذْ عَلِمَ صِدْقَ نِيَّتِهِما.

= يكون وشر الشرير عليه يكون). (حزقيال ١٨: ٢٠) وقولهم: (لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته). (تثنية ٢٤: ١٦) ومثله قولهم: (... دينونة الله العادلة الذي سيجازي كلَّ واحدٍ حسب أعماله) (رومية ٢: ٦) ومعنى هذا أنّ آدم لا تتعدّى معصيته نفسه، ولا يقع إثمُهُ على غيره، ولا يتحمّلُ خطأه سواه، وقد بَيَّنّا عقيدتي الفداء والصلب من أجل الذنب المغروس حسب عقيدة النصارى في مؤلّفنا «المسيح والتثليث» في المبحث الرابع، فليرجع إليه من أراد.

ولم يرد شيءٌ في كُتُبِ اليهود عن إبليس وعصيانه، أو السجود لآدم الذي أمرت به الملائكة.

(١) لم يأتِ في كتاب اليهود أنّ آدمَ وزوجَهُ استغفرا ربَّهُمَا، أو سألاه التوبة، بل اكتفت بالقَوْلِ بأنّ آدمَ اتَّهَمَ زوجَهُ بأنّها هي التي أَعْطَتْهُ من الشجرة، فأَكَلَ، وأنّ زوجَهُ أَلْقَتِ التَّبِعَةَ على الحيَّةِ، وقالت: إنها التي غرّتْها، راجع (تكوين ٣: ٨ ـ ١٣).

(٢) يتَّفِقُ هذا مع قولِهِ تعالى: **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم، وكان الله عليماً حكيما. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليما﴾** [٤ سورة النساء/ الآيتان: ١٧، ١٨].

٨ ـ الحياة البَرْزَخِيّة والبعث:

وتُبَيِّنُ قِصةُ آدم أنّ هنالك حياة بَرزَخِيّة[1] يقضيها الإنسان بعد المَوْتِ حتّى نهاية الحياة الدنيا، وأنّ اللّهَ سوف يَبْعَثُ مَنْ في القبور، فيخلقهم من التراب مرّةً أخرَى، وأنّ الناسَ سوف تُحْشَرُ جميعاً ليوم الحِساب، ويوم الدّين.

وكلٌّ مِنَ الحياةِ البَرْزَخِية والبَعْث يستدل عليه من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٦].

والمعيشَة الضَّنك هي تلك الحياة التي يقضيها الإنسان بعد الموت، إذا ماتَ وهو مُعْرِضٌ عن ذِكْرِ الله، وهي عذابُ القَبْرِ[2]، والدَّليلُ على أنّها تشيرُ إلى الحياة البَرْزَخِيّة، لا إلى هذه الحياة التي نَحْيَاها اليَوْم، أو إلى جَهنَّم، كما ذهَبَتْ بعض الآراء[3]، أنّ مِنَ الكفار والمعْرِضِين عن ذكر الله مَنْ يَعيشون في هذه الحياة الدُّنْيا عيشةً ليست ضَنْكاً، وقد قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ

---

(١) اصطلح المسلمون على تسْمِيَةِ هذه الحياة بالحياة البَرْزَخِيّة من الاسم الذي أطلقه الله عليها في قوله: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون. لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيتان: ٩٩ و ١٠٠].

(٢) روى الطبري هذا التفسير بسنده عن أبي سعيد الخُدْري وأبي هريرة وأبي صالح والسُّدّي وعبد الله، وأيّدَ أبو جعفر هذا القول. «جامع البيان» ١٦/ ١٦٤ و ١٦٥.

(٣) روى الطبري بسنده عن الحسن وابن زَيْدٍ وقَتَادة أنّ المَعِيشَةَ الضَّنك في النار، وروى عن عكرمة وأبي حازم والضحاك أنّ المعيشة الضَّنك في الدنيا. «جامع البيان» ١٦/١٦٣ و ١٦٤.

كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآيات: ١٨ ـ ٢٠] وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ٢٠] وقد ضربَ اللَّهُ أمثالاً لأقوام أغناهُمْ على كُفرِهِم، كعادٍ مثلاً: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ . . وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٢٤، ١٣٢ ـ ١٣٤] وكثمود: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ . . أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٢٤، ١٤٦ ـ ١٤٩] وهكذا.

أمّا عَدَمُ انطِباقِ الحياة الضَّنْكِ وعدم اختِصاصِها بالحياة في جهنّم، فهو عَدَمُ ذِكْرِها في الآية الكريمة بعد الحَشْر، فهي حياةٌ سابقةٌ ليَوْمِ الحشْرِ والحِساب، ومن بابِ أوْلىٰ سابقة لحياةِ الجحيم، وقد بيّن اللَّهُ تعالى أسبقية الحياةِ الضَّنْكِ لِعذابِ الآخِرَةِ في قولِهِ بعد ذِكْرِ الحياة الضَّنْكِ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٢٧].

وقد دَلَّ على القيامَةِ والحَشْرِ[١] قولُه تعالى: ﴿. . وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ

---

(١) قال تعالى: ﴿ومن يهدِ الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصما. . .﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٩٧] وقال: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهو يوزعون. حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون. ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيتان: ٨٣ ـ ٨٥] وقال: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر =

ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ١٢٤ و ١٢٥]، ودلَّ على يَوْم الدين[1] والبعث[2] الذي يقوم الناسُ به فيحشرون، ما ذكره اللّهُ من قولِه لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآيتان: ٣٥ و ٣٦]، والبعْثُ هو خُروجُ النَّاسِ وخَلْقُهُم مرَّةً أخرىٰ بعد أن يكونوا تراباً، والخروج من الأرض هو ما جاءَ ذِكْرُهُ في قِصَّةِ آدم في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٢٥].

= علينا يسير﴾ [٥٠ سورة ق/الآية: ٤٤]. وقال: ﴿لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة * أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر أمامه * يسأل أيان يوم القيامة * فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذٍ المستقر * ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخر * بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾ [٧٥ سورة القيامة/الآيات: ١ ـ ١٥].

(١) قال تعالى: ﴿إنّ الأبرار لفي نعيم * وإنّ الفجار لفي جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين * وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله﴾ [٨٢ سورة الانفطار/ الآيات: ١٣ ـ ١٩] وقال: ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون * وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون * احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنّهم مسؤولون...﴾ [٣٧ سورة الصافات/الآيات: ١٩ ـ ٢٤].

(٢) قال تعالى: ﴿...والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٣٦] وقال: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾ [٥٨ سورة المجادلة/ الآية: ٦] وقال: ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون * وقالوا إن هذا إلا سحر مبين * أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون * قل نعم وأنتم داخرون * فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ١٤ ـ ١٩].

فعَقِيدَةُ المُسْلِمِين هي أنَّهُ في يَوْمِ الدِّين يخلق اللَّهُ النَّاسَ مرَّةً أخرى ويبعثهم من ترابِ الأرض الذي خَلَقَهُم منْهُ من قَبْلُ، فيقومون من قبورِهِم أيْنَما كانَتْ هذه القُبور، فيحشرون إلى الله حيث يحاسبون: ﴿..وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [٨٢ سورة الانفطار/ الآية: ١٩].

٩ ـ فناء الحياة الدنيا:

ويتبيَّنُ من قِصَّةِ آدَمَ أنَّ هنالك يوماً يسبقُ يَوْمَ البَعْثِ، يوماً تفنىٰ فيه الحياةُ الدنيا بأسْرِها، وهو اليوم الذي جَعَلَهُ اللَّهُ حدّاً أقصىٰ لحياة إبليس، فلقد كان إبليس يرجو أنْ ينظره ربُّه إلى يوم الدين، ولما كان هذا السؤال تعدُّ إجابته مخالفة للنِّظام الذي أراد الله أن يتطوّر فيه الخَلْقُ من أوّلِ نُشوءِ الكَوْنِ إلى أنْ يدخل أهلُ الجنَّةِ منازِلَهُم ويدخل أهل النَّار منازلهم، لذلك لم يجبِ اللَّهُ طلبَ إبليس، ولكنه حدّد له اليوم الذي قضى أنْ ينظره إليه، وهو اليوم الذي ينفخ فيه في الصُّورِ للمرَّةِ الأولىٰ، فيفنى فيه الكون بما فيه، إذ إنَّ عمل إبليس ينتهي بفناء من توعّد إبليس ربّه بإغوائهم، وسوف يبعث إبليس كغيره من الإنس والجن عند النفخة في الصُّور للمرة الثانية[1]؛ والآية الكريمة التي تبيّن اليومَ الذي يفنى فيه الكون، والتي تفرّق بين هذا اليوم واليوم الآخر هي قوله تعالىٰ لإبليس: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٣٨﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآيتان: ٣٧ و ٣٨] أما لعنة الله على إبليس فتستمرُّ إلى يوم الدين، وبعد ذلك سوف يكون مصير إبليس إلى النار، كغَيْرِهِ من الكفّار.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون * وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآيتان: ٦٨ و ٦٩].

أمّا طَلبُ إبليس، فقد جاء في قولِهِ تعالىٰ: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ١٣ ـ ١٥][1] أي: من المؤجَّل فناؤهم، وفي قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآيات: ٣٥ ـ ٣٨][2].

---

(١) قال الطَّبَري: إنَّ إبليسَ سَأَلَ ربَّهُ ما قد علم أنْ لا سَبيلَ لأَحَدٍ من خَلْقِ اللّهِ إليه، وذلك أنّه سألَ المنظرة إلى قيام الساعة، وذلك هو يومٌ يُبْعَثُ فيه الخَلْق، ولو أُعْطِي ما سأل من النظرة كانَ قد أُعْطِيَ الخلود، وبقاء لا فناء معه، وذلك أنَّهُ لا موتَ بَعْدَ الْبَعْثِ، فقال جلّ ثناؤه: ﴿قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [١٥ سورة الحجر/الآيتان: ٣٧ و٣٨] وذلك إلى اليوم الذي لا يموت، يقولُ تعالى ذكره: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ١٨٥]، فإن قال قائل: فإنّ اللّهَ قد قال له إذ سأل الإنظار إلى يوم يبعثون: ﴿قال فإنك من المنظرين﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٥] في هذا الموضع فقد أجابَهُ إلى ما سأل، قيل له: ليس الأمر كذلك، وإنما كان محبباً له إلى ما سأل لو كان قال فيه له: إنك من المنظرين، إلى الوقت الذي سألتَ أو إلى يوم البعث، أو إلى يوم يبعثون، أو ما أشبه ذلك مما يدلّ على إجابته إلى ما سأل عن النظرة، أمّا قوله: ﴿قال فإنك من المنظرين﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٥] فلا دليلَ فيه لولا الآية الأخرى التي قد بيَّنَ فيها مدة إنظاره إليها، وذلك قوله: ﴿فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآيتان: ٣٧ و ٣٨] فلا دليلَ فيه لولا الآية الأخرى التي قد بَيَّنَ فيها مدة إنظاره إليها، وذلك قوله: ﴿فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [١٥ سورة الحجر/الآيتان: ٣٧ و ٣٨] على المدة التي أنظره إليها، لأنه إذا أنظره يوماً أو أقل منه أو أكثر، فقد دخل في عداد المنظرين، وتمّ فيه وعد الله الصادق، ولكنه قد بيّن قدر مدة ذلك بالذي ذكرناه، بذلك الوقت الذي نظر إليه. «جامع البيان». ج ٨/ ص ٩٩.

(٢) قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إنّ إبليس سأل ربّه أنْ ينظره إلى يوم يبعث الخلق من قبورهم، فيحشره لموقف القيامة، فقال الله له: فإنك ممن أُخِرّ هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع الخلق، وذلك حين لا يبقى على =

١٠ ـ جَهَنَّم وخلودُ العذاب فيها:

ويتبيّن مِنْ قِصّة آدم أنّ اللّهَ تعالى قد أعدّ للكافرين جهنّم يملؤها بإبليس وأتباعه من الجن والإنس: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيتان: ٨٤ و ٨٥] وقال: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝٦٣﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٦٣] وقد ذكر اللّهُ في هذه القصة أن جهنّم هي النار التي شاء أن يعذّبَ فيها هؤلاء الكفّار، وهم الذين كذّبوا بآياته ولم يؤمِنُوا بها، وبيّنَ اللّهُ أنّ هذه النار دائمَةٌ، وأنّ العذابَ فيها مستمِرٌ، وأن أصحابَهَا وأهْلَها يُخَلّدُون فيها، وأنّهُ لا يدْخُلُها عبادُ اللّهِ المخْلَصُون الذين لا سُلطانَ للشّيْطانِ عليهم، وهو قولُه تعالى ـ خطاباً للجنّ والإنس ـ عندما أخْرَجَ من الجنّةِ آدمَ وزوجَتَه وإبليس: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ٣٨ و ٣٩].

١١ ـ الجنة وخلود الثواب فيها:

ولا شكّ أنّ خلودَ الكافرين في جهنم، يقابِلُهُ خلودٌ في نعيمٍ لِمَنِ اتبع هدى الله، وهذه المقابلة مبيّنة في الآيتين الكريمتين سابقتي الذكر، فَمَنِ اتّبَعَ هُدىٰ اللّهِ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٨] والذين كفروا وكذبوا بآيات الله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ

= الأرض من بني آدم ديّار «جامع البيان» جـ ١٤/ ص٢٢.

وروى الطبري بسنده عن السُّدّي: إنّ يوم الوقت المعلوم هو يوم ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيصعق مَنْ في السماوات ومن في الأرض فمات. «جامع البيان» جـ ٧/ ص ٩٩.

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٩][1].

وإن لفظ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٨] يوصَفُ به في كتاب الله حال مَنْ يحيون الحياة الأبدية في جنّةِ الخُلْدِ، ولنضربْ لِذلك أمثلةً صَريحةً من آياتِ اللّهِ، وهي قولُهُ تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٤٩] وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآيات: ٦٨ ـ ٧٠] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [٤٦ سورة الأحقاف/ الآيتان: ١٣ و ١٤].

١٢ ـ العصيان:

وجاء في القصة أنَّ المخلوقَ في وسْعِهِ عصيان خالقه، وأنَّ العِصْيانَ تَمْحوه التَّوْبةُ التي يتفضّلُ اللّهُ بها علىٰ التّائِبِ، على أنْ يكونَ العِصْيانُ بجهالَةٍ، وأنْ تكونَ التَّوْبَةُ من قريبٍ، كما قدَّمْنا، وأمّا العِصْيانُ المتعمَّدُ والذي يَجِدُ له مقْتَرِفُه في نفسه مبرّرات، والعصيان الذي يفعله صاحبه تكبّراً وعناداً، ويصرّ على السَّيْرِ فيه إلى النهاية، فلا يستحقّ آتيه رحمةً ومغفرة ولا يكون له جزاء غير العذاب الأبدي.

(١) ومثل هذا قوله تعالى: ﴿يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ٣٥ و ٣٦] ويمكن مراجعة الآيات: ٢ سورة البقرة/ الآيات: ٦٢ و ١١٢ و ٢٦٢ و ٢٧٤ و ٢٧٧، و ٥ سورة المائدة/ الآية: ٧٢، و ٦ سورة الأنعام/ الآية: ٤٨، و ١٠ سورة يونس/ الآيات ٦٢ و ١٧٠.

أمّا النَّوْعُ الأوّل من العصيان فهو ما ذَكَرْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ عصيان آدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ١٢١ و ١٢٢] وأمّا النَّوْعُ الثاني مِنَ العصيان، فهو عصيان إبليس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٤] وقال: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ١١ ـ ١٣] وقال: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآيات: ٣٠ ـ ٣٥] وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٦١] وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [١٨ سورة الكهف/ الآية: ٥٠] وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١١٦] وقال: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيات: ٧٣ ـ ٧٨].

ولا نجد في قِصّة آدم إلا هذين النَّوْعَيْن من المعصية، نوعاً محتْهُ التوبةُ، ونوعاً استحقّ صاحِبُهُ الخلودَ في الجحيم، ويلاحظ أنّ المعصية الأولى عبارة عن فعل شيء نهى الله عنه، وأن المعصية الثانية امتناع عن فعل شيء أمر الله به، ومعنى هذا أن الشرع عبارة عن أوامر ونواهي.

ولم يذكر في قصة آدم شيء عن الصغائر من الذنوب التي يتجاوز الله عنها[1].

بل قد قسّم البشر إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في النار: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ٣٨ و ٣٩].

١٣ ـ الفتنة:

وجاء في الفتنة قوله تعالى في قِصّة آدم: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٣٦] وقوله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ١٦، ١٧] وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٢٠ ـ ٢٢] وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

(١) قال تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ٣١].

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآيتان: ٣٩، ٤٠] وقوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآيات: ٦٢ ـ ٦٤]. وقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيتان: ٨٢ و ٨٣] وقال جّل شأنه في إبليس كذلك: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ[1] وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآيات: ١١٨ ـ ١٢٠].

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾:

ونستطيع أن نَذْكُرَ في هذه المناسبة ما نعتقده من أنّ كلّ آيَةٍ صُدِّرَت بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ قد أنزل معناها في كتب الرسل منذ عهد آدم، أي: أُنْزِلَتْ بنصِّها على لسان أَوَّلِ رَسُولٍ بعد آدم، أو على آدم نفْسِهِ، وباللغة التي كان يَتَفاهَمُ بها بنو آدم منذ نشأتهم على الأرض، وأنها أُنزِلَتْ على خاتَمِ النبيين، شَأْنُها شأن الآيات الأخرى التي نَزَلَتْ بلسانِ النبيين من قبل، ونعتقدُ أنَّهُ بمراجعة هذه الآيات

---

(١) أي: دين الله، قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [٣٠ سورة الروم/الآية: ٣٠].

وتدبّرها جميعاً، يظهر صدق ما نقول، ولنذكر هذه الآيات فيما يلي:

١ ـ قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٢٦].

٢ ـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٢٧].

٣ ـ ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٣١].

٤ ـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ٣٥ و ٣٦].

٥ ـ ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٧٢].

٦ ـ ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٧٠].

ومن الأدلّة على أنّ هذه الآيات أُنزِلَتْ في زُبُرِ الأوّلين[1]، أنها نزلت بعد قِصَّةِ آدم مباشرةً في سورة الأعراف وبعد قوله تعالى: ﴿قَالَ

---

(١) قال تعالى عن القرآن الكريم: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٦].

﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعـراف/ الآيـة: ٢٥]، وأن فيها ذكر التفضّل من الله بإنزال اللباس الذي يواري السَّوْأة، ولقد كانَ هذا اللّباس من أوّلِ الأشياء التي أنْعَمَ اللّهُ بها على بَني آدَم، وعلى آدم وحواء، ويلاحظ أنّ في الآيات الكريمة شريعة الصلاة، والأمْر بأشياء تتعلّق بالشُرْبِ والأكل، وهي تعاليم ما كانَ اللّهُ ليؤخّر إنْزالَهَا إلى ما بعد عهد آدم، ثم إنَّ فيها كذلك التنبيهُ باتّباع الرُسُلِ والكتب المُنْزَلَة، والتّفرقَة بين المؤمنين ومآل كلّ فريق منهم، ممّا جَاءَ مثله في قِصّة آدم نفسها.

ويلاحَظُ أنَّ هذه الآيات صُدِّرَتْ بنداءِ بني آدم على خلاف ما نراه من مناداة المؤمنين من أمّةِ محمَّدٍ، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ومناداة البشر عامة بلفظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

ويلاحَظ أنَّ الله تعالى بدأ بمناداةِ النّاسِ في فَجْر حياتِهم بلفظ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ وأنّهُ سوف يناديهم يوم القيامة بنفْسِ هذا اللفظ بقوله: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [٣٦ سورة يس/ الآيات: ٦٠ ـ ٦٥].

ويلاحظ كذلك أنَّ الآية السادسة والأخيرة التي جاء فيها لفظ ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ تقرّر نعمةً من النعم الأولى التي مَنَّ الله بها على بني آدم منذ فجر حياتهم الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٧٠].

المبحث الثاني
شيث وإدريس

وقد قيل: إنَّ آدَمَ ولد له شيث، وأنَّ شيثاً كانَ نَبيّاً في عَصْرِ آدم، ونحن لا نريد أن نَنْفِي هذا الخَبَر نَفْياً باتّاً، فقد يكون صحيحاً، إذ قد يكون من الرُّسُلِ الذين لم يذكُرْهُمُ اللَّهُ في كتابه، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ..﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٧٨] وقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٤] ولذلك لا نرى بأساً أنْ نَذْكُرَ ما قيل في شأنِهِ، بدون جَزْمٍ منّا بصِحَّةِ تفصيلاتِهِ.

وأما إدْرِيسُ، فقَدْ جَاءَ ذِكْرُهُ في كتابِ اللَّهِ، ونَعْتَقِدُ أنَّهُ جاءَ بعد جَدِّه آدم (وبعد شيث) ولذلك وجَبَ أن نخصَّه بالذِّكْرِ في هذا المبحث.

١ ـ شيث:

قيل: إن شيثاً ولد بعد مضي مئة وعشرين عاماً لآدم، وبعد أن قَتَلَ أحدُ ولدي آدم قابيل أخاه[1] هابيل بخَمْسِ سنين.

---

(١) راجع قصة ولدي آدم في القرآن الكريم [٥ سورة المائدة/الآيات: ٢٧ ـ ٣١].

وقيل: إنّ معنى شيث: هِبَةُ اللّهِ، وأنَّ أبويه سَمَّياهُ بذلك لأنهما رُزِقاه بعد أن قُتِلَ ابنهُما المذكور، وأنّهُ الولد الثالث لآدم.

وقيلَ: إنَّهُ كان وَصِيُّ آدم، وأنَّهُ صارَتْ إليه الرئاسة بعده، وأنَّ أباهُ أمَرَهُ أن يخفي عِلْمَهُ عن أخِيهِ القاتِلِ ووَلَدِهِ خوفاً عليه من الحَسَدِ، إذْ خَصَّهُ اللّهُ بالعِلْمِ، وكانَ نَبِيّاً، وَإِلَيْهِ ينسبُ العبرانيون سِلْسِلَتَهُم وعمودَ نَسَبِهم، وصار لِشِيث بَنُون وبنات وعائلات عديدة، وعاشَ حتى بلغ من العمر تسع مئة واثنتي عشر سنة، وأنّهُ بهذه العائلات حُفِظَتِ الأحاديثُ المرْوِيّة والعقائد المنقولة عن أسلافهم إلى زمن الطوفان.

وقيل: إنَّ آدمَ مات في زَمَنِهِ بعد أن عاشَ من العمر تسع مئة وثلاثين سنة[1].

ورُوِيَ عن أبي ذَرٍّ في حديثٍ عن رَسُولِ الله أنَّ اللّهَ أَنْزل مئة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسين صحيفة.

وقال محمد بن إسحاق: ولما حضرت آدمَ الوفاةُ عَهدَ إلى ابْنِهِ شيث، وعلّمه ساعات الليل والنهار، وعلّمه عبادات تلك الساعات، وأعْلَمَهُ بوقوع الطوفان بعد ذلك، وقالَ: إنَّ أنسابَ بني آدم اليوم كلّها تنتهي إلى شيث، وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا.

ولما توفي آدم ـ وكان ذلك يوم الجمعة ـ قام بأعباء الأمر من بعده، وكان نَبِياً بنَصّ الحديث الذي رواه ابنُ حِبّان في «صحيحه» عن أبي ذر مرفوعاً، وأنّهُ لما حانَتْ وفاتُهُ أوْصَىٰ إلى ابنه أَنُوش فقام بالأمر من بَعْدِهِ، ثم بعده ولد قِينَن، ثم من بعده ولده مَهلاييل، وهو الذي

(١) «البحر الزاخر» ج ١/ ص ١١٢.

يَزْعُم الأعاجم من الفُرْسِ أنه ملك الأقاليم السبعة، وأنَّهُ أوَّل من قَطَع الأشجار، وبنىٰ المدائن والحصونَ الكِبار، وأنَّهُ هو الذي بنىٰ مدينة بابل، ومدينة السُّوس الأقصى... وأنَّ دولتَهُ دامت أربعين سنة، فلما مات مَهْلاييل قامَ بالأمْرِ بعْده ولده يَرِد، فلما حضرتْهُ الوفاةُ أوصىٰ إلى ولده أَخْنُوخ، وهو إدريس عليه السلام المشْهُور[١].

وقال ابن قُتَيْبَة: وفي التَّوْراةِ أنَّ آدَمَ طافَ علىٰ امْرَأتِهِ حوّاء، فولدَتْ له غلاماً سمَّاه شِيثاً، من أجْلِ أنّه خلف من عند الله مكان هَابيل.

وقال: قال وَهْب: كان شِيث بن آدَم أجلَّ وَلَدِ آدم، وأفضلَهم وأشْبَهَهم بآدم وأحبَّهُم إليه. وكانَ وَصِيَّ أبيه ووَلِيَّ عَهْدِهِ، وهو الَّذِي وَلَدَ البشر كلَّهُمْ، وإلَيْهِ انْتَهَىٰ أنسابُ النَّاسِ، وهو الذي بَنىٰ الكَعْبَةَ بالطِّينِ والحِجَارَةِ[٢].

ولا شكَّ عندَنا أنَّ أكثر هذه الروايات أُخِذَ عن كُتُبِ اليهود، خصوصاً فيما يختص باسْمِ شيث نفسه وولده مع بعض الإضافات، وقد جاءَ في سفر التكوين: (وعرف امرأته أيضاً، فولدَتْ ابناً ودعت اسمه شِيثاً، قائلةً: لأنَّ الله قد وضعَ لي نَسْلاً آخر عِوَضاً عن هابيل، لأنَّ قابيل كانَ قد قَتَلَهُ، ولِشِيث أيضاً ولد ابن، فدعا اسمه أَنُوش، حينئذٍ ابتدىء أنْ يُدْعَىٰ ابن الرب) (تكوين ٤ : ٢٥ و ٢٦) (وعاشَ آدم مئة وثلاثين سنة، وولد ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شِيثاً.. وعاش شيث مئة وخمس سنين، وولد أَنُوش.. وعاش أنوش تسعين

---

(١) «البداية والنهاية» جـ ١/ص ٩٨ و ٩٩.

(٢) «المعارف» ص ٩ و ١٠.

سنة، وولد قينان.. وعاش قينان سبعين سنة، وولد مَهْلَلْئيل.. وعاش مَهْلَلْئِيل خمساً وستين سنة، وولد يَارِد.. وعاش يارد مئة واثنتين وستين سنة، وولد أَخْنُوخُ..) (تكوين ٥: ١ ـ ١٨) ويوجَدُ خلافٌ بين هذه النسخة وبين النسخة السَّامِرِيّة، وبين هاتين النسختين والنسخة السبعينية (اليونانية) من العهد القديم، أُلَخِّصُه في الجدول الآتي:

الأسماء	حياتهم عند ولادة البكر			حياتهم بعد ولادة البكر			طول حياتهم		
	عبرانية	سامرية	سبعينية	عبرانية	سامرية	سبعينية	عبرانية	سامرية	سبعينية
آدَم	١٣٠	١٣٠	٢٣٠	٨٠٠	٨٠٠	٧٠٠	٩٣٠	٩٣٠	٩٣٠
شِيث	١٠٥	١٠٥	٢٠٥	٨٠٧	٨٠٧	٧٠٧	٩١٢	٩١٢	٩١٢
أَنُوش	٩٠	٩٠	١٩٠	٨١٥	٨١٥	٧١٥	٩٠٥	٩٠٥	٩٠٥
قِينَان	٧٠	٧٠	١٧٠	٨٤٠	٨٤٠	٧٤٠	٩١٠	٩١٠	٩١٠
مَهْلَلْئِيل	٦٥	٦٥	١٦٥	٨٣٠	٨٣٠	٧٣٠	٨٩٥	٨٩٥	٨٩٥
يَارِد	١٦٢	٦٢	١٦٢	٨٠٠	٧٨٥	٨٠٠	٩٦٢	٨٤٧	٩٦٣
أَخْنُوخ	٦٥	٦٥	١٦٥	٣٠٠	٣٠٠	٢٠٠	٣٦٥	٣٦٥	٣٦٥

٢ ـ إدريس:

(١) ما جاء عن إدريس في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٥٦] وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٨٥ و ٨٦].

(٢) الارتباط الزمني بين آدم وإدريس:

ولا شكّ عندنا أنّ إدريس بُعِثَ في الفترة التي بين آدم ونوح،

ويتبيّن هذا من دراسة ترتيب الرُسُلِ في سورة مريم، إذ بعد أنْ قصَّ اللّهُ القِصَص عن زكريا ويحيى وعيسى ابن مريم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل، قال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ ..﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيات: ٥٦ ـ ٥٨] فالذي عنى به الله (من ذرية آدم) هو إدريس، والذي عنى به من (ذرية من حمل في الفلك مع نوح) إبراهيم، والذي عنى به (من ذرية إبراهيم) إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به (من ذرية إسرائيل) موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم.

ولذلك فرّقَ الله أنسابَهُم، وإن كان يجمع جميعهم آدم، لأن فيهم من لَيْسَ من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس، وإدريس جد نوح[١].

(٣) هل إدريس هو أَخْنُوخ المذْكُور في العَهدِ القديم؟:

وروى ابن سعد بسَنَدِهِ، عن ابْنِ عَبّاسٍ، قالَ: أوّلُ نَبيٍّ بُعِثَ في الأرض بَعْدَ آدم إدْريس، وهو أَخْنُوخ بن يَرِد، وَهُوَ اليَارِد، وكان يَصْعَدُ له في اليومِ مِنَ العَمَلِ ما لا يَصْعَدُ لِبَنِي آدَمَ في الشَّهرِ، فَحَسَدَهُ إبليسُ وعَصَاهُ قَوْمُهُ، فَرَفَعَهُ اللّهُ إليه مكاناً عَلِيّاً، وولد أَخْنُوخ مَتُوشَلِح ونفراً معه، وإليهِ الوَصِيَّةُ، فَوَلد مَتوشَلح لَمِك ونفراً معه، وإليه الوصية، فولد لَمِك نوحاً[٢].

---

(١) «جامع البيان» جـ ١٦/ص ٧٣.

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد مجلد ١/ص ٤٠.

وقال ابن قُتَيْبَة: قال وَهَبٌ: إنَّ إِدْرِيسَ النبيَّ كانَ رجلاً طَويلاً، ضَخْمَ البَطْنِ، عريضِ الصَّدْرِ، قليلَ شَعْرِ الجَسَدِ، كثيرَ شَعْرِ الرَّأْس، وكانَتْ إحدى أُذُنَيْهِ أَعْظَم من الأخرى، وكانَتْ في جَسَدِهِ نُكْتَةٌ بيضاء من غير بَرَصٍ، وكان رَقيقَ الصَّوْتِ، دَقِيقَ المَنْطِق، قَريبَ الخُطَىٰ إذا مَشَى، وإنَّما سُمِّيَ إدريس لكَثْرَةِ ما كان يَدْرُسُ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ تعالى وسُنَنِ الإسلام، وأُنزِلَ عليه ثلاثون صحيفة، وهو أوَّلُ مَنْ خَطَّ بالقَلَمِ، وأوَّلُ من خَاطَ الثيابَ وَأَلْبسها، وكانوا من قَبْلِهِ يَلبسون الجُلودَ، واستجابَ لَهُ ألف إنسان ممَّنْ كان يدعوه، فلمَّا رَفَعَهُ اللَّهُ اختلفوا بعدَهُ، وأَحْدَثُوا الأحداثَ إلى زَمَنِ نُوح، وهو أَبُو جَدِّ نُوح، ورفع وهو ابن ثلاث مئة وخمس وستين سنة، وفي التوراة (العهد القديم) أن أَخْنُوخَ أَحْسَنَ قدَّامَ الله تعالى فرفعه إليه، وولد لإدريس مَتُوشَالِح على ثلاث مئة سنة من عمره، وولد لمَتُّوشَالِح لَمِك، وولد لِلَمِك غلام فسماه نوحاً[1].

وفي «البداية والنهاية»: إدريس عليه السلام قد أَثْنَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ، ووَصَفَهُ بالنبوَّةِ، وهو أَخْنُوخ، هذا وهو في عَمُودِ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ على ما ذَكَرَهُ غَيْرُ واحِدٍ من عُلَمَاءِ النَّسَبِ، وكان أَوَّلُ نَبِيٍّ أُعْطِيَ النبوَّةَ بعد آدم وشيث عليهما السلام[2].

وقالَ النَّيْسَابُورِي: «إنَّ إِدْرِيس اسْمُهُ أَخْنُوخ مِنْ أَجْداد نوح، لأنَّه نوح بن لَمِك بن مَتُوشَلِح بن أَخْنُوخ[3].

ويلاحظ أنَّ القول بأنَّ إدريس هو أخنوخ، سَبَبه أنَّ ما وُصِفَ به

---

(١) «المعارف» لابن قتيبة ص ١٠.

(٢) «البداية والنهاية» ج ١/ص ٩٩.

(٣) «تفسير غرائب القرآن» ج ١٦/ ص ٥٧.

أَخْنُوخ في «العهد القديم» من أنَّهُ سارَ مع الله بعدما ولد مَتُوشَالِح، وأنّه: (لم يُوجَد لأنّ الله أَخَذَه)، ومقابلة هذا الوصف مع قوله تعالى عن إدريس: ﴿وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٥٧] فلفظ: (سار أَخْنُوخ مع الله) استنتج منه أنّ أَخْنُوخ كان نبياً، وهو ما يَتَّفِقُ مع نبوّةِ إدريس في القرآن، ولفْظُ: (لأنّ الله أخذه) استنتج تطبيقَهُ على إدريس مِنْ قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٥٧]، ونَصّ ما جاء في العهد القديم عن أَخْنُوخ هو ما يلي: (وعاش أَخْنُوخ خمساً وستين سنة،وولد مَتُوشالِح، وسار أَخْنُوخ مع اللّهِ بعد ما ولد مَتُوشالح ثلاث مئة سنة، وولد بنين وبنات، فكانت أيّام أَخْنُوخ ثلاث مئة وخمساً وخمسين سنة، وسار أَخْنُوخ مع اللّهِ، ولَمْ يوجَدْ لأَنَّ اللّهَ أَخَذَه) (تكوين ٥: ٢١ ـ ٢٤).

وقد اقتبست الروايات السابقة نَسَبَ إدريس من نَسَبِ أَخْنُوخ الموجود في «العهد القديم» كذلك، وهو في كتاب اليهود: ابنُ يَارِد بن مَهْلَلْئِيل بن قِينَان بن أَنُوش بن شِيث بن آدم، وأنّه أبو جَدِّ نوح، فقد ولد له مَتُّوشَالِح، وولد لمَتُّوشَالِح لاَمِك، وولد لِلامِك نوح[١].

واختلفَتِ اليهودُ في تَحدِيدِ السَّنَةِ التي وُلِدَ فيها أَخْنُوخ وولدُهُ، كما اختلفَتْ في شأنِ شيث ووَلدِه، كما بَيَّنّا في الجدْوَلِ السّابِق، وإلَيْكَ جدولاً مكمّلاً للجَدْوَلِ السابق، يبيّنُ الاختلافَ في السِّنِين ما بين أَخْنُوخ ونُوح، مع العِلْم بأنَّ هنالِكَ آراء تتَّفِق مع ما تؤْمِنُ به اليهود من أنَّ السِّلْسِلَة المبيَّنَة في الجدْوَلَيْن من آدم إلى نوح يعتبر أفرادها كلّهم أنبياء مرسلين:

---

(١) راجع سفر التكوين ٥: ١ ـ ٢٩.

الأسماء	حياتهم عند ولادة البكر			حياتهم بعد ولادة البكر			طول حياتهم		
	عبرانية	سامرية	سبعينية	عبرانية	سامرية	سبعينية	عبرانية	سامرية	سبعينية
أَخْنُوخ	٦٥	٦٥	١٦٥	٣٠٠	٣٠٠	٢٠٠	٣٦٥	٣٦٥	٣٦٥
مَتُوشَالِح	١٨٧	٦٧	١٨٧	٧٨٢	٦٥٣	٧٨٢	٩٦٩	٧٣٠	٩٦٩
لاَمِك	١٨٢	٥٣	١٨٨	٥٩٥	٦٠٠	٥٩٥	٧٧٧	٦٥٣	٧٧٣
نُوح	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠[١]	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٩٥٠	٩٥٠	٩٥٠[٢]

ونحن لا نرى ما يحولُ دون القَوْلِ بأنَّ لإدريس اسماً آخر هو أَخْنُوخ، أو خلافه[٣]؛ ما دامَ لَيْسَ هنالك خلاف في أنَّ إدريس كانَ في المدَّةِ التي بين آدَم ونُوح، كما تَبَيَّنَ لنا من كتابِ اللَّهِ.

(٤) إدريس والعقائد الدينية:

وسواء كان إدريس أوّل نبي أُرْسِلَ بَعْدَ آدم، أو سَبَقَهُ غيرُهُ، فقَدْ بعثَهُ اللَّهُ لقَوْمِه ليبيِّنَ لهم صِدْقَ عقيدَةِ التَّوْحِيد، ويذكّرهم بقِصَّةِ أبيهم آدَم، وليثبّتهم على الإيمان، وليحاول إرشاد من ضَلَّ منْهُم عَنْ سَوَاءِ السَّبِيل.

وليحذّرهم من اتّباع إبليس، ومن تَحْقِيق ما توعَّدَ به الشَّيْطانُ ربَّهُ فيهم: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ١٦ و ١٧] وليذكّرهم بأنَّهم لو تمسَّكوا بعبادَةِ اللَّهِ وعَدَمِ إشراك غَيْرِه في عبادَتِه، لأَصْبَحُوا في مناعَةٍ من

---

(١) هذا الرقم يدلُّ على سنّ نوح عند حُدُوث الطُّوفان، ففي العَهْدِ القَدِيم: (لما كان نوح ابن ست مئة صار طوفان الماء على الأرض) (تكوين ٧: ٦).

(٢) هذا الرقم لا يتعارَضُ مع ما جاء في القرآن الكريم عن سنّ نوح، قال تعالى: **﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾** [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ١٤].

(٣) ويقال: إن عاذيمون وهرمس هما شيث وآدم: «الملل والنحل» ج٢/ ص: ١١٢ و ١١٣.

الشيطان، وأنَّهُ تعالىٰ قالَ لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآية: ٤٢] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٨٥].

ولا شكَّ أنَّ إدريس ذَكَّر قومَهُ بمَعْصِيَة آدم وزوجه وإبليس، وبِمَا آلَ إليه أمْرُ كُلٍّ منهُم، وأنَّهُ ذكَّرَهم بفِعْلِ أحَدِ ولدي آدم بأَخِيه، وأنَّهُ تلا عليهم قصَّتَهُ على نَحوِ الوجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللّهُ لخاتَم النبيّين في القُرْآنِ الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيات: ٢٧ ـ ٣١][1].

فلا شَكَّ أَنَّ إِدْرِيس بَيَّنَ لقَوْمِهِ حقيقةَ التَّوْحيد، وبَيَّنَ لَهُم ما هِيَ

---

(١) نعتقد أنَّ هذه القصة ذَكَرَها إدريس لقومِهِ وذكَّرَهُمْ بها، ليبيِّن لهم ما هي المعصية وما هو جزاؤها، بل ونَعْتَقِدُ أنَّهُ ليس بمسْتَبْعَد أنَّ هذه القصة ذَكَرَها مُعْظَمُ المرْسَلِينَ لأقوامِهم إنْ لَمْ يَكُنْ كلّهم، خاصَّةً وأنَّ اللّهَ تعالى رَتَّبَ عَلَيْها حُكْماً في التَّوْرَاةِ، إذْ قالَ اللّهُ تعالى لخاتَم النبيِّينَ بَعْدَ أنْ ذَكَرَ له قِصّة وَلَدَيْ آدمَ: **﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات، ثم إنَّ كثيراً منهم بعد ذلك لمسرفون﴾** [٥ سورة المائدة/ الآية: ٣٢]

المعصية وما هو العِقاب على الذَّنب، وما هُو الجَزاء لِمَنِ اتَّبَعَ هُدَىٰ الله، وغَيْرَ ذَلِكَ من العَقائِدِ، كالوحي، ويَوْمِ الحِساب، وجهَنَّم، والجَنَّةِ، وخلودِ العذابِ والثوابِ، والتوبَةِ والاسْتغفار، وهكذا. . . كما بَيَّن لَهُم ما هي الفِتْنة، ولعلّه أُوحِي إليه بمثْلِ ما أُوحِي إلى خاتَم النبيِّين من قولِهِ تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٧ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢٨﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٢٦ ـ ٢٨].

ولا عَجَبَ أنْ ينزَّلَ على إدريس مثل هذا، فقد قالَ تعالى لِرَسولِهِ الكريم خاتم النبيين: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ۝٤٣﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآية: ٤٣].

المبحث الثالث
نوح والعقائد الدينية

أَرْسَلَ اللَّهُ بعد إدريس نوحاً، وقد كانَتِ الفترةُ بين إدريس ونوح كافية لاتِّساع عَمَلِ الشَّيْطان، وإغوائه للناس، وصَرْفِهِم عن توحيدِ الله، وإضلالهم عن العقائِدِ الدِّينية الصَّحيحة التي نادَىٰ بها إدريس من قَبْلُ، وسنحاول هنا تحديدَ الزَّمَنِ الذي بُعِثَ فيه نوح، وما أعلنه لقومِهِ من عقائد الإسلام، وسنَبْدأُ بذِكْرِ ما جاء في القرآن ممّا لَهُ صلة برسالته:

١ ـ نوح ورسالته في كتاب الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٣] وقال لرسوله الكريم خاتم النبيين: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣].

وقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ...﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤].

وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٥٩ ـ ٦٤].

وقـــال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآيات: ٧١ ـ ٧٣].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ
ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ
لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ
يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ
سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ
أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن
سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى
مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا
تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا
عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ
﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ
وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ
رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ
يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ
إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ
مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ
يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ
ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ

تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [١١ سورة هود/ الآيات: ٢٥ ـ ٤٩].

وقال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآية: ٣٧].

وقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٧٦ و ٧٧].

وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّىۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٠٥ ـ ١٢٢].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآيتان: ١٤ و ١٥].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيتان: ٧١ ـ ٨٢].

وقـــال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [٥١ سورة الذاريات/ الآية: ٤٦].

وقـــال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

[٧١ سورة نوح/ الآيات: ١ ـ ٢٨].

وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآيات: ٩ ـ ١٦].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيات: ٢٣ ـ ٣٠].

وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآيتان: ٥ و ٦].

٢ ـ ما ذكر عن زمن دعوة نوح ومكانها:

ذكرنا في المبحث الثاني شيئاً من أقوال المؤرّخين من المسلمين

يقرِّب إلى الذهن الزمنَ الذي وُجِدَ فيه نوح، وبيَّنَّا كيف أنَّ أقوال هؤلاء المؤرِّخين أخذت من المصادر اليهودِيّة على وجْهٍ عام، وذكَرْنا أنَّ هذه المصادر الأخيرة تناقَضَتْ تناقُضاً ظاهِراً فيما بينها، ونَسْتَطِيع أن نُضِيفَ هنا ملاحظةً على ذلك التَّناقُضِ فيما يخْتَصُّ بزَمَنِ رسالة نوح، فإنَّه بالنظر إلى الْجَذْوَلِين السابِقَيْن نَجِدُ النسخة السامرية من العهد القديم تجعل نوحاً حين مات آدم ابن مئتين وثلاث وعشرين سنة، باعتبار أنَّ سنَّهُ حين حَدَث الطوفان كان ست مئة سنة حسب النسخ الثلاث من العهد القديم، وأن آدم عاش تسع مئة وثلاثين سنة.

فالقولُ بأنَّ نوحاً كان ابن ٢٢٣ سنة عند موت آدَم، لا يؤيِّدُه أحدٌ من المؤرِّخين، بل وتناقِضُه النسخة العبرانية التي تَذْكُرُ أنَّ ولادَةَ نوح حدَثَتْ بعد مَوْتِ آدم بمئة وست وعشرين سنة، وتناقِضُه النسخة اليونانية التي ذكرتْ شيئاً آخر مخالِفاً، إذ جعلت ولادة نوح كانت بعد موت آدم بسبع مئة واثنين وثلاثين سنة (٧٣٢).

وإليك جدولاً يغني عن الرجوع إلى الجدولين السابقين، ويتبيّن فيه مجموع السنين من خلق آدم إلى زمن الطوفان، وأنه بحساب النسخة العبرانية ألف وست مئة وست وخمسون سنة (١٦٥٦) وعلى وفق النسخة السامرية ألف وثلاث مئة وسبع سنين (١٣٠٧)، وعلى وفق النسخة اليونانية ألفان ومئتان واثنتان وستون سنة (٢٢٦٢).

الأسماء قبل الطوفان	حياتهم عند ولادة البكر		
	العبرانية	السامرية	السبعينية
آدم	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شِيث	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
أَنُوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قِينان	٧٠	٧٠	١٧٠
مَهْلَلْئِيل	٦٥	٦٥	١٦٥
يَارد	١٦٢	٦٢	١٦٢
أَخْنُوخ	٦٥	٦٥	١٦٥
مَتُوشَالِح	١٨٧	٦٧	١٨٧
لاَمِك	١٨٢	٥٣	١٨٨
نُوح	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

وروى ابْنُ سَعْدٍ بسَنَدِهِ، عن ابن عباس، قالَ: كَانَ لِلَمِك يَوْمَ وَلَدَ نُوحاً اثنان وثمانون سنة، ولم يكن أحدٌ في ذلك الزمان ينهىٰ عن مُنْكَرٍ، فبَعَثَ اللَّهُ نوحاً إِلَيْهِمْ، وهو ابن أربع مئة وثمانين سنة، ثم دَعاهم إلى نبوَّتِه مئة وعشرين سنة، ثم أمَرَهُ بصَنْعَةِ السفينة، فصَنَعَها ورَكِبَها وهو ابن ست مئة سنة، وغَرِقَ مَنْ غَرِقَ، ثم مَكَثَ بعد السفينة ثلاث مئة وخمسين سنة، فولد نوح سام، وفي ولده بياض وأدمة؛ وحام، وفي ولده سواد وبياض قليل؛ ويافث، وفيهم الشقرة والحمرة؛ وكنعان، وهو الذي غَرِقَ؛ والعرب تسميّه يام؛ وذلك قول العرب: إنَّمَا هَامَ عَمُّنا يام؛ فأمّ هؤلاء واحدة[1].

(١) «الطبقات الكبرى» مجلد ١/ص ٤٠ و٤١.

وذكر ابن سعد أنَّ الجُودِيّ الذي استوتْ عليه السفينة هو جبل بالحصينين من أرض المَوْصِل، وأن نوحاً هَبَطَ إلى قرية، فبنىٰ كلُّ رَجُلٍ من الثمانين الذين كانوا في السفينة، وهم هو وبنوه وكنائنه نساء بنيه وثلاثة وسبعون من بني شيث بيتاً، فسُمِّيَتْ بذلك سوق الثمانين، فغَرِقَ بنو قابيل كلّهم، وأنَّ ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، وكانوا عشرة قرون.

ورُوِيَ عن ابن عَبَّاسٍ أنَّ نوحاً تزوَّجَ امرأةً من بَنِي قَابيل، فولدت له غلاماً، فسمَّاه يوناطن، فولد بمدينة بالمشرق يقال لها: (معلنور شمسا)، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحوَّلوا إلى بابل، فبَنُوها، وهي بين الفرات والصّراة، وكانت اثني عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً، وكان بابُها موضع دوران اليوم في جِسْرِ الكوفة يسرةً إذا عبرت، فكثروا فيها حتى بلغوا مئة ألف وهم على الإسلام[1].

وجاء في «البداية والنهاية» في نَسَبِ نوح مثل ما جاء في قَوْلِ اليهود، فهو نُوح ابن لامِك بن مَتُوشَلِح بن خَنُوخ - وهو إدْرِيس - بن يَرِد بن مَهْلاييل بن قِينِين بن أَنُوش بن شِيث بن آدَم؛ وذُكِرَتْ فيها سَنَةَ ولادَةِ نوح على وفْقِ النّسْخَةِ العبرانِيّة، أي: إنَّ مَوْلِدَ نُوح كان بَعْدَ وفاةِ آدَم بمئة وست وعشرين سنة، وأنَّ هذا فيما ذَكَرَهُ ابنُ جَرِيرٍ وغَيْرُه[2].

وذكر ابن قتيبة، عن وهْبٍ كلاماً مماثلاً لما تقدّم، غَيْرَ أنَّهُ ذَكَرَ أنَّهُ كان بين مَوْتِ آدَمَ إلى غَرَقِ الأرض ألفي سنة ومئتي سنة واثنين وأربعين سنة (٢٢٤٢)[3].

---

(١) «الطبقات الكبرى» مجلد ١/ص ٤١ و ٤٢.

(٢) «البداية والنهاية» ج ١/ ص ١٠١.

(٣) «المعارف» ص ١٠ ـ ١٢.

ولم يخرج صاحب «البحر الزاخر» عن الأقوال السابقة كثيراً، وقال: قال المفسرون: إنَّ نوحاً بُعِثَ وهو ابن أربعين سنة، ولبثَ يدْعو قومَهُ تسع مئة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان مئتين وخمسين سنة، فكان عمره ألفاً ومئتين وأربعين سنة (١٢٤٠)[١].

٣ ـ الأبحاث العلمية لمعرفة موضع الطوفان وزمنه:

وقد أُجرِيَتْ في العراق عملياتٌ من التَّنقيب أثبتَتْ للقائمين بها أن الطوفان حقيقةً حدثَتْ فِعلاً، وأنَّ الطوفان لم يشملِ الكرةَ الأرضية كلّها، بل كان سيلاً عَرِماً طغىٰ على وادي دجلة والفرات، وأغرقَ كلَّ المنطقة المأهولة الواقِعَةِ بين الجبال والصحراء، وأنَّ هذه المنطقة كانت بالنسبة لسكانها هي الدنيا بأسْرِها.

وقد بدأتِ الحفريات سنة ١٨٥٤ م في ربوة منخفضة وتقع في منتصف المسافة بين بغداد الحديثة والخليج الفارسي، على بعد نحو عشرة أميال غربي مجرى نهر الفرات الحالي، فعثر على عمْقٍ غير بعيدٍ من سطح الأرض على بعض نقوشٍ وآثار، عرف منها أن هذا الموضع لم يكن إلا موضع مدينة أور Ur الشهيرة التي كانت مزدهرة في عصر الكَلْدانيين، والتي قيل: إنها كانت مدينة رسول الله إبراهيم.

وفي أوائل سنة ١٩٢٠ قامت بعثة اشترك فيها المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانية الأمريكية للتنقيب والبحث عن آثار أخرى في هذه المنطقة، وفي سنة ١٩٢٢ بُدِىء بالقيام بعمليات ضخمة من التنقيب لبثت اثني عشرة سنة، واتخذت فيه الخطوات الآتية:

---

(١) «البحر الزاجر» ج ١/ص ١٢ و ١٣.

١ ـ بعد حفر خنادق تجريبية عثر على أجزاء من السور الكبير الذي أحاط به بُخْتُنَصَّر مدينة أور المقدّسة، وعثر على بعض آثار استدل منها على أن هذا الموضع كان مقبرة أولاً، ومن هذه الآثار مزهريات وطاسات وأشياء كثيرة مصنوعة من البرونز وحبات بعضها من الذهب.

٢ ـ ثم انتقل البحث في منطقة تل العبيد التي تقع على بعد أربعة أميال شمالي أور، وفي ربوة قليلة الارتفاع عثر على أدوات من الصوان وأجزاء أخرى من أواني فخارية كان من المعروف أنها ترجع إلى ما قبل التاريخ، وعندما بُدِىءَ التنقيبُ في هذه المنطقة، وعلى بعد بضعة بوصات قليلة من التراب والأواني الفخارية المهشّمة، وجدت طبقة من الطين الجاف سمكها ثلاثة أقدام، تقع تحتها طبقة نظيفة من التربة التي ترسّبها المياه. ودلّ ما وُجِد مطموراً في الطبقة الطينيّة من آثار أن هذه الطبقة تعود إلى العصر الحجري، إذ وجد فيها كميات من الأواني الفخارية الملوّنة وأدوات من الصوان والبلور الصخري والزجاج البركاني الأسود Obsidian وبعض قطع من الفخار عليها آثار من عيدان البوص، ولم ير فيها أثر لأداة معدنية، وقد استدلّ من ذلك أنّه كان في العصر الحجري أناسٌ يعيشون في أكواخ مصنوعة من عيدان القَصَب والطِّين على جزيرة ترتفع قليلاً عن المستنقع، وقد بُنِيَتْ أكواخ واحد فوق آخر خلال أجيال عديدة، وأن هذه القرية مُحِيَتْ من الوجود لسببٍ ما.

٣ ـ وفي خلال السنوات الأربع التالية عُثِرَ في مقبرة أور على ستة عشر قبراً من القبور الملكية لاحتوائها على أدوات وحلي ذهبية وأحجار كريمة وأوان فخارية متقنة الصنع.

٤ ـ ثم استؤنف التنقيب بحفر بئر مساحَتُه خمس أقدام مربعة تحت مستوى القبور، فاخترق من البئر طبقة اختلطت فيها كميات كبيرة من

النفاية والطين، وقطع الآجر والرّماد، وأواني فخارية مهشّمة، وزال فجأة كل أثر لأي إنسان، وظهرت طبقة من الطين خالية من كل شيء.

٥ ـ ولما استمرّ الحفرُ في نَفْسِ المكان في طبقةٍ سمْكُها ثمانية أقدام، تبيّن أنّ هذه الطبقة قد تكوّنَتْ من الطين الخالِص الذي ترسِّبُه المياه، وقد ترجّح الرأي بأنَّ هذه الطبقة هي أثر من آثار ذلك الفيضان الذي حدث في زمن نوح، لأنَّهُ وجد تحتها آثار القوم الذين أغرقهم هذا الطوفان، مثل أدوات من الصوان وأوان من الفخار مهشّمة، وتشبه إلى حدٍّ كبير تلك الآثار التي اكتشفت في تلّ العبيد.

٦ ـ وفي الموسم التالي استؤنفَ البحثُ في المكان الذي وُجدَتْ فيه المقابر المَلَكِيّة، واختيرت بقعة على شكل مستطيل طوله خمس وسبعون قدماً، وعرضه ستون قدماً، وحفرت إلى بعد أربع وستون قدماً من سطح الأرض على شكل بئر واسع، وعندما وصل الحفر إلى أسفل مستوى القبور، ظهرت أطلال بيوت مبْنِيّة بنوعٍ غريب من الطوب الأحمر، سقوفها مقوّسة إلى أعلى، ثم تلاها ثمانِ طبقات أخرى من المساكن، ثم ظهرت بعد ذلك طبقة من الأواني الفخارية المهشّمة يبلغ سمكها ثمان عشر قدماً، اتّضَح أنّه كانَ مصْنعاً للفخار، وأنّ البئر يخترق مستودَعاً كانت تلقى فيه الأواني الفخارية التي كانَتْ تتلف أو تكسر أثناء صَفِّها.

٧ ـ وفي أسفل هذه الكومة ظهرتْ بقعةٌ رقيقةٌ من أواني يدوية الصنع من ذلك النوع الذي وجد في الأبيض، وإن اختلف عنه قليلاً في الاتقان.

٨ ـ ثم ظهر الطمي الخالص الذي اعتبر أنَّ الطوفان هو الذي رسَّبَه طبقةً فوق طبقة، وكان سمْك الطّمْى في هذه البقعة إحدى عشر

قدماً، باستثناء عِرْقٍ من طمي أقتم لوناً، كان ينتظم التكوين خلال الطبقة كلها، ودلَّ الفحص المجهري على أنّ المياه هي التي رسَّبَتْه، وأنه يتكون من مواد جَرَفَتْها المياه من المنطقة الوسطى لنهر الفرات.

واستنتج من سمْكِ هذه الطبقة أنَّ ارتفاع الفيضان لم يكنْ أقلّ من خمس وعشرين قدماً، وقورن هذا الارتفاع بما جاءَ في العهْدِ القديم بأنّ ارتفاع الطوفان كان ستّاً وعشرين قدماً[١]، ووجدتْ تحت الطِّمْي كميات من الطوب البالي والرماد والأواني الفخارية المهشّمة التي تدلّ على وجود الإنسان.

٩ ـ وميّزت ثلاث طبقات متتالية سكنها الإنسان قبل الطوفان، تنتشر فيها كمياتٌ وافرةٌ من الأواني الفخّارية التي تعود إلى العصر الحجري من النوع الذي يدار باليد، والذي اكتشف في الأبيض، ومن الأدوات الصوانية وتماثيل من الفخار، وأجزاء من الملاط لا يزال منطبعاً عليها آثار أعواد البوص، ووجدت أكواخ مبنية من أعواد البوص الممسوك بالطين، قد بنيت فوق مرتفع من الأرض يحيط به الماء، وكانت قطع الأواني الفخارية المتناثرة حول المكان في مستوى أعمق قليلاً، وتقع كلها في مستوى أفقي، ولم تكن تحت بقايا العصر الحجري هذه إلاّ طمي أخضر يابس لا تتخلله إلا بقع الجذور النباتية السمراء لا أثر فيه للإنسان، واعتبر هذا المستوى هو الأساس الذي نشأ عليه العراق القديم.

وكانَتِ الربوةُ الطينيّة التي كانت الأكواخ تستقر عليها أقلّ ارتفاعاً بكثير من الربوة القريبة التي بنيت عليها مدينة أور، واستقر رأي

---

(١) جاء في العهد القديم: (خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعظمت المياه فتغطت الجبال). تكوين (٧: ٢٠).

المنقّبين على أن الطوفان هو الذي دمَّر هذه الأكواخ ودمَّر معها العصر الحجري[1].

وقيل: إنَّ الطوفانَ الذي حَدَثَ أيّام نوح كان نحو سنة ٣٤٠٠ أو ٣٢٠٠ ق.م في بلاد النهرين (العراق)، وأنَّهُ كانت قد سبقته سلسلةٌ من الفصول المَطِيرَة غير العادية سنة ٤٠٠٠ ق.م، في تلك البلاد، أحدثت فيضان الأنهار فيها[2].

٤ ـ العقائد الدينية في رسالة نوح:

وسنرى أن ما جاء ذكْرُه من العقائد الدينية في رسالة نوح هو عين ما جاء ذكره في قصة نوح وأنذرت به الخليقة منذ نشأتها، وبيّنَه الله لآدم وبنيه منذ بدء الخليقة، وسنرى كيف بيَّنَ اللّهُ العناصر الأصلية في العقائد في قصة نوح:

١ ـ الله والوحي والرسالة:

ما جاء عصر نوح حتَّى عادَ الناس وقد نسوا ما ذكِّروا به مِنْ قبلُ مِنْ وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وتسلّط عليهم الشيطان ليبعدهم عن سبيل الله، واتَّخذ معهم طريقاً آخر غير الذي سَلَكَه مع آدم، فلم يقنعْ بالحثّ على فِعْلِ المعْصِيَة، بل تعدَّى إلى أكثر من ذلك، فزيّن لبني آدم عبادة الآباء والأجداد والتماثيل والأوثان والأصنام، وقد ساعَدَ إبليس في دعوته أتباعه من شياطين الإنس والجن[3]، فحرّضوا الناس على التمسّك بباطل العقائد، واستطاعوا أن

---

(١) «الأرض التي نعيش عليها» ص ٢٨ ـ ٣٤.

(٢) «العائلة البشرية» ص ١٨٢.

(٣) قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. . .﴾ [٦ سورة الأنعام/الآية: ١١٢].

يزيّنوا لهم طرق الضلال، وقد سعوا إلى ذلك سعياً متواصلاً تحقيقاً لشهواتهم، وطمعاً في السيطرة على عقول البسطاء والعوام وغيرهم من ذوي الأغراض الدنيا، وحباً في السيطرة وتولّي مراكز الرئاسة فيهم، وللحصول على ما يمكنهم الحصول عليه من أعراض الدنيا، من مال ومتاع وغيره.

اتّخذ القوم لأنفسهم آلهة يعبدونها من دون الله، وعبدوا ودّاً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونَسْراً، وقد قيل: إن هذه كانت أسماء أقوام صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كانوا أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم؛ فصوّروهم، فلما ماتوا جاء آخرون، فتقرّب إليهم إبليس، فقال: إنّما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقطون المطر؛ فعبدوهم[1].

وقيل: إنَّ هذه الأسماء ظلّت معروفة حتى عهد الجاهلية، فكان ود لكلاب بدومة الجندل، وكان له صورة رجل؛ وكان سُواع لِهُذَيل برباط وكان له صورة امرأة؛ وكان يغوث لبني غطيف من مراد بالجرف من سبأ، وقيل: هو صنم لمذحج وبعض قبائل اليمن، وكان له صورة أسد؛ وكان يعوق لهمدان ببلخع، وكان له صورة فرس؛ وكان نسر لذي كلاع من حمير، وكان له صورة نسر[2].

لقد كان نوح رسولاً يوحىٰ إليه، وهو ما جاء في قوله تعالى لخاتم النبيين: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ..﴾ [٤

---

(١) ذكره الطبري بسنده عن محمد بن قيس. «جامع البيان» جـ ٢٩/ص ٦٢.

(٢) «جامع البيان» جـ ٢٩/ص ٦٢، و «تفسير غرائب القرآن» جـ ٢٩/ص ٥٢ و٥٣، و «نيل الأرب» ص ٩٤.

سورة النساء/ الآية: ١٦٣]، وكما جاء في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ..﴾ [١١ سورة هود/ الآيتان: ٣٦ و٣٧] وفي قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ..﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٢٧].

وكانَ أوّل شيءٍ أرسِلَ به نوح هو الدعوة إلى توحيد الخالق، والتعريفُ بالله، وأنّهُ هو الذي تَجِبُ له العبادة دون سواه، وترك عبادة غيره مما يتّخِذونه للعبادة، مثل: التماثيل والأوثان والأصنام، وما ترمز إليه من المخلوقات أيّاً كانت هذه المخلوقات. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٥٩] ﴿.. يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٢٣].

وأخذ نوحٌ يعدِّد لهم نِعَمَ اللّهِ عليهم، وبيَّنَ لهم أنَّ رَبَّهُم هو الله الذي بيده وحده أنْ يُنَزِّلَ الماء من السماء، هذا الماءُ الذي يشربون منه، ويسقون به أنعامَهُم، ويحيي الله لهم به أرْضَهُم بعد موتها، وأنّه هو الذي يمدُّهم بكلّ ما هم في حاجة إليه من أرزاق ونعم مختلفة، وأنه هو الذي يرزقهم بالأولاد حسب القانون الإلهي الذي سَنَّهُ الله في الزّواج، فيزداد بذلك عَدَدُهم، فيزدادون قوةً، وتنفسح أمامهم أبواب الأمل في الحياة، وأنَّهُ هو الذي جعل لهم الحدائق المثمرة، يتمتّعون بما تخرجه لهم من ثمارٍ لذيذة الطعم، طيِّبَة المأكل، وأزهار جميلة المنظر، زكيَّة الرائحة، وأنه هو الذي أرسل الماء في الأرض، وأنْزَلَهُ على قِمَم الجبال، فجَرَىٰ في مجاري خاصّة حسب قوانين معيّنة، فسار أنهاراً يستغلُّونها في تحقيق كثيرٍ من

رغباتهم، وأنَّهُ هو الذي خلقهم في أطوار مختلفة، فجعلهم أجنة، ثم أطفالاً، ثم كبروا ونموا حتَّىٰ صاروا شُبّاناً، ثم شيوخاً، ورفع فوقَهُم سبع سماوات في طبقاتٍ يعلو بعضُها البعضَ الآخر، وخلق القَمَرَ فيهن لينير لهم الأرضَ في الوقْتِ الذي لا تَصِلُ إليهم فيه أشعَّةُ الشمس، وليستطيعوا على نوره أن يسافروا على إبلهم ليلاً آمنين من ضربة الشمس وشِدَّةِ الحرارة، وليستطيعوا بواسطة القمر كذلك أن يعرفوا الزَّمَنَ، وليحسبوا بدورته الشهور والسنين، وأنَّهُ هو الذي جعل الشَّمْسَ تضيء لهم في ساعات النهار، وجَعَلَها تمدُّهم بالأشعَّة والضوء اللازم لحياتهم وحياة دوابهم وأنعامهم ونباتهم، وأنَّه هو الذي مهَّدَ لهم الأرْضَ ليتيسَّرَ لهم السفر والسير فوقها، وجعل لهم فيها طُرُقاً لا تَقِفُ دونها عقبات من جبال تصدّهم عن التَّجْوال في أنحائها، وجعل هذه الطرق بعيدة عن المرتفعات العالية، أو تجري بينها، وقد بَيَّنَ اللَّهُ ذلك في قول نوح لقومِهِ أنَّ الله: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [٧١ سورة نوح/ الآيات: ١١ ـ ١٦، ١٩ و ٢٠].

وقد أراد نوحٌ بذلك أن يبيِّنَ لقومِهِ أنَّ معبوداتِهِم التي يعبدونها من دون الله لا قيمةَ لها، ولا قُدْرَةَ لها على الخَلْقِ والإبداع، ولا تملك لهم خيراً ولا نَفْعاً، وأنَّها من مصْنُوعات أيديهم، فلم يجدوا أمامهم حجة يحتجُّون بها عليه إلا قولهم له أنَّهُ هو الذي خرج عليهم وعلى معبوداتهم، وأنَّه بذلك يكون

ضالاً عن طريق ديانتهم التي توارثوها عن أسلافهم؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٦٠ ـ ٦٣].

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآيات: ٢٧ ـ ٣٤].

وقد تمسّكوا بما عَكفوا عليه من أصنامهم ومعبوداتهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [٧١ سورة نوح/ الآية: ٢٣].

ولقد بَيَّنَ اللّهُ تعالى في قِصّة نوح، أن تكذيب رسولٍ واحدٍ،

هو تكذيبٌ بالرُّسُل كلِّها[1]. ونعتقد أنَّ الله أراد هذا المعنى في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٧] فاعتبر المكذِّبون لنوح مكذِّبين بالرسالة كلها وبالرسل أجمعين. ونعتقد كذلك أن نوحاً بيَّنَ هذه الحقيقة لقومِهِ، وذكر لهم أنَّهُ مِنَ المفروضِ عَلَيْهِم أن يؤمنوا بأنَّ هناكَ رُسُلاً من البشر يرسلها اللَّهُ لهدايَتِهِم ودعوتِهِم إلى الله وتوحيده وطاعته، فلقد كانت قوم نوح لا تؤمن بأن الله يرسل بشراً رسولاً: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٢٧] وأخذوا في تكذيب نوح، وأخذ بعضهم يقول للبعض الآخر: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً..﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٢٤] فكان يقول لهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٣].

ولقد كان جزاؤهم لما كذبوا (الرسل) و (الرسالة) أنَّ اللَّهَ أغرقهم وجعلهم آية، وأعدَّ لهم بعد ذلك العذابَ في اليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآية: ٣٧].

---

(١) وقد جاء مثل هذا في رسالة خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٨٥].

وقال جلّ شأنه: ﴿إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [٤ سورة النساء/ الآيات: ١٥٠ ـ ١٥٢].

٢ ـ اليوم الآخر والبعث والحساب:

وفي رسالة نوح بيان بالبعث والحساب، فقد ذَكَّرَ نوحٌ قومَهُ بأنهم قد أنشَأَهُمُ اللَّهُ من الأرض وأنْبَتَهم منها نباتاً، ثم أنَّهُ سوف يعيدَهم فيها تراباً كما كانوا، قبل أن يخلقوا، ثم أنه سوفَ يخرجهم منها أحياء كما كانوا من قَبْلُ، فكما خَلَقَهُم من سلالةٍ خاصَّةٍ من عناصر التزبَةِ، كما خلق أباهم آدَمَ، وحوَّل هذه العناصر إلى خلايا وأنسجة وأعضاء في أبدانهم الحيّة، فسوف نخرجهم تارة أخرى إخراجاً، وهو قوله تعالى على لسان نوح: ﴿وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [٧١ سورة نوح/ الآيتان: ١٧ و ١٨].

وذكر نوح لقومه أنهم سوف يخرجون ويحيون بعد أن يصيروا عظاماً وتراباً لا لشيء إلا ليحاسبوا على موقفهم حيال رسلهم، وأن الله هو الذي سيفصل بينهم وبين المؤمنين يوم القيامة، وقد جاء ذكر الحساب في مقام قول الكافرين برسالة نوح بأنهم لن يؤمنوا برسالته إذ أن الذين اتبعوه هم الطبقة الدنيا فيهم، وليست الطبقة التي بيدها السلطان والقوة، وحجتهم في ذلك أنه لو كان ما يقول حقاً لاتبعه سادتهم وأغنياؤهم وذوو الجاه فيهم، فقد ظنوا أن العقل الراجح يكون عند هؤلاء لا عند الفقراء والمحكومين وعامة الناس، وأنه بذلك لا يليق بهم أن يكونوا في كفة واحدة مع هؤلاء الذين سموهم بالأرذلين، قال تعالى: ﴿۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١١١ ـ ١١٥].

وقال لهم نوح إنهم لا شك سوف يرجعون إلى الله وسوف يحاسبهم على كل هذا العصيان والتكبر، وهو قوله تعالى على لسان نـــــوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٣٤].

٣ ـ النار والخلود فيها:

وقد جاءت في رسالة نوح إشارة إلى عذاب اليوم الآخر، وهو اليوم الذي سينتهي بالكفار إلى عذاب أليم عظيم، وهو اليوم الذي أرسل الله رسله لتحذير الناس منه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [٧١ ســـورة نوح/ الآية: ١] وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [١١ سورة هـود/ الآيـتـان: ٢٥ و ٢٦] وقـولـه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٥٩].

وقد بين الله أن هذا العذاب دائم مستمر، وقد بين هذا الدوام الذي يعني الخلود قوله تعالى على لسان نوح: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٣٩] ولا شك أن العذاب لا يكون مقيماً إلا كان خالداً أبداً.

ودل على أن هذا العذاب المقيم يكون في نار جهنم[1] قوله تعالى في قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [٧١ سورة نـوح/ الآيـة: ٢٥] وسـمـى الله قـوم

---

(١) قال الطبري: وقوله: ﴿فأدخلوا ناراً﴾ [٧١ سورة نوح/ الآية:٢٥] جهنم. «جامع البيان» ج ٢٩/ ص ٨٦٣.

نوح ومن هم على شاكلتهم (أصحاب النار) في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآيتان: ٥ و ٦].

٤ ـ الجنة والخلود فيها:

ومع أنه لم يذكر لفظة (الجنة) في قصة نوح ورسالته، إلا أنه من المفهوم أن يقابل الخلود في النار، خلود في نعيم عبر عنه بالرحمة التي يتمتع بها المتقون، وما دام هنالك بعث وحساب، فسيكون المتقون متمتعين بتلك الرحمة تمتعاً دائماً، وحسبهم أن يذكر الله تعالى أنهم سيكونون في سلام من ربهم وأن يحفهم الله ببركاته، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٤٨] وحسبهم أن يجمع الله بينهم وبين نوح في هذا الوعد، وأن يكونوا ضمن من عناهم نوح في دعوته إذ قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [٧١ سورة نوح/ الآية: ٢٨] وحسبهم أن يكونوا مؤمنين وأن يوصفوا بما وصف به نوح قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١)﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ٧٩ ـ ٨١].

٥ ـ الذنب والجزاء:

ولقد بيّن الله ما اقترف قوم نوح من الذنب والمعصية، فقد كذبوا رسولهم ولم يؤمنوا بوحدانية الله، واتهموه بالجنون وازدجروه؛ قال تعالى: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ

﴿٩﴾ ﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآية: ٩] واتّهموه كذلك بالضلال: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٠] وكانوا يسخرون منه كلّما مرُّوا عليه وهو يصنع السفينة، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ . . ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٣٨] وكانوا يهدّدونه بالرّجْم: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١١٦] وكانوا يتربّصون به، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٢٥].

ونَصَرَ اللّهُ نوحاً والذين آمنوا معه، قال جلّ شأنه: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٧٧] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٧٦].

٦ ـ الاستغفار والتوبة:

وقد بَيَّن اللّهُ أنّ الإنسان إذا أخطأ خطأ ما، فعليه أن يستغفرَ ربّه، وضرب مثلاً لذلك نوحاً، فقد سألَ ربّهُ ما لَيْسَ له به علم، وطلب منه أن يُنجّي ابنَهُ من الغَرَقِ، وكان عليه أنْ يعلم بأنّهُ إن كان من الصالحين فلن يغرق مع الغَرقىٰ، فنَهاهُ اللّهُ عن هذا السؤال، فاستعاذَ نوحٌ بربِّهِ، وسأله الرحمةَ والمغفرةَ، وهو ما جاء في قولِهِ تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [١١ سورة هود/ الآيات: ٤٥ ـ ٤٧].

ودعا نوحٌ قومَهُ إلى عبادَةِ الله واتِّقَائِهِ وعدم عصيان رسولهم، ليغفر لهم رَبُّهُم، وبيَّنَ لهم أن الاستغفار والرجوعَ عن المَعْصِيَة سبيلٌ إلى رضاء الله، فاللَّهُ غفَّارٌ يقبل تَوْبَةَ التائبين، ويتجاوزُ عن سيِّئات المستغفرين، ولقد جاءَ هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [٧١ سورة نوح/ الآيات: ١ ـ ١٠].

٧ ـ الملائكة:

وقد كانَتْ قومُ نُوحٍ تعلمُ أنَّ هنالك ملائكة، وكانوا يتعالون على نوح، ويتباهَوْن عليه بمالهم، ويستَعْظِمون أن ينقادُوا ويسْمَعُوا إلى بشر مثلهم، فتكونُ له الرئاسة عليهم، وكانوا يزْعُمون أنَّهُ لو كان الله أراد أن ينزل إليهم رسولاً لينبئهم بشيء ما، لأرْسَلَ إليهم مخلوقات أرفع من البشر، وأنزل عليهم ملائكة من السماء[1]، وكانوا يقولون هذا عناداً واستكباراً، قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا

---

(١) وقال قوم نوح لرسولهم القول نفسه الذي قالته الكفار لخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك، ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون * ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨ و ٩].

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيتان: ٢٤ و ٢٥].

وقد أخبرَهُم نوحٌ أنّه لا يشترط في الرسول أنْ يكونَ عندَهُ أموال يُنْفِقُ منها على الناس، وأنَّ الفقراءَ ما آمَنَتْ به لأنه غني، فإنَّه ليس عنده خزائن الله، ولا لأنه من جنس آخر غير الجنس البشري، فهو ليس مَلَكاً، وأنهم كان الأخلق بهم أن يَدَعوا الكبرياء والتعالي، إن هو إلا نذير مبين. وفي هذا يقول جلّ شأنه على لسان نوح: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٣١].

٨ ـ إنزال عقوبة الله على العاصين:

ومن جملة العقائد التي جاءت في رسالة نوح، أنْ يؤمِنَ قومُهُ بأنَّ اللّهَ قادِرٌ على أن يفْتِكَ بالمكذِّبين برسالة النبيين، وأن يُذِيقَهُم العذابَ في الحياة الدنيا، بالبطش بهم إن شاء، ولهذا أنذر نوح قومه بأن الله قادِر أن يصيبهم بعذابٍ شديد في الحياة الدنيا، وأن يقضي عليهم جملةً إن هم ظَلُّوا على استهزائهم به، والاسترسال في غيهم وعدوانهم، ولكن ما كان منهم إلا أن قالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآيتان: ٣٢ و ٣٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٧٣].

المبحث الرابع
هود والعقائد الدينية

١ ـ هود ورسالته في كتاب الله:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف/ الآيات: ٦٥ ـ ٧٢].

وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ

قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ [١١ سورة هود/ الآيات: ٥٠ ـ ٦٠].

وقـــال: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَٱتَّقُوا ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٤٠) ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٢٣ ـ ١٤٠].

وقـال: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) ﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآيات: ١٨ ـ ٢١].

وقال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [٥١ سورة الذاريات/ الآيتان: ٤١ و ٤٢].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [٨٩ سورة الفجر/ الآيات: ٦ ـ ٨].

وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [٦٩ سورة الحاقة/ الآيات: ٤ ـ ٨].

وقال جلَّ شأنُهُ بعد أن ذَكَر قِصَّة نُوح، وبعد أنْ أخْبَرَ عن إهلاك الملأ الذين كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ، ونجاة نوح ومَنْ كان معه في الفُلْكِ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ (١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ

---

(١) قيل في قوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٣١] هم عاد وثمود، وفي قوله: ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٣٢] يعني هوداً وصالحاً. «الجواهر» ج ١١/ ص ١٣٠.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيات: ٣٠ ـ ٤١].

٢ ـ هود وزمنه ونسبه ومكان دعوته:

وقد أرسل الله هوداً إلى عاد بعد الطوفان، وبعد أن مضىٰ زَمَنُ نوح، وهو قوله تعالى يذكر قول هود لقومه: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٩].

وهود حسب رواية المؤرِّخين المسلمين من ولد سام بن نوح، ولكنهم اختلفوا في سلسلة النسب بينه وبين سام، فقال بعضهم إن هوداً هو ابن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عَاد بن عَوْص بن إرَم بن سَام بنِ نوح، فَبَيْنَه وبين نوح سبعة آباء[١]، واقتصر بعضهم على أنه ابن شالِخ بن أَرْفَخْشَذ بن سَام بن نوح[٢]؛ وقيل: هو عابر بن شالخ بن الجارود بن عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح[٣].

وعن ابن إسحاق: إن منازل عاد وجماعتهم حين بَعَثَ اللَّهُ فيهم هوداً هي الأحقاف.

قال: والأحقاف: الرَّمْلُ فيما بين عمان إلى حضرموت باليمن، وكانوا مع ذلك قد مشوا في الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي أتاهم الله، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله، صَنَمٌ يقال له: صداء، وصنم يقال له: صمود، وصنم يقال له: الهباء؛

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ج ٧/ص ٢٢٦، و «البداية والنهاية» ج ٢/ص ١٢٠.
(٢) «البداية والنهاية» ج ٢/ص ١٢٠، و «تفسير غرائب القرآن» ج ٨/ص ١٣٨.
(٣) «البداية والنهاية» ج ٢/ص ١٢٠.

فبعث الله إليهم هوداً، وهو أوسطهم نسباً، وأفضلهم موضعاً؛ فأمرهم أن يوحّدُوا اللّهَ، ولا يجعلوا معه إلهاً غيره، وأنْ يكفُّوا عن ظلْمِ الناس، ولم يأمرْهُم فيما يذكر، والله أعْلَمُ بغَيْرِ ذلك[1]، فأبوا عليه وكذَّبُوهُ، واتَّبَعَهُ ناسٌ وهم يَسِيرٌ، يكْتُمُون إيمانهم[2].

قال ابن جَرِير: إنَّ عاداً كانوا عرباً يسْكُنون الأحقاف، وهي: جبال الرمل، وكانت باليَمَنِ من عُمَان وحَضْرَمَوْت، بأرْضٍ مطلَّةٍ على البَحْرِ، يقال لها: الشّحْر، واسم واديهم: مُغِيث، وكانوا كثيراً ما يسْكُنون الخِيام ذوات الأعْمِدَة الضّخام، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ [٨٩ سورة الفجر/ الآيتان: ٦ و ٧] أي: عاد إرَم، وهم عاد الأُولىٰ، وكانوا أَوّلَ من عَبَدَ الأصْنام بعد الطوفان، وكانَتْ أصنامُهُم ثلاثة: صدا وصمودا وهرا، فبَعَثَ اللّهُ فيهم هوداً[3]، وقيل في قوله تعالى: ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٥] أي: ابن أبيهم، وقيل: أخاهم في القبيلة، وقيل: أي: بشر من بني أبيهم آدم[4].

٣ ـ العقائد في رسالة هود:

١ ـ التوحيد والرسالة:

إن أول ما دعا إليه هود في قومه، هو أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركون به شيئاً، وهو قوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾ [٧ سورة

(١) لقد حوت رسالة هود أكثر من ذلك كما سنبيّن بعد.

(٢) «جامع البيان» جـ ٨/ ص ١٥٣.

(٣) «البداية والنهاية» جـ ٢/ ص ١٢٠، ١٢١.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» جـ ٧/ ص ٢٣٥.

الأعراف/ الآية: ٦٥] وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٠] وهي عين الدعوة التي دعا إليها نوح في رسالته، وهذا ما سبق ذكره من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٥٩].

وطبيعي أن يخبر هود قومَهُ أنّهُ رسولُ الله إليهم، وأنّهُ أُمِرَ أن يبلّغهم ما أمر الله به من التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شيء من الإشراك، وأنّهُ يجب عليهم أن يؤمنوا برسالته وبما يتلو عليهم من آيات الله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٦٦ ـ ٦٨] وهو نفس ما بلغ به نوحٌ قومَهُ حين دعاهم إلى الإيمان: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٦٠ ـ ٦٢].

وبين لهم هود أنّ الله هو الفاطر الخالق، قال: ﴿.. إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥١] وأن الله هو ربّه وربّهم دون سواه، قال: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٦] وأنه هو ربّ العالمين، قال: ﴿.. إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية:

١٠٩] وذكّرهم بأن الله هو الذي جعلهم: ﴿.. خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٩] وأنه هو الذي زادهم: ﴿.. فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ ...﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٩] وأنه ﴿.. ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٤٠]، وأنه القادر على أن يزيدهم من ماء السماء ويزيد في قوتهم، قال: ﴿.. يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٢] وأنه هو صاحب النعم التي أنعم بها عليهم، قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٣٢ ـ ١٣٤] وأنه القادر أن يهلكهم ويستبدل قوماً غيرهم ولا يضرُّوه شيئاً، قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٧].

وأخبر هود قومَهُ أنَّ الأصنام التي يعبدونها، هم الذين أعطوها أسماءها، وليس فيها معنىً من معاني الألوهية، وأنَّها من عَمَلِهم وصنع أيديهم، فهي لم تخلقْهم، ولا تملك لهم نفعاً أو ضرّاً، وأنه لا حجّة لهم في القول بأنَّ هذه الأصنام عَبَدَها آباؤهم، فليس من العقل في شيء أن يتّبعَ الإنسان أباه إذا كان أبوه في ضلال وكان كافراً مشرِكاً لا عقل له، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ٧٠ و ٧١].

ولقد جاء في قصّةِ هود ما جاء من قَبْلُ في قصة نوح، من أنَّهُ من شروط الإيمان التصديق بالرُسُل جميعاً، أي: التصديق بالرسالة، فقد قيل في قصة نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٠٥ و ١٠٦] وقال تعالى في قصة هود: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٥]، ويؤكّد هذا أنَّ هوداً ذكَّرَ قومه برسالة نوح، فقال؛ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٩].

٢ ـ الاستغفار والتوبة:

ودعا هودٌ قومَهُ إلى الاستغفار بالإيمان بالله، وإلى التوبة من ذنوبهم السالفة، ووعدهم بالخير إن هم أجابوه، قال: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٢] وهو عين ماقاله نوح لقومه إذ دعاهم قائلاً: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [٧١ سورة نوح/ الآيات: ١٠ ـ ١٢] و ﴿.. يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ..﴾ [٧١ سورة نوح/ الآية: ٤].

وهكذا بيَّنَ هودٌ في رسالته، كما بيَّنَ نوحٌ مِنْ قَبْلُ أنَّ الأمْرَ بالاستغفار أنزله الله، وأنّ الله يقبل التوبة من عباده: ﴿.. إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [١١٠ سورة النصر/ الآية: ٣].

٣ ـ البعث والقيامة واليوم الآخر:

وبيَّن هود في رسالته حقيقة المَوْتِ والبَعْثِ، فأخْبَرَ قومَهُ أنَّ

الموتَ ليس هو نهاية أمرهم، بل إنَّهم سوف يُبْعَثُون بعد الموت، وأنهم سوف يخرجون من قبورهم ويعودون إلى الحياة مرةً أخرىٰ، يخلقهم الله من جديد، كما خُلِقُوا أوّل مرّةٍ، ويحاسَبون حسبَ أعمالهم التي ماتوا عليها، وأن هذا سيكون في اليوم الآخر(١) الذي لا يومَ بعدَه، وهو يومُ الخُلودِ، وهو ما يُؤخَذُ من قولِهِ تعالى حكايةً عن قوْلِ عادٍ بعضهم لبعض عن وعظ رسولهم هود: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيات: ٣٥ ـ ٣٨]، ويلاحظ أن هذا يماثله ما جاء في رسالة نوح كما ذكرنا من قبل، كقوله لقومه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [٧١ سورة نوح/ الآيتان: ١٧ و ١٨].

وقد بيَّنَ اللّهُ في قصَّةِ هود ما قضىٰ به من اللعنة على عاد يوم القيامة، جزاءً على كُفرِهم به، وهو قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٦٠].

٤ ـ عذاب الآخرة والخلود فيه:

وقوله تعالى عن قوم هود: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾

---

(١) ومثل هذا قاله الله تعالى لخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون. على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين. فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ [٧٠ سورة المعارج/الآيات: ٤٠ ـ ٤٤].

[١١ سورة هود/ الآية: ٦٠] دليلٌ على أنّهم سيعذّبون يومَ القِيامة، وهو اليومُ الذي سيجري فيه الحسابُ، والذي يمتَدُّ في الحياة الآخرة إما في الجنة أو في النار، واللعنة يوم القيامة لا تعني غير الخلود في العذاب.

وقد ذكَرْنا من قَبْلُ في قِصَّةِ نوحٍ أنّ العذابَ الأليمَ الذي وُعِدَ به الكافرون من قومِهِ هو عذابُ يَوْمِ القيامَةِ، وأنّهُ هو العذابُ المُرادُ في قولِهِ تعالى على لسان نوحٍ وهو يُنْذِرُ قومَهُ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٥٩] وأنه هو العذابُ المقيمُ الذي جاء في قولِهِ تعالىٰ على لسان نوح كذلك: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٣٩].

ويلاحَظُ أنّ ما قاله نوح لقومه، وهو قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٥٩]، هو عين ما قاله هود لقومه، وهو قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٣٥] فدلّ ذلك على أنّ العذابَ الذي وُعِدَ به قومُ هُودٍ هو عَيْنُ العذابِ الذي وُعِدَ به قومُ نوحٍ، وأنّهُ العذاب الخالد في الآخرة، وهو الممتدّ في نار جهنّم، مما بيّناهُ عند الكلام عن قِصَّةِ نوح.

ونرىٰ أنّ العذابَ في النار هو العذاب الذي سمّاه اللّهُ غليظاً في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٨] فالنجاةُ الأُولىٰ تعني النجاة من ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ التي قطعت دابر الكافرين من قوم هود، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٧٢]، وأما النجاة الثانية وهي النجاة من العذاب الغليظ فهي النجاة من العذاب العظيم المقيم في جهنم.

٥ ـ الملائكة:

ولقد ذكرنا في قصة نوح أنَّ بَعْضَ قومِهِ كان يقول للبَعْضِ الآخر، إنَّ الله لو أرادَ أنْ يَبْعَثَ إليهم رسولاً لبعث مَلَكاً من الملائكة، جهلاً بحقيقة الملائكة وطبيعة تكوينِهِم، وتعاظُماً على نُوحٍ واستكباراً، وأنَّ نوحاً بَشَرٌ مثلهم، وهو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ..﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٢٤] وذكرنا قولَ نوحٍ لهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٣].

ولقد حَدَثَ هذا الجدلُ نفسه في قصة هود، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٣٣] ولقد قال لهم هود نفسَ القول الذي قاله نوح لقومه، قال: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٣].

ويلاحظ أنَّ لفظ ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ الذي جاء في الحديث الأول، غير مذكور في الحديث الثاني، ونعتقد أنَّ المعنى ظاهِرٌ من المقارنة بين الآيتين.

٦ ـ القارعة، والإيمان بنزول العذاب على العاصين:

ولقد أنذر هود قومه بعذاب الآخرة، وأخبرهم أن الساعة آتية، وبيَّنَ لهم ما سوف يؤول إليه الكون عند النفخة الأولىٰ في الصور[1]،

---

(١) قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآية: ٦٨] وقال: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة. وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. فيومئذٍ وقعت الواقعة. وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية﴾ [٦٩ سورة الحاقة/ الآيات: ١٣ ـ ١٦].

وكيف أنّهم سيُصْعَقون من هَوْلِ هذه النفخة، فكذَّبُوهُ، وتحدُّوه أن يعجِّلَ لهم بهذا العذاب، وقالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٧٠] فجعل الله لهم الريح العقيم: ﴿..مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [٥١ سورة الذاريات/ الآية: ٤٢] إجابةً لطلبهم، وجزاءً لهم على تحدّيهم، وبقي لهم عذابُ النفخة الأولىٰ الذي كذَّبُوا به، قال تعالى لرسوله الكريم: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [٦٩ سورة الحاقة/ الآيات: ١ ـ ٨].

ولو أن عاداً صدَّقت أخاها هوداً بأنَّ اللّهَ قَادِرٌ على أن يُرْسِلَ عليهم عذاباً مهيناً في الحياة الدنيا، إن شاء، لأخذوا حَذَرَهُم، وتداركوا أمْرَهُم، ولكنَّهُم كذَّبوا بهذه العقيدة التي جاء بها المُرْسَلون، وجاء بها نوح من قبل، وبالتالي كذَّبوا بالقارعة، فأرسل الله عليهم عذابَهُ في هذه الحياة، وأجَّلَ لهم العذاب في الآخرة.

المبحث الخامس
صالح والعقائد الدينية

١ ـ صالح ورسالته في كتاب الله:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٧٣ ـ ٧٩].

وقال: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ

تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآيات: ٦١ ـ ٦٨].

وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٤١ ـ ١٥٨].

وقال: ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ

رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٥١ سورة الذاريات/ الآيات: ٤٣ ـ ٤٥].

وقــال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآيات: ٢٣ ـ ٣١].

وقــال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾ [٩١ سورة الشمس/ الآيات: ١١ ـ ١٥].

وقــال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [٦٩ سورة الحاقة/ الآيتان: ٤ و ٥].

وقال جلّ شأنه جامعاً بين قصتي هود وصالح، بعد أن قصّ قِصّـةَ نـوح مع قـومـه: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا

وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيات: ٣١ ـ ٤١][1].

٢ ـ صالح وزمن رسالته ونسبه وموطنه:

وقد أرسل الله صالحاً في قومه بعد هلاك عاد، وبعد موتِ هود، وقد بيَّنَ الله تعالى ذلك في قوله على لسان صالح يدعو قومَهُ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٧٤].

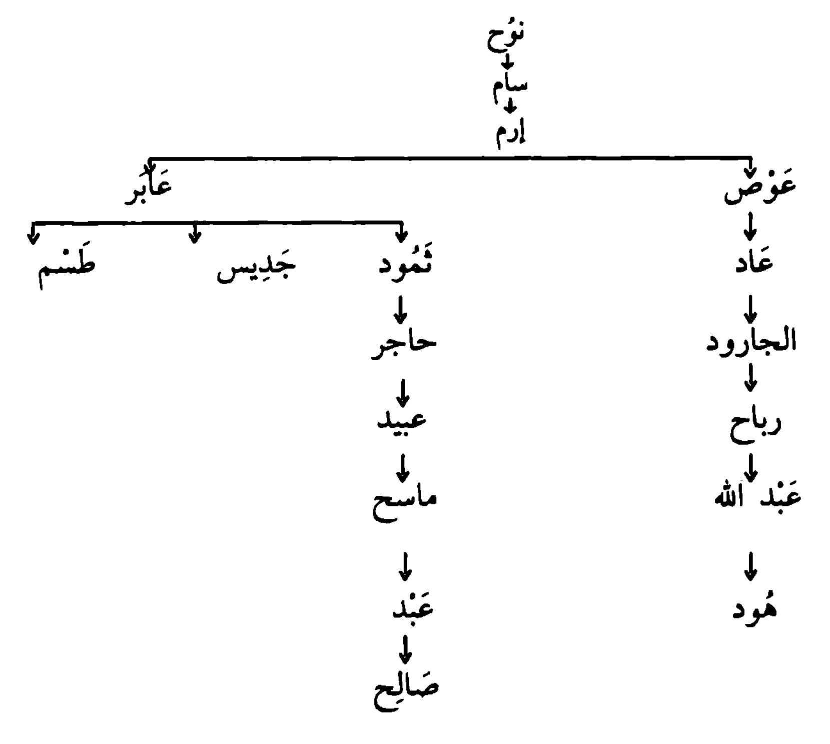
وقيل: إن صالحاً هو ابن عبد بن ماسح بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عابَر بن إرَم بنْ سام بن نوح[2]، أي: إنّه يجتَمِعُ مع هود في جَدٍّ واحد هو إرم، حسب الجدول الآتي، ولكن هنالك بعض اختلاف في الأسماء بين صالح وثمود في رواية أخرى، فقيل: إنه صالح بن عبيد بن آصف بن كاشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود[3].

---

(١) قلنا: إنّ هذه الآيات تبيّن قصتي هود وصالح، لأن هذا هو المفهوم من سياق الآيات في سورة المؤمنون، فقد جاء بعد الآيات السابقة الذكر قوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/الآية٤٢] والقرون الآخرين هي القرون التي بدأت بعد ذلك بإبراهيم.

(٢) «البداية والنهاية» ص ١٣١.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٧/ ص ٢٣٨.



وعلى حسب هذا الجدول يكون ثمود هو ابن عابَر بن إِرَم بن سَام بن نُوح، وقيل: إنّ ثمودَ أخو جَدِيس وَطَسْم[1]، وقيل: أخو جَدِيس[2]. وقيل: إنّ ثمود قبيلة مشهورة باسم جَدِّهم ثمود، أخي جَدِيس، وكانوا عرباً من العاربة يسْكُنُون الحِجْر الذي بين الحجاز وتَبُوك، وكانوا يَعْبُدُونَ الأصْنام، فبَعَثَ اللّهُ فيهم رَجُلاً منهم، هو عبد الله ورسوله صالح[3]. وقيل: سُمِّيَتْ ثمودُ لِقِلَّة مائِها، من الثَّمْد، وهو الماء القليل، وكانت مساكِنُهم الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرَىٰ[4]. وقيل: إن ثمودَ كانوا اثني عشر ألف قبيلة، في كلّ

(١) «تفسير غرائب القرآن» ٨/١٤٦.

(٢) «البداية والنهاية» ص ١٣٠.

(٣) «البداية والنهاية» ص ١٣٠، ١٣١.

(٤) «تفسير غرائب القرآن» جـ ٨/ص ١٤٦.

قبيلة اثنا عشر ألف مقاتل[1]، ونرىٰ أنّ هذا العَدَدَ مُبالَغٌ فيه إلى حَدٍّ كبيرٍ.

٣ ـ العقائد في رسالة صالح:

١ ـ التوحيد والرسالة:

ولقد نادىٰ صالِحٌ قومَهُ، ودَعاهم إلى التوحيد، كما دَعا من قَبْلُ قومَهُما نوحٌ وهود، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٧٣] و ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٦١] وأعْلَنَ لقَوْمِهِ رسالَتَهُ، فقال لهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٤٣، ١٤٤]، وقد بُيِّنَتْ عقيدةُ الإيمان بالرُّسُلِ جميعاً في قصة صالح، كما جاء في قصّتي نوح وهود كذلك[2] بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٤١ ـ ١٤٣] ولهذا نرى صالحاً يذكّرُ قومه بأسلافهم الذين بُعِثَ فيهم هود، وهو قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٧٤].

ولقد جاء في القِصّة أنّ صالِحاً قال لقومِهِ: إنّهُ من دلائل وجود الله ووحدانيته أنّ اللّهَ هو الذي جَعَلَهُم خُلَفاء من بَعْدِ عاد، قال: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» جـ ٩/ ص ٦١.

(٢) راجع ص ٥٥، ٦٦.

بُيُوتًا فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٧٤] ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٦١] وأرسَلَ اللّهُ إليهم الناقة آيَةً من آياته، ودليلاً على صِدْقِ نبوَّةِ رسولِهِ، وذَكَرَ لَهُم أنَّ الله الذي دَعاهم ليعبدوه ويوحِّدُوه هو ربُّ كلِّ شَيْء ربّ العالمين، قال: ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٤٥].

٢ ـ الاستغفار والتوبة:

وجاءت في رسالة صالِح عقيدتَا الاستغفار والتوبة كذلك، إذْ دعا صالِحٌ قومَهُ إلى الاستغفار، والتَّوْبَةِ إلى الله، وَذَكَرَ لَهُم أنَّ اللّهَ يَسْمَعُ لهم إذَا هُمْ استغفروه، وأنَّهُ يتوبُ عليهم إذا أخلصوا نيَّتَهم، وصحَّحوا عقيدَتَهُم وتركوا عقائد الوثنيين وعبدة الأصنام والمشركين، وقال: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٦١].

٣ ـ القارعة والإيمان بأن الله يُنْزِلُ عقابه على العاصين:

ولقد جاء ذكر الساعة في رسالة صالح، كما جاء ذِكْرُها من قَبْلُ في رسالة هود، وقد أنذر صالح قومَهُ بالسَّاعة، فكذَّبوه: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ٧٧ و٧٨] وعَجَّلَ اللّهُ لهم هذه، وهي العذابُ القريب الذي جاء ذِكْرُهُ على لسان صالح في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٦٤] ولن يفلتوا بعد من هَوْلِ الساعة وأحداثها، وقد جاء ذكر القارعة في

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [٦٩ سورة الحاقة/ الآيتان: ٤ و ٥].

٤ ـ البعث والحياة الآخرة:

وأخبر صالِحٌ قومَهُ أنهم سيُبْعَثون بعد المَوْتِ وفناء الحياة الدنيا، وأنَّ اللّهَ تعالى سوف يَبْعَثُ مَنْ في القبور، وسيحاسِبُهُم على كُفْرِهم وعصيانهم وعدم اتِّبَاعِ رُسُلِهم، وعتوّهم عن أمْرِ رَبِّهم، وأنّهُم سيقومون لِلْحساب، فيجازوا بحسب ما قدّموا في حياتهم الدُّنْيا، وأنّ الحياة الآخرة صِدْقٌ، وأنّها الحياة الحقيقية الدائمة إما في النعيم أو في الجحيم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٣٤ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيات: ٣٣ ـ ٣٧] ولقد رأينا أنّ هذا هو عَيْنُ ما جاء في قِصَّةِ هود مع عاد.

المبحث السادس
إبراهيم والعقائد الدينية

١ ـ إبراهيم ورسالته في كتاب الله

١ ـ ما جاء عن إبراهيم خاصةً:

قال تعالى بعد أن ذَكَرَ نوحاً ونجاتَهُ مع أهلِه من الغرق: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ٨٣ ـ ٩٩][1].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ

---

(١) ذكر الله بعد ذلك دعاء إبراهيم أن يرزقه الله من الصالحين وقصة الرؤيا والذبح وتبشير الله إياه بإسحاق. راجع ٣٧ سورة الصافات/الآيات: ١٠٠ ـ ١١٣.

لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيات: ٤١ ـ ٤٨][1].

وقـــال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٧٤].

وقـــال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآيات: ٢٦ ـ ٢٨].

وقـــال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة/ الآيتان: ٤ و ٥].

وقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا

---

(١) وذكر الله بعد ذلك أنّه وهبه إسحاق ويعقوب بعد اعتزاله قومه وما يعبدون من دون الله. راجع ١٩ سورة مريم/الآيات: ٤٩ ـ ٥٣.

كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾
[٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٦٩ ـ ١٠٢][1].

---

(١) يلاحظ أنه من الآية رقم ٩٠ إلى رقم ١٠٢ داخل في ضمن رسالة إبراهيم. فإن سورة الشعراء من الآية الأولى إلى الآية التاسعة خطاب عام للرسول الكريم خاتم النبيين، وبدأت الآية العاشرة بقصة موسى، قصّها اللّهُ على رسوله حتى الآية السادسة والستين التي تذكر غرق فرعون وجنوده، وإثر ذلك خاطب الله رسولَهُ الكريم بقوله: ﴿**إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾ [٢٦ سورة الشعراء/الآيتان: ٦٧ و ٦٨] ثم قال تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ إبراهيم**﴾ [٢٦ سورة الشعراء/الآية: ٦٩] وذكر الله ما أراد في قصة إبراهيم، ثم ختم هذه القصة بقوله لرسوله الكريم: ﴿**إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾ [٢٦ سورة الشعراء/الآيتان: ١٠٣ و ١٠٤] وإثر ذلك قال: ﴿**كذبت قوم نوح المرسلين**﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٠٥] وأتمّ قصة نوح، وختم القصة بقوله: ﴿**ثم أغرقنا بعد الباقين**﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٢٠] ثم قال للرسول الكريم: ﴿**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٢١ و ١٢٢] ثم ذكر الله قصة عاد مع هود وختمها بقوله: =

وقـــال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ١١٤].

وقـــال: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ

= **﴿فكذبوه فأهلكناهم..﴾** [٢٦ سورة الشعراء/الآية: ١٣٩] ثم قال للرسول الكريم: **﴿.. إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾** [٢٦ سورة الشعراء/الآيتان: ١٣٩ و ١٤٠] ثم ذكر قصة صالح مع ثمود، وقال: **﴿كذبت ثمود المرسلين﴾** [٢٦ سورة الشعراء/الآية ١٤١] ولما ختم القصة قال للرسول الكريم: **﴿إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾** [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٥٨ و ١٥٩] وسار كلام الله على هذا النحو فيما يختصّ بقصة لوط، ثم قصة شعيب، ولما انتهى الله تعالى من ذكر قصة شعيب بدأ خطابه لرسوله الكريم فقال له: **﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين﴾** [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات ١٩٢ ـ ١٩٤] وظل كلام الله موجهاً إلى الرسول الكريم، فيما يختص برسالته إلى آخر السورة.

عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيات: ٥١ ـ ٧٠].

وقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ... وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآيات: ١٦ و ١٧، ٢٥].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيات: ٧٥ ـ ٨١].

وقــــال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٥٨][1].

وقــــال: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ١٢٤، ١٣٠ و ١٣١].

وقال: ﴿.. وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٢٥] وقــــال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآيات: ١٢٠ ـ ١٢٢].

وقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ

---

(١) وذكر الله بعد ذلك القصة التي جاء فيها سؤال إبراهيم ربه كيف يحيي الموتى. [٢ سورة البقرة/الآية ٢٦٠].

بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآيات: ٢٦ ـ ٢٨][1].

٢ ـ علاقة إبراهيم بآدم ونوح وهود وصالح:

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان: ٣٣ و ٣٤].

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٥٨].

وقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ٧٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [٥٧ سورة الحديد/ الآية: ٢٦].

وقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤].

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٧].

---

(١) راجع باقي الآيات إلى آخر مناسك الحج من سورة الحج.

٣ ـ علاقة إبراهيم بإسماعيل وإسحاق ويعقوب:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ١٢٥ ـ ١٢٨].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآيات: ٣٥ ـ ٤١].

وقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ

مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ١٣٠ ـ ١٣٣].

٤ ـ علاقة إبراهيم بلوط:

وبيّن الله علاقة دعوة إبراهيم بدعوة لوط في قوله بعد أن ذَكَرَ دعـوةَ إبـراهـيـم: ﴿۞ فَآمَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٦].

وذكر اللَّهُ قصَّةَ مرورِ الملائكة بإبراهيم في طريقهم إلى إهلاك قوم لوط، وتبشير امرأته بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وجاءت هذه القصة في عدة مناسبات في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ [١١ سورة هود/ الآيات: ٦٩ ـ ٧٦].(١)

٥ ـ صحف إبراهيم وموسى:

قـال تـعـالـى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ

---

(١) راجع [١٥ سورة الحجر/ الآيات ٥١ ـ ٦٠] و [٢٩ سورة العنكبوت / الآيتان: ٣١ و ٣٢] و [٥١ سورة الذاريات/الآيات ٢٤ ـ ٣٤].

أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيات: ٣٦ ـ ٥٦][1].

وقـــال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [٨٧ سورة الأعلى/ الآيات: ١ ـ ١٩].

٦ ـ علاقة إبراهيم بمحمد خاتم النبيين وأمته:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ

---

(١) بيّنتْ هذه الآيات الكريمة أنّ اللّهَ أنزل في صحف إبراهيم وموسى أربعة عشر مسألة، وهي: أنه لا يؤاخذ الإنسان بذنب غيره، وأن عمل الإنسان سوف يرى يوم الحساب، وأنه سوف يجازىٰ عليه أوفر جزاء، وأن جميع الخلائق سيرجعون إلى ربهم، فيجازيهم على أعمالهم، وأنّ الله هو خالق الضحك والبكاء والفرح والحزن، وأنّه هو خالق الموت والحياة، وأنّه خلق الذكر والأنثى من الحيوان المنوي، وأنّه هو الذي أعطى الغنى، وأجاز القنية، وهي أصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية، وأنّه هو ربّ ذلك النجم الذي يعبده عبدة النجوم، وأنّه أهلك عاداً الأولى، وهي أولى الأمم هلاكاً بعد نوح، وأنّه أهلك ثمود، وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، وأنّهم كانوا أظلم وأطغى من عاد وثمود، وأنّه جعل عالي قرىٰ لوط سافلها، فأتفكت بأهلها وقضي عليهم.

مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ١٢٧ ـ ١٢٩] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ١٢٣].

وقال: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية: ٧٨].

وقال: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٥] ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان: ٦٧ و ٦٨] ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٩٥] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٢٥] ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ١٦١].

٢ ـ إبراهيم وزمن رسالته عبر تاريخ الرسل والنبيين:

رُوي أنّ أبا إبراهيم كان من أهل حرّان، فأصابَتْه سنة فأتى

هُرْمُزجَرْد ومعه امرأته أم إبراهيم، واسمها نونا بنت كرنيا بن كُوثىٰ من بني أرْفَخْشَد بن سام بن نوح[1].

وقيل: إن اسم أمه أبيونا، من ولد أفْرَايم بن أَرغوا بن فالغ بن عابَر بن شالخ بن أرْفَخْشَد بن سام بن نوح.[2]

وقيل: نهر كوني كراه كرنيا جد إبراهيم من قِبَلِ أمة، وكان أبوه على أصنام الملك نمرود، فولد إبراهيم بهُرْمُزجَرْد، وكان اسمه إبراهيم، ثم انتقل إلى كُوثىٰ من أرض بابل، فلما بلغ إبراهيم وخالَفَ قومَه، ودعاهم إلى عبادة الله، بلغ ذلك الملك نمرود. فحَبَسَه في السجن سبع سنين، ثم بنىٰ له الحِيرَ بحصى، وأوقده بالحطب الجَزْل، وألقىٰ إبراهيم فيه، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل! فخرج منها سليماً لا يكلم.

قيل: وهاجر إبراهيم من بابل إلى الشام، فجاءتْهُ سارة، فوهَبَتْ له نفسَها، فتزوجها وخرجَتْ معه وهو يومئذٍ ابن سبع وثلاثين سنة، فأتىٰ حرّان، فأقام بها زماناً، ثم أتىٰ الأردن، فأقام بها زماناً، ثم خرج إلى مصر، فأقام بها زماناً، ثم رجع إلى الشام فنزل السَّبْع، أرضاً بين إيليَاء وفِلَسْطِين. وأُوذِي هنالِكَ، فتحوَّل إلى منزلٍ بين الرَّمْلَةِ وإيلِيا.

قيل: ومات إبراهيم بالشام وهو ابن مئتي سنة[3].

وقيل: إن إبراهيم هو ابن تارح بن ناحور بن سَارُوغ بن

---

(١) رواه ابن سعد بسنده عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه. «الطبقات الكبرى» ج ١/ ص ٤٦.

(٢) رواه ابن سعد، عن محمد بن عمر الأسلمي، عن غير واحد من أهل العلم. المرجع السابق، ج ١/ ص٤٦.

(٣) رواه ابن سعد، عن هشام بن محمد، عن أبيه. المرجع السابق، مجلد١/ ٤٦ و ٤٧ وفي العهد القديم: (وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها مئة وخمس وسبعون سنة). (تكوين ٢٥: ٧).

أرْغوا بن قالغ بن عَابَر بن شَالِخ بن أرْفَخْشَد بن سَام بن نُوح[1].

وهذا النَّسَبُ يوافق النسختَيْن العبرانية والسامرية من العهد القديم، إلا أن النسخة اليونانية زادت بين شالخ وأرْفَخْشَد اسم قِينَان[2]، وذكَرَ ابن سعد عن وهْبٍ أنَّ بين نوح وإبراهيم ألفاً ومئتان وأربعون سنة (١٢٤٠)[3].

ويلاحظ أنَّ هنالك اختلافاً بين النسخة العبرانية من العهد القديم، وبين كل من النسختين السامرية واليونانية، في الزمن بين الطوفان إلى ولادة إبراهيم، ففي النسخة السامرية أنّ هذا الزمن يبلغ مئتين واثنتين وتسعين سنة (٢٩٢)، وفي النسخة السامرية تسع مئة واثنتين وأربعين سنة (٩٤٢)، وفي النسخة اليونانية ألف واثنتين وسبعين سنة (١٠٧٢)، ويلاحظ أننا إذا اعتمدنا النسخة العبرانية لكان سن إبراهيم يوم وفاة نوح ثمانية وخمسين سنة، وهذا ممّا يتناقض تناقضاً تامّاً بين النسختين الأخريتين، ففي النسخة السامرية أنّ ولادة إبراهيم كانت بعد موت نوح بسبع مئة واثنين وعشرين سنة (٧٢٢)، وفي النسخة اليونانية أن ولادة إبراهيم بعد موت نوح بخمس مئة واثنين وتسعين سنة (٥٩٢)، وهذا على اعتبار أنّ نوحاً عاش بعد الطوفان بثلاث مئة وخمسين سنة حسب ما جاء في سفر التكوين (تكوين ٩: ٢٨).

ومع هذا فقد ذكر بعض المؤرّخين المعْتَمَدِين عند اليهود والنصارى زمناً مخالِفاً للأزمنة المذكورة في النسخ الثلاثة من العهد

---

(١) ابن سعد، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه «الطبقات الكبرى» مجلد ١/ ٤٥ والمعارف ص ١٥، وذكر ابن قتيبة اسم أشرع بدل ساروغ.

(٢) اعتمد لوقا على النسخة اليونانية في إنجيله، فزاد في نسب المسيح قينان. (لوقا ٣: ٣٦).

(٣) «المعارف» ص ١٥.

القديم، فجعل بعضهم المدة ثلاث مئة واثنتين وخمسين سنة (٣٥٢)، وقال آخرون: إن المدة هي تسع مئة وثلاثة وتسعون سنة (٩٩٣)[١]، وقيل: إن دعوة إبراهيم كانت نحو أربع مئة وسبع وعشرين سنة (٤٢٧) بعد الطوفان[٢].

وهاك جدولاً يبين الاختلاف في النسخ العبرانية والسامرية واليونانية، ويبيّن كلّ رقم تاريخ ولادة البِكْر، ففي مقابل اسم سام مثلاً التاريخ الذي ولد فيه أَرْفَخْشَد بعد الطوفان، وفي مقابل اسم تارَخ التاريخ الذي ولد فيه ابنه إبراهيم.

الاسم	العبرانية	السامرية	اليونانية
سَام	٢	٢	٢
أَرْفَخْشَد	٣٥	١٣٥	١٣٥
قَيْنَان	...	...	١٣٠
شالح	٣٠	١٣٠	١٣٠
عابَر	٣٤	١٣٤	١٣٤
فالج	٣٠	١٣٠	١٣٠
رَعُو	٣٢	١٣٢	١٣٢
سَرُوج	٣٠	١٣٠	١٣٠
نَاحُور	٢٩	٧٩	٧٩
تارَح	٧٠	٧٠	٧٠
	٢٩٢	٩٤٢	١٠٧٢

(١) تفسير هنري واسكات Henri & Scott وأُكُسْتَائين Augustin «إظهار الحق» ص ١٢٨. وكتاب «إرشاد الراغبين» ص ٥١.

(٢) «مرشد الطالبين» ص ١٥.

وَمَهْمَا يَكُنْ منْ شَيْءٍ، فإنّ المؤرّخين في العصور المتأخِّرَة في القرن الحالي يرون أنّه من المحْتَمَل كثيراً أن يكون إبراهيم قد عاش في نفس الوقت المبكّر الذي عاش فيه حَمُورابي في بابل[1].

وقيل: إنه لا يستبعد كذلك أن يكون حَمُورَابي هو نفس عَمْرافيل[2] Amraphel ملك شِنْعَار الذي جاء ذكره في العهد القديم (تكوين ١٤: ١، ٩) في مقام إنقاذ إبراهيم للوط من الأسْرِ، وذلك بعد اعتزال لوط، ومفارَقَتِهِ لإبراهيم، وخراب سدوم وعمورة (تكوين ١٣: ١٠ ـ ١٤).

وقد قيل: إنّ حكم حمورابي يمتّدّ من سنة ٢١٢٣ إلى سنة ٢٠٨٠ ق.م حسب الأدلّة الآشورية، إلاّ أنّ بعْضَ المؤرّخين يُسيئون الظنّ بالأدلّة الآشورية، ويؤرّخون مدة حكم حَمُورابي من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٠١ ق.م، ولكن بعْضَ الأدلّة الحديثة تؤرِّخ بداية الأسرة البابلية سنة ٢١٦٩ ق.م، وهو ما يجْعَلُ ولاية حمورابي الحكم نحو سنة ٢٠٦٧ ق. م[3]، على أن هذه الاختلافات لا تؤثّر كثيراً في تحديد التاريخ الذي عاش فيه إبراهيم، وهو نحو سنة ألفين ٢٠٠٠ ق.م، إن صحّتِ الأسس التي بُنِيَ عليها أنّ إبراهيم كان معاصِراً لحُكْمِ حَمُورابي.

وقيل: إن ملوكَ العَجَم كلّهم كانوا على مِلّة إبراهيم، وجميع من كان في زمان كلِّ واحد منهم من الرعايا في البلاد على أديان ملوكهم،

---

(١) «موجز تاريخ العالم» ص ٩٠.

(٢) «تاريخ العالم» مجلد ١/ ٤٥٨.

(٣) «تاريخ العالم» مجلد ١/ ٤٥٩.

وكان لملوكهم مرجعٌ هو موبذ موبذان[1].

٣ ـ العقائد المستخلصة من قصة إبراهيم:

ولم تخرج العقائد الدينية في دعوة إبراهيم عن مثيلاتها في دعوات مَنْ سبقه مِنَ الرُّسُل، وحسْبُك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤] ولنفصِّل هذه العقائد فيما يلي:

١ ـ الوحي والرسالة:

ونعتقِدُ أنّ هنالك إشارة إلى الوحي في قول إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٤٣] فطبيعيٌّ أنّ هذا العلم قد جاء إبراهيم عن طريق الوحي، وطبيعي أن إبراهيم أُوحِيَ إليه بأن يدْعُوَ قومَهُ إلى ما أمَرَهُ اللّهُ به من تعاليم الدين، كما أُوحِيَ إلى خاتم النبيين ونوح والنبيين بينهما، وهو قوله تعالى لمحمد الرسول الكريم: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] ومنهم إبراهيم، وذكر الله الوَحْيَ في قوله تعالى بعد أنْ ذَكَرَ نجاةَ إبراهيم من النار التي أراد قومُه أن يحرقوه فيها، وبعد ذلك نجاة إبراهيم ولوط إلى الأرض التي بارك فيها، وأنه وهب لإبراهيم إسحاق ويعقوب: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٧٣].

---

(١) «الملل والنحل» ٢/ ٥٧

ومعنى قوله تعالى: ﴿أَيِمَّةً﴾ أي: رسلاً: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ...﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٢٤]، وجاء ذكر مناداة الله له في قوله جل شأنه: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [٣٧/ الآيتان: ١٠٤ و ١٠٥].

وذكر اللّهُ الكُتُبَ التي أوحاها إلى إبراهيم في قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيتان: ٣٦ و ٣٧] وقوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [٨٧ سورة الأعلى/ الآيتان: ١٨ و ١٩].

٢ ـ الله ووحدانيَّتُه:

وكان أوّل شيء تضمَّنَتْه رسالةُ إبراهيم، الدعوة إلى الإيمان بالله ووحدانيته: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيتان: ٨٥ و ٨٦] وتبيّن هذا كذلك من قول: ﴿.. إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ..﴾ [٦٠ سورة الممتحنة/ الآية: ٤] وقوله: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٦٧].

لقد بيّن إبراهيم لقومه بالأدلة الحاسمة أن الأصنام والأوثان التي يعبدونها لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولا تسمع حتى تستجيب لدعائهم: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ٧٢ و ٧٣] ولقد فعل ما

يثبت لهم فساد عقيدتهم في هذه الأصنام، فذهب إلى أحد معابدهم، فكَسَرَ ما فيها من الأصنام، وَتَرَكَ أكْبَرَ صَنَمٍ لم يعمل فيه بيمينه، ليبيّن لهم أن هذه الأصنام لم تستَطع أن تدافِعَ عن نفسها، وأنها لم تستَطِعْ أن تمسَّه بسُوءٍ، وليبيّن لهم أنّ أكْبَرَ أصنامهم لم يستطيع أن يدلّهم على مَنِ اعتدىٰ على معبوداتهم. قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيات: ٥٨ ـ ٦٧] ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيتان: ٩٥ و ٩٦].

وبيّن لقومِهِ أنّ الله هو الخالق وهو الهادي، وهو الذي يطعمهم ويسقيهم، وهو الذي بيده شفاؤهم إذا ألَمَّ بهم مرضٌ من الأمرض، وأنه لا حُجّة لهم في قولِهِم أنّهم يتّبعون ما وَجَدُوا عليه آباءهم من عبادة هذه الأصنام، فإنّهُ من سوء الرأي وفسادِهِ أن يتّبعَ المرءُ آباءَهُ في فِعْلِ الباطل: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي

﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٧٥ ـ ٨٢].

وبيّن إبراهيم لقومه أن الله: ﴿..وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ ..﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٨٠] وأنه رب العالمين، وهو قول إبراهيم لقومه: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ٨٧] وأنه سميع بصير، قال إبراهيم لأبيه: ﴿..يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ..﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٤٢] وأنه هو: ﴿..ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ..﴾ [٦٠ سورة الممتحنة/ الآية: ٥] وأنه هو الرازق: ﴿..إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ ..﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ١٧] وأنه: ﴿..ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٢٧] وأنه: ﴿.. ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٢٨] وأنه ﴿..غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآية: ٣٦] وأنَّهُ ربُّ السماوات والأرض وهو خالقهنّ وبارئهنّ ومبدعهن، وأن أصنامَهُم التي يعبدونها مِنْ دونِ الله لا تستطيع أن تخلق شيئاً من ذلك: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٥٦].

وحاجّ إبراهيم أحَدَ الملوك[١] في رَبِّه، قال له إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، أي: إنَّهُ هو الذي بيدِهِ الموتُ والحَياة، يحيي مَنْ يشاء ويميت مَنْ أراد بعد الإحياء، قال: أنا أفعل ذلك فأحيي وأميت،

---

(١) قيل: إن هذا الملك الذي حاجّ إبراهيم فخاصمه في ربّه يسمى: نمرود، ملك بابل، قيل: هو نمرد بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل: إنّه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفَخْشَد بن سام بن نوح. «جامع البيان» مجلد ١/٤٦.

أستحيي من أردتُ قَتْلَهُ فلا أقتله فيكون ذلك مني إحياء له، وأقتل آخر فيكون ذلك مني إماتة له. قال إبراهيم: فإنّ الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها، فأتِ بها إن كنت صادقاً أنك إله من مغربها؛ فانقطعت حجّةُ هذا الملك وبطلت[1]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٥٨].

وهكذا بيّن إبراهيم لقومه أن: ﴿..اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية: ٦٢].

وقد بيّن لهم أن (الله أكبر) بطريقةٍ خاصّةٍ مقْنِعَةٍ، فنَظَر إلى السماء في الليل فرأى كوكباً، فقال لقومه على وجه الإنكار: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ إذ أنّ هذا الكوكب أحسن حالاً من الأصنام البسيطة الصنع، الصغيرة الحجم، فلمّا غابَ وذَهَبَ ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ وقال لهم: إنّ النَّجْمَ ربُّهُ معارضَةً، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضاً له في قولٍ باطل قال به، بباطل من القول على وجْهِ مطالَبَتِهِ إياه بالفرقان بين القوْلَيْن الفاسِدَيْن عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدّعي فساد الآخر[2]، وقال إبراهيم مثل ذلك عن القمر لأنه أكبر في المنظر من ذلك النجم، فلما غاب القمر، قال لقومه: أرأيتم حال

---

(١) «جامع البيان» ٣/ ١٧.

(٢) «جامع البيان» ٧/ ١٦٤.

القمر، فهو زائل كذلك كالنجم، ويغيب مثله، ولئن لم يهْده ربُّه إلى معرفة الحقيقة قضى حياتَه ضالاً، ولما أصْبَحَ وطلعت الشمس، قال لقومه: لعل جرم الشمس يكون هو الإله لأنه أكبر من النجم والقمر، فلمَّا غابت الشمس كما غاب القمر، ألزم قومه الحجّة، لأن الله لا يغيب، لأنه لو غاب انقطعت خيراته وآلاؤه ونعمه، فاللّهُ دائِمٌ لا يتغيَّر؛ وذَكَرَ اللّهُ هذه المناظرة التي أفحم فيها إبراهيم قومه في قوله عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيات: ٧٦ ـ ٧٩] فالله بذلك هو ربُّ النّجوم وربُّ القمر وربُّ الشمس، لأنّه أكبر من هذه الكائنات المتغيّرة كلّها، فلا يصحّ أن تُعْبَدَ من دون الله.

وبذلك يثبت أنّ الله هو كذلك ربّ ذلك الكوكب الذي كان معبوداً في ذلك الزمان، وهو الشِّعْرَىٰ اليَمَانِيّة **Sirius** التي قد تكون عبادَتُها نُقِلَتْ من مِصْر[1] إلى بابل، وقد ذكرنا أنّهُ ممّا كان مكتوباً في صحف إبراهيم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآية: ٤٩].

---

(١) كانَ قُدماء المصريين يعبدون الشِّعْرىٰ اليمانية التي يتّفِق ظهورها مع مبدأ فيضانات النيل في مصر الوسطى، وهذا الكوكب هو أحد النجوم السبعة في كوكبة الكلب الأكبر Canis Major، وهو يختفي من السماء في أوائل شهر يونية/حزيران، ثم يعود إلى الظهور في جهة الشرق حوالي منتصف شهر يولية/ تموز، قبل شروق الشمس ببضع دقائق، «تاريخ العالم» مجلد ١/٣٧٨.

٣ ـ البعث والحساب واليوم الآخر:

وبيّن إبراهيم في رسالَتِه أنّ هنالك بَعْثاً، وأنّ اللّهَ سوف يحيي النّاسَ من جَدِيدٍ، بعد أنْ يكونوا قد ماتُوا ليجازيهم على ما عَمِلوا في الحياة الدُّنيا، وأنَّ هذا اليوم هو يوم الدِّين، وهو اليوم الآخِر الذي ليس بعده موت، ذَكَرَ اللّهُ ذلك على لسان إبراهيم، وهو قوله: ﴿وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ٨١ و ٨٢] ومثل ذلك ما جاء في دعاء إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٨٧ ـ ٨٩] ومثله قول إبراهيم لقومه: ﴿.. إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٥] وبيَّن إبراهيم أن الذين يؤمنون بهذا اليوم، وهو اليوم الآخر سوف يسعدون، لأنهم سوف يعملون الطيبات التي يجازون عليها خيراً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ الثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٢٦].

وقد ذكر الله بأنّه كان مكتوباً في صحف إبراهيم أنَّ اللّهَ هو الذي بِيَدِهِ الموت والحياة، وأنّه هو الذي خَلَقَ البَشَرَ، ذكورَهم وإناثَهم، من الحيوانات المنويّة، وأنه هو الذي عليه أن يُنشئهم من العدم مرّةً أخرى، كما أنشأ هذه النُّطَفَ من العدم، قال جلّ شأنُهُ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ

يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيات: ٣٦ ـ ٤٧].

وهكذا بيّن إبراهيم لقومِهِ أنه ستتلو هذه الحياة الدنيا حياة أخرى، يبعثون فيها بعد الموت والفناء، وأنهم سيقومون جميعاً للحساب، وأن اليوم الآخر حقيقةٌ لا شكَّ فيها، وهكذا جاء إبراهيم بما جاء به الرسل من قبله، وحذّر الناسَ من ملاقاة ذلك اليوم، وذكّرهم بأن الآخرة: ﴿ . .خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [٨٧ سورة الأعلى/ الآيات: ١٧ ـ ١٩].

٤ ـ الجنة والنار والخلود فيهما:

وبيَّن إبراهيم لقومه أنّ مَصِيرَ البَشَرِ في اليوم الآخر هو الجنة أو النار، وجاء ذِكْرُ الجنةِ في دعاء إبراهيم وسؤاله لربِّه أن يجعله في جنة النعيم، قال: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ٩٠]. كما جاء ذكرها فيما حكاه الله عنها في قصة إبراهيم في قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ٩٠].

وذكر الله النار في قوله ردّاً على دعاء إبراهيم، أن يجعل مكة بلداً آمِناً، وأن يرزق أهلَهُ من الثمرات: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٢٦] وأرى أن لفظ المصير يؤدّي معنى الخلود، ومثله قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ . . إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٥].

وقد جاء ذِكْرُ الخلودِ في النار صراحَةً في قوله تعالى في مقام ذكر ما جاء في صحف إبراهيم من أن الأشقى هو: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [٨٧ سورة الأعلى/ الآيتان: ١٢ و ١٣] أي: لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه[(١)].

ولا شك أنَّ إبراهيم خاطَبَ قومَهُ بقوله تعالى باللغة التي أُنزلَتْ بها صحف إبراهيم: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٩١ ـ ١٠٢] وهذا زيادةٌ في إيضاح حالَةِ أَهْلِ النّار وبيانِ تخاصُمِهِم فيها، ونَدَمِهِم على ما قدَّموا في دُنْياهمُ من عَمَلٍ سَيِّءٍ وكُفْرٍ بربِّ العالمين وإشراك به، وتمنِّيهم بعد ذلك العودة إلى الحياة الدنيا ليموتوا عنها على إيمان.

٥ ـ الاستغفار:

وجاء الاستغفار في قِصَّة إبراهيم، وتقرّر مبْدَؤه كما تقرَّر في ديانة الرُّسُل من قَبْلُ، فقد دعا إبراهيم أباهُ إلى الإيمان بالله وحده وترك ما عليه قومه من عبادة الأوثان، فأمْهَلَهُ أبوه للتفكير في ذلك، وقال له: ﴿.. وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيتان: ٤٦ و ٤٧] وقال: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

---

(١) «جامع البيان» ٣٠/٩٩، ونرى أنّ هذه الآية الكريمة هي كقوله تعالى لرسوله خاتم النبيين: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾ [٣٥ سورة فاطر/ الآية: ٣٦].

وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة/ الآية: ٤] ولقد بيَّنَ اللّه تعالىٰ في رسالة إبراهيم أنَّ الاستغفار لا يؤدِّي إلى نتيجة إلا إذا كان المستَغْفَرُ له قد اهْتَدَىٰ إلى الدِّين الصحيح، ورجع عن ما هو فيه من غوايَة، وبيَّن اللّه تعالى أنَّ الاستغفار كذلك لا يجوزُ طلبه لِمَنْ ثبتَتْ عداوَته للدِّين، وهو قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ١١٤][1].

وعلى هذا يكون الاستغفار مقرَّراً في دين إبراهيم وشريعته لِمَنْ كان على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه، وكان صادِقَ النيَّةِ بعيداً عن الكُفْرِ والنِّفاق، وعلى المؤمِنِ أن يسْتَغْفِرَ ربَّه ويوقِنَ بأنَّ الله غفّار رَحِيم، ولهذا كان الذين اهتدوا بِهُدىٰ إبراهيم يدعون ربَّهم ويستغفرونه ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾ [٦٠ سورة الممتحنة/ الآية: ٥].

٦ ـ التوبة:

وذكر الله أمرَ التَّوْبَةِ في دعاء إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت أن يتوبَ اللّهُ عليهما وهو قولهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) ولقد ذَكَرَ اللّهُ هذه الآية الكريمة في مقام نهىٰ الله محمداً خاتم النبيين وأمّتَه أن يستغفروا للمشركين بعد أن يتبيّن لهم أنّهم من أهل جهنم، وهو قوله تعالى: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾** [٩ سورة التوبة/ الآية: ١١٣] ومثل ذلك قوله تعالى لرسوله الكريم في المنافقين: **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** [٩ سورة التوبة/ الآية: ٨٠].

﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٢٨] ولقد بيّن إبراهيم أمَلَهُ أن يقبل اللّٰهُ توبَتَهُ، فيغفر له خطيئته يوم الدين، وهو قوله أنّ الله هو الذي: ﴿..أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ٨٢].

٧ ـ الشيطان وجنوده ووسوسته:

ولقد عُبِدَ الشَّيْطَانُ في زمن إبراهيم، إذْ أطاعه الذين لم يأبَهُوا بالرُّسُلِ والنبيّين ولم يؤمنوا برسالتهم، وجعلوه لهم إلهاً مِنْ دونِ الله، وخضَعُوا لما بثَّه فيهم إبليس من العقائِدِ الباطِلة، ونفذ فيهم ما توعّد به الله من إضلالهم وتزيين الحياة الدنيا لهم، كما قدَّمنا في قِصّة آدم، ولذلك قال جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآية: ٢٠].

وذكر اللّٰهُ عِبادَةَ الشَّيْطان على النَّحو الذي قدَّمْنا، في قول إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيتان: ٤٤ و ٤٥].

وبيَّن إبراهيم لقومِهِ مغَبَّةَ عبادة الشيطان، ومصير إبليس وجنوده وجميع من استجاب لغوايته، وهو قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٩١ ـ ٩٥].

٨ ـ الشفاعة:

وبيّنت رسالة إبراهيم أنّ من رَغِبَ عن رسالته، ولم يسْتَجِبْ له

ولدعوته، ولم يتّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، فلن يَجِدْ شفيعاً يشفع له، ذَكَرَ اللَّهُ ذلك في مقام تخاصُم أهل النار، في قصة إبراهيم: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٩٦ ـ ١٠٢].

٩ ـ خطيئة آدم غير موروثة:

وقد عَلِمَ اللَّهُ أنّه سيأتي زمانٌ يدَّعي فيه مدَّعون أنَّ معصية آدم قد توارَثَها نسْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وهي العقيدة التي يؤْمِنُ بها أهل كتاب «العهد الجديد» من النَّصارى، كما بيَّنا عند الكلام عن معصية آدم في المبحث الأول، ولقد ذَكَرْنا هنالك أنَّه في كلٍّ من العهدين «القديم والجديد» اللذين يضمهما الكتاب المقدّس عند اليهود والنصارى، ما ينفى حمل الولد لجريمة أبيه، ولقد جاء في صحف إبراهيم (وموسى) ما ينفي حمل الابن مسؤولية أي جريمة يقترفها أبوه أو أي إنسان آخر على وجه الأرض، كما أنه لا يثاب إلا على عَمَلِهِ، وهذه القاعدة هي أصلٌ من أصول الدين الإسلامي، وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيات: ٣٦ ـ ٣٩].

ويلاحظ أنَّ النصَّ على أنه ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآية: ٣٨] جاء في القسم الخاص بشريعة خاتم النبيين في القرآن الكريم، كما أنزل اللَّهُ على رسوله الكريم كذلك: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ وهو قوله تعالى لرسوله الكريم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ..﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ١٦٤] وقد ذَكَرَ اللَّهُ هذا

الحكم في مواضع أخرى في القرآن الكريم، تأكيداً، وهو قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآيات: ١٣ - ١٥] وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ... وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٣٥ سورة فاطر/ الآية: ١٨] وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآية: ٧].

وبهذا نفَتْ صحفُ إبراهيم عقيدَةَ الذّنبِ المغروس، ونفَتْ أنّ آدمَ حمل بنوه معصِيَتَهُ، ولقد ذكرنا في المبحث الأول أن آدم تابَ إلى ربّه وأن الله قبل توبته وعفى عنه.

المبحث السابع
لوط والعقائد الدينية

ولقد أرسلَ الله لوطاً إلى قومه في زمن إبراهيم، وكان معاصراً له، وكان مؤمِناً برسالة إبراهيم كما سَيأتي بعد، وسَنَذْكُرُ هنا ما جاء عن لوط في كتاب الله، ثم نذْكرُ العلاقَةَ الزَّمَنِيّة والعقائِدِيّة الّتي بَيْنَهُ وبين إبراهيم من جهة، والعلاقة التي بينَه وبَيْنَ غَيْرِهِ من الرُّسُلِ والنبيِّين من ناحية أخرى.

١ ـ لوط ورسالته في كتاب الله:

قال تعالى بعد أنْ ذَكَرَ في سورة العنكبوت قصة إبراهيم: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٦] ثم قال جلَّ شأنه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ

﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ [1]إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآيات: ٢٨ ـ ٣٥][2].

وقال جل شأنه: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٦٠ ـ ١٧٣].

وقال: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٦].

وقال في إبراهيم ولوط: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ... وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت

---

(١) في العهد القديم: (ونظرت امرأة من ورائه فصارت عمود ملح) (تكوين ١٩: ٢٦).

(٢) وجاء ذكر مرور الملائكة بإبراهيم، أثناء ذهابهم إلى لوط لإهلاك قومه في موضعين آخرين في كتاب الله [١١ سورة هود/ الآيات: ٦٩ ـ ٨٣] و [١٥ سورة الحجر/ الآيات: ٥١ ـ ٧٤].

تَعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيات: ٧١ و ٧٤ و ٧٥].

وقال: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيات: ٥٤ ـ ٥٨].

وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآيات: ٣٣ ـ ٣٩][1].

وقال: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾[2] فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيتان: ٥٣ و ٥٤].

وجاء ذِكْرُ لوط مع غَيْرِهِ من الرُّسُل في قوله تعالى لرسوله الكريم خاتم النبيين: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآيات: ٤٢ ـ ٤٤] وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ

---

(١) وراجع [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٨٠ ـ ٨٣].

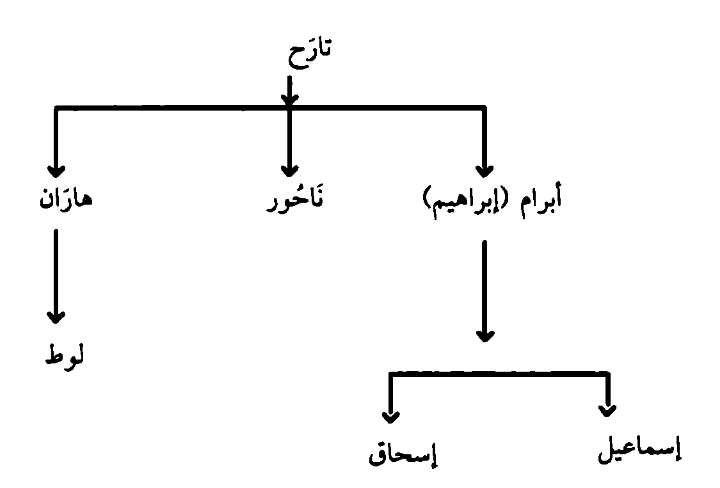
(٢) المؤتفكة، هي: القرى التي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت، وهي قرى قوم لوط أهواها الله وأسقطها.

﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيات: ١٢ ـ ١٤] وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [٥٠ سورة ق/ الآيات: ١٢ ـ ١٤] وقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [٦٦ سورة التحريم/ الآية: ١٠] وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨٣ ـ ٨٧].

٢ ـ زمن لوط ونَسَبُهُ:

وقد كان لوط معاصِراً لإبراهيم. فقد ذكر الله تعالى أن الملائكة الذين أمروا أن يبشّروا إسحاق وامرأته بمولود يلدانه على الكبر، كانوا مأمورين في الوقت نفسه بالذهاب إلى لوط لإهلاك قومه الذين كانوا يعملون السيئات، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآيتان: ٣١ و ٣٢].

وفي المصادر اليهودية التي نقل عنها المؤرّخون من المسلمين، أنّ لوطاً هو ابن هاران بن تارح، وهو ابن أخي إبراهيم وإبراهيم عمه، وكان لوط قد هاجَرَ مع عَمِّه إبراهيم إلى الشام، نزل إبراهيم أرض فلسطين، ونزل لوط الأردن، أرسله اللّهُ إلى أهل سَدُوم يدعوهم إلى الله. وفي العهد القديم: (ولد تارح إبراهيم وناحور وهاران. وولد هاران لوطاً. ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أُور الكلدانيين، وأخذ إبرام وناحور لأنفسيهما امرأتين، اسم امرأة إبرام ساراي، واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران، أبي ملكة وأبي بسكة، وكانت ساراي عاقراً ليس لها ولد، وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطاً ابن هاران ابن ابنه، وساراي كنته امرأة أبرام ابنه، فخرجوا معه من أور الكلدانين، ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك، وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين، ومات تارح في حاران) (تكوين ١١ : ٢٧ ـ ٣٢).



٣ ـ العقائد في رسالة لوط:

لم يذْكُرِ اللّهُ تفاصِيلَ العقائد في رسالة لوط حسب قصَّتِهِ في

القرآن الكريم، إلا أنّه هنالِكَ آيَةً تشير إلى أنّ ما جاء في رسالة لوط لا يختلف في شيء ما عمّا جاء في رسالة إبراهيم، وهذه الآية الكريمة هي التي تخبر بأنّ لوطاً آمن بإبراهيم، وهو ما يؤدّي معنى وحدانية الدِّين بتفاصيله، خاصّةً أنّ لوطاً كما قدّمنا كان معاصراً لإبراهيم، وهذه الآية الكريمة هي قوله تعالى بعد ذكر إبراهيم: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٦] إلا أنّ هنالك أخباراً في قصة لوط تشير إلى بعض هذه العقائد:

١ ـ الله ووحدانيته:

ولا شكّ أنّ لوطاً دعا قومَهُ إلى عبادة الله والإيمان بوحدانيته، وبيّن لهم أنّ عذابَ اللّهِ شديدٌ، وأنّ الله هو الذي بيده إهلاكهم، وأنه هو ربهم فيلزمهم أن يتّقوه، وأنْ يُطيعوه، وأنْ يجْتَنِبوا ما نَهاهُم عنه. أمّا التعريف باللّهِ والأمْر بتقواه، فقد جاءَ في قولِهِ تعالىٰ على لسان لوطٍ يَعِظُ قومَهُ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ [١٥ سورة الحجر/ الآية: ٦٩] وأمّا التَّحْذِيرُ من بَطْشِ اللّهِ فقد جاء في قوله تعالىٰ عن لوط: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآية: ٣٦][1].

٢ ـ الإيمان بالرسالة:

ولا شكّ كذلك أنّ لوطاً دعا قومَهُ إلى التصديق برسالته ورسالة الرُّسُلِ كافّةً، أي: التصديق بأنّ اللّهَ يرسل الرُّسُلَ من البشر لِهدايَةِ الناس وتبليغهم رسالات ربهم، فقال لهم كما قال مَنْ سَبَقَهُ مِنَ

---

(١) أي: ولقد أنذرهم لوط أخذتنا بالعذاب، فشكّوا بالإنذارات ولم يصدقوا.

المُرْسَلِين[1] أنَّه يَلْزَمُهم التّصْدِيق بالمُرْسَلِين، وهو ما يُفْهَمُ من قولِهِ تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٦٠] ونرىٰ أنْ نُعِيدَ ما ذكَرْنَاهُ في ذلك مِنْ قَبْلُ علىٰ هذا النَّحْوِ، كما جاء في سورة الشعراء:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾..﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٠٥ و ١٠٦].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾..﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٢٣ و ١٢٤].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾..﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٤١ و ١٤٢].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾..﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٦٠ و ١٦١].

ومثل هذا جاء في رسالة شعيب كما سنبين بعد وهو قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٧٦ و ١٧٧].

٣ ـ الذنب والعقاب:

ولقد بيَّنَ لوط لِقَوْمِه أنَّ الذَّنب الذي يتمثَّل في معصية الله يعاقب المَرْءُ عليه، وأنَّ اللَّهَ يعذِّب المجرمين، وهو ما جاء في قَوْلِ لوط لقومِهِ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا

---

(١) راجع ما كتبناه عن ذلك في قصص نوح وهود وصالح.

كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٩].

٤ ـ الاستغفار والتوبة والجنة والنار:

ولا شكَّ أنَّ لوطاً دعا قومَهُ إلى الاستغفار والتوبة، والإقلاع عن المعاصي، وذَكَرَ لهم أنَّ اللَّهَ يسْمَعُ الدُّعاءَ ويقبلُ التوبَةَ، متى صدقت النيّة وصحَّتِ العزيمة.

ولا شكّ عندَنا كذلك أنَّ لوطاً ذكر لقومِهِ شيئاً عن البعث والقيامة والحساب والجنة والنار، وأنَّه بيَّنَ لهم ما يناسِبُ رسالَتَهُ من العقائد الدينية، كما فَعَلَ إبراهيم ومن سَبَقهما من المُرْسَلِين، وهو ما يمكن استنتاجه من قصة لوط ورسالته.

المبحث الثامن
إسماعيل وإسحاق

أما إسماعيل وإسحاق، فهما ولدا إبراهيم، وإسماعيل هو ابن إبراهيم البكر، وأمه تُسَمَّى هاجَر، قبطيَّة من مِصْر من قرية أمام الفرمى قريب من فسطاط مصر، وقيل: إن إسماعيل ولد لإبراهيم وهو ابن تسعين سنة(١).

أما إسحاق، فقيل: إنَّهُ وُلِدَ بعد إسماعيل بثلاثين سنة، وإبراهيم يومئذٍ ابن عشرين ومئة سنة(٢) وقيل: إن سارة أمَّهُ هي بنت بتوئيل بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالَخ بن عابَر بن شالح بن أرْفَخْشَد بن سام بن نوح(٣) وقيل: إن إسحاق مات وهو ابن مئة وثمانين سنة(٤).

وكل من إسماعيل وإسحاق ولد إبراهيم على كبر من سنه، ولهذا يقول جل شأنه على لسان إبراهيم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآية: ٣٩]. ولقد اصطفى الله كلاً منهما لرسالته.

---

(١) في العهد القديم: (وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبراهيم) (تكوين ١٦: ١٦).

(٢) وفي والعهد القديم: (وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه) (تكوين ٢١: ٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» ج ١/ ص ٤٧ و ٤٨؛ وقيل: إن سارة توفيت عن ١٢٧ سنة «البحر الزاخر» ١/ ٢١.

(٤) تكوين ٣٥: ٢٨.

١ ـ إسماعيل:

١ ـ ذكره في القرآن:

وذكر الله إسماعيل في القرآن في قوله لرسوله الكريم خاتم النبيين: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيتان: ٥٤ و ٥٥] ولم يذكر إسماعيل في آية من آيات الكتاب منفرداً إلا في هذه الآية.

وذكر الله إسماعيل مضموماً إلى أبيه إبراهيم عند ذكر رفع القواعد من الكعبة في قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ١٢٥ ـ ١٣٢].

وذكر الله إسماعيل مع غيره من الرسل في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ

مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٣] وقوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٨٥] وقوله لرسوله خاتم الأنبياء: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٤٨].

وقال جلَّ شأنُهُ لِرَسولِهِ الكريم خاتم النبيين: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآيات: ١٦٣ ـ ١٦٥][١].

٢ ـ العقائد في رسالة إسماعيل:

وطبيعي أنَّ العقائد الدينية في رسالة إسماعيل هي نفس العقائد التي جاءت في رسالة إبراهيم أبيه، ولنذكر بعض ما يمكن استنتاجه من الآيات الكريمة الخاصة بإسماعيل من العقائد التي جاءت في رسالته:

(ا) الألوهية والوحدانية:

وإنَّ أُولى هذه العقائد هي الأُلوهية والوحْدَانِية، وقد أرسل إسماعيل لدعوة الناس إلى الإيمان بالله ووحدانيته، ووصفه بالصفات الإلهية، كوصفه تعالى بأنّه سميع عليم تواب رحيم عزيز حكيم، إلى غير ذلك من الصفات المعروفة بالضرورة، أمّا الإقرار بالربوبية والسمع

---

(١) وراجع: [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٦] و [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٨٤] و [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٨٦].

والعلم وغيرهما من الصفات التي ذكرناها، فقد جاء في دعاء إسماعيل وإبراهيم وهما يرفعان القواعد من البيت، قولهما: ﴿.. رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ١٢٧ ـ ١٢٩].

أمّا الإقرار بالوحدانية والإيمان بها ومفروضية الدعوة إليها، فيؤخذ من قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٣].

(ب) الرسالة والنبوة:

وطبيعي أن يبلغ إسماعيل قومه بضرورة الإيمان بالرسالة والنبوة، فقد كان كما قال الله: ﴿... رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٥٤] فمن شروط الإيمان التصديق برسالة الأنبياء[١]، وقد فعل هذا كما فعل الرسل كلُّهم من قبل.

(جـ) اليوم الآخر وعذاب النار:

وما مِنْ شَكّ كذلك أن إسماعيل فعل ما فعله أبوه ودعت إليه الرسل من تعريف الناس باليوم الآخر، وما في اليوم الآخر من عذاب غير المطيعين في نار جهنم، وهذا يُؤخَذُ من قولِهِ تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

---

(١) قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حقّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٩١].

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ١٢٥ و ١٢٦].

(د) التوبة:

وما جاء ذكر التوبة على لسان إسماعيل وإبراهيم في دعائهما: ﴿.. وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٢٨] إلا لاشتِمال رسالتهما على التوبة باعتبارها من العقائد الدينية التي يؤمن بها المؤمنون، والتي يكلّف الرسول بإبلاغها إلى قومه، وطبيعي أن يدعو رسول الله إسماعيل قومه إلى التوبة وترك كلّ معبودٍ سوىٰ الله.

(هـ) الوحي:

وطبيعي كذلك أن يدعو إسماعيل قومَهُ إلى الإيمان والاعتقاد بالوحي، ولقد قال الله تعالى لرسوله الكريم محمد خاتم النبيين: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] إلى آخر الآية الكريمة وما بعدها.

٢ ـ إسحاق:

١ ـ ذكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ١٠٩ ـ ١١٣].

وجاء ذكره مع إسماعيل وغيره من الرسل في الآيات الكريمة المذكورة عند بيان ذكر إسماعيل في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ ..﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤] إلى آخر الآية الكريمة، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٧٢ و ٧٣] وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ..﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٧][1] وقال: ﴿ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيتان: ٤٩ و ٥٠] وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيات: ٤٥ ـ ٤٧].

٢ ـ العقائد في رسالة إسحاق:

ولا تختلف العقائد في رسالة إسحاق عنها في رسالة أخيه رسول الله إسماعيل، أو أبيه رسول الله إبراهيم. فمن العقائد التي جاءت في رسالته حسب ما جاء في قصته في القرآن: الوحي والألوهية والرسالة؛ أما الوحي، فيؤخذ من قوله تعالى لخاتم النبيين: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) وراجع [١١ سورة هود/ الآية: ٧١] و [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٦] و [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٣٨].

﴿... وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] إلى آخر الآية الكريمة، وأمّا الوحدانية، فتؤخذ من قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٣].

والدليل على أنَّ دعوة إسحاق تشمل الرسالة، هو قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٧٢ و ٧٣] والمفروض بداهَةً أنْ يبيّن إسحاق لقومِهِ العقائد الدينية الصحيحة.

المبحث التاسع
يعقوب ويوسف والعقائد الدينية

١ ـ يعقوب:

١ ـ ذكره في القرآن:

ولقد جاء ذكر يعقوب في الآيات التي بيَّناها في المبحث السابق بمناسبة ذكر إسماعيل وإسحاق في القرآن، فنرجو مراجعتها هنالك.

٢ ـ زمن يعقوب ونسبه:

ولقد قدَّمنا أنَّ يعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم، ويسمى كذلك إسرائيل، وإليه ينسب بنو إسرائيل.

وذكرت كتب اليهود أن زوج إسحاق[1] وهي رِفْقَة بنت بتوئيل الآرامي، كانت عاقِراً، فسألَ إسحاق ربَّه أن يرزقه بالوَلَدِ، فحمَلَتْ توأماً ووضعتهما. فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر، فدعوا اسمه عِيسُو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدعى اسمه يَعْقُوب، وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما (تكوين ٢٥: ٢٥ و ٢٦) وعاش يعقوب: مئة وسبعاً وأربعين سنة (تكوين ٤٧: ٢٨) ومات

(١) تزوج إسحاق رفقه في حياة أبيه إبراهيم، وكان عمر إسحاق يوم زواجه أربعين سنة. «البحر الزاخر» ١/ ٢١.

في مصر بعد وصوله إليها بسبعة عشر سنة[1]، وحمل يوسف جثته إلى فلسطين في أرض كنعان، وفي العهد القديم: (حمله بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المَكْفِيلة التي اشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر من عِفْرون الحثيّ أمام مَمْرا) (تكوين ٥٠: ١٣).

وبلغ عدد بني يعقوب اثني عشر، أحدهم يوسف، ويعرف عددهم في كتاب الله من رؤيا يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٤] ومن تأويلها، وهو تأويل الكواكب الإحدى عشر بأخوة يوسف الإحدى عشر، وأما الشمس والقمر فهما أبوا يوسف، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ ..﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠٠].

٣ ـ عقائده:

ولقد كان يعقوب ينادي بالتوحيد كآبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وجاء هذا في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٣].

وبيَّنَ اللّهُ تعالى أنّهُ أوْحىٰ إليه كما أوْحَىٰ إلى الرسول الكريم خاتم النبيين وغيره من النبيين، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] إلى آخر الآية الكريمة، ومعنى هذا أن دعوته تشمل عقيدة الوحي.

---

(١) «البحر الزاخر» ١/ ٢٩.

وأما عقيدة الرسالة مع الوحي، فقد جاءت في قولِهِ تعالى عن إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٧٢ و ٧٣].

وجاءت عقيدة وجود الشيطان يوسوس للناس، ويحيدهم عن الصراط المستقيم في قول يعقوب ليوسف: ﴿.. يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٥].

ومن صفات الألوهية التي جاءت على لسان يعقوب: ﴿.. إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٦] ﴿.. إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٨٣] ﴿.. إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٩٨].

وجاءت عقيدة الاستغفار في قول يعقوب حين سأله بنوه أن يستغفر لهم ذنوبهم لما ارتكبوه من الخطيئة: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٩٨].

وطبيعي أنَّ العقائد التي جاءت في رسالة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق هي عين العقائد التي جاءت في رسالة يعقوب[1]، وإن لم

---

(١) ذكرت المصادر الإسرائيلية أنَّ عبادة الأصنام كانت متفشّية أيام يعقوب.

وقالوا: إنَّ راحيل زوجة يعقوب، عند انتقالها مع زوجها من فدان آرام إلى أرض كنعان، سرقت أصنام أبيها (تكوين ٣١: ١٩)، وأنَّ خاله لابان لما علم ذلك، خرج مغضباً وأخذ أخوته معه ليلحق بيعقوب في الطريق، ولما لحق به قال له: لماذا سرقت آلهتي؟ (تكوين ٣١: ٣٠) وقالوا: وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها في حداجة الجمل وجلست عليها، فجس لابان كل الخباء ولم يجد، وقالت لأبيها: لا يغتظ سيدي أني لا أستطيع أن أقوم أمامك =

تذكر جميعها صراحَةً في قصة كلٍّ منهم، وفي قصة لوط، إذ أنَّهُم كانوا جميعاً في عصْرٍ واحدٍ، وفي بقعة واحدةٍ من الأرض تقريباً، وأهل بيت واحد، وأنَّ الله اصطفاهم جميعاً وكرَّمَهُم بالنبوّة.

٢ ـ يوسف:

١ ـ ذكره في القرآن:

قال تعالى في مقام ذكر الرُسُلِ والنبيين: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤] إلى آخر الآية الكريمة.

وقال تعالى في مقام ذكر قصة موسى ورسالته: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٣٤].

أما باقي ما يتعلَّق بقِصَّة يوسف ورسالته وعقائده، فقد جاء في سورة يوسف، ونرىٰ أنْ نَذْكُرَ هنا جميعَ الآياتِ التي تمسُّ موضوعَ بحثنا حسب

= لأن على عادة النساء، ففتش ولم يجد الأصنام (تكوين ٣١: ٣٤ و ٣٥) وقالوا: ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيلي وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك. فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم، وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل، فاصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه، فأعطوا يعقوب كلّ الآلهة الغريبة التي في أيديهم، والأقراط التي في آذانهم، فطَمَرَها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم (تكوين ٣٥: ١ ـ ٤).

التسلسل الذي جاء في القرآن الكريم، وعلى القارىء أن يرجع إلى ما لم نذكره هنا من الآيات إن شاء، وقد استغرقَتْ قصَّةُ يوسف في السورة المذكورة من الآية الرابعة لغاية الآية الواحدة بعد المئة.

قال تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيات: ١ ـ ٦].

ثم ذكر الله كيف حَسَد يوسف أخوته، ومحاولة قتله، حتى يخلو لهم وجه أبيهم، وما انتهوا إليه بعد ذلك من أخذه معهم بعد التحايل على أبيهم، بعيداً عن منازلهم، وإلقائه في الجُبّ، والرجوع إلى أبيهم بدونه وادعائهم أن الذئب أكله، والتقاط بعض السيّارة له من الجُبّ، وبيعهم إياه في مصر.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ

ﭐلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيات: ٢١ ـ ٢٤].

وذكر الله بعد ذلك فرار يوسف من هذه المرأة، وتحقق القوم من براءته، وقصّة نساء المدينة اللاتي لاموا امرأة العزيز على مراودة فتاها عن نفسه، وكيف أعدّت امرأة العزيز لهن وليمة، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً، وقالت ليوسف: ﴿.. ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيات: ٣١ ـ ٣٤].

ثم ذكر الله أنّه بدا للقوم أن يسجنوا يوسف، ودخل معه السجن فتيان، رأى كلٌّ منهما حلماً، فسألا يوسف أن يفسّرَ لهما هذَيْن الحلمين قالا: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيات: ٣٦ ـ ٤٠].

ثم ذكر اللهُ أنَّ يوسف أوَّلَ رؤيتي صاحبي السجن، ثم ذكر أمر تأويل يوسف لرؤيا الملك، وثبوت براءة يوسف عنده، واصطفاء الملك ليوسف وتوظيفه أميناً على خزائن الأرض، ثم ذكر خبر مجيء بعض أخوة يوسف إلى مصر لشراء بعض القوت، ثم طلب يوسف منهم أن يحضروا معهم أخاه الأصغر وإلا امتنع عن إعطائهم شيئاً، وامتناع يعقوب عن إرسال أخيهم معهم: ﴿.. قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيات: ٦٤ ـ ٦٨].

ثم جاء في السورة ذكر ما فعله يوسف مع إخوته ليُحضِروا له شقيقه، وما فعله حتى لا يعودوا به، وعاد أخوتُهُ إلى أبيهم بدون شقيق يوسف، ما عدا كبيرهم قال: ﴿ٱرْجِعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيات: ٨١ ـ ٨٣] ثم قال لهم: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ

وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٨٧].

وجاء في السورة خبر رجوعهم إلى يوسف، وسؤالهم إيّاه أن يتصدّق عليهم بإرسال أخيهم معهم: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيات: ٨٩ ـ ١٠١].

(٢) نسب يوسف وزمنه:

وقد ذكرنا أنّ يوسف هو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم،

وقيل: إن يوسف ولد ليعقوب من راحيل ابنة خاله لابان، ولابان هو أخو رِفْقَة زوجة إسحاق[1].

وقيل: إنه ولد ليوسف في أرض مصر مِنَسّي وأَفْرَايم اللذان ولدتهما له أَسْنات بنت قوطِي فارَع كاهِن أُون (تكوين ٤٦ : ٢٠) كبير قسس هليوبوليس المسماة بالمطرية أو عين شمس؛ وقيل: ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين، فحنَّطُوهُ ووضع في تابوت في مصر (تكوين ٥٠ : ٢٦).

ونرى أنه مما لا شك فيه أن يوسف بِيعَ في مصر، وقضى حياته فيها أثناء حكم الهِكْسُوس الذين يطلق عليهم اسم (الملوك الرعاة) أو (أمراء الصحارىٰ)، وهو الاسم الذي يقال: إنه أنسب في ترجمة لفظ الهِكْسوس[2]، وهم قبائل سامية اجتاحت مصر من ناحية الشمال الشرقي في مستهل القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وقد احتفظوا بسِيَادَتِهِم على مصر حوالي قرنين[3].

وقيل: إنَّهُم حَكَمُوا مِصْرَ من سنة ١٧٨٨ إلى سنة ١٥٨٠ ق. م، وكانوا يؤلِّفُون الأسرة الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر والسادسة عشر والأسرة السابعة عشر التي استقلّ بالحكم فيها فَرْعٌ من ملوك طَيْبَة في أيام آخر ملوك الهِكْسوس. وقد انتهى حكم الهِكْسُوس بتولِّي الحكم في مصر أحمس الذي أسس الأسرة الثامنة عشرة.

وقيل: إنَّ الذي فسّر يوسف له الرؤيا، هو أحد ملوك الهِكْسوس

---

(١) راجع (تكوين ٢٩: ١١ و ٣٠) و (تكوين ٣٠: ٢٢ ـ ٢٤).

(٢) «تاريخ العالم» مجلد ١/ ٤٦٠.

(٣) «تاريخ العالم» مجلد ٢/ ١٠٧.

المسمّى: أبو فيس أو أبيبي[1].

(٣) العقائد في رسالة يوسف:

لقد ذكرنا أنَّ يوسف كان رسولاً إلى قومه، فقد أرسله الله بالبيّنات كسائر النبيين[2]، حكىٰ تعالى قولَ الذي آمَنَ من قَوْم فرعون أيام موسىٰ إذ قال لقومه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٣٤] ويمكن استخلاص العقائد التي جاءت في قصة يوسف في القرآن الكريم فيما يلي:

(أ) الألوهية والوحدانية:

وحسبنا دليلاً على وجود عقيدة الألوهية والوحدانية في رسالة يوسف قوله للفتيين اللذين دخلا معه السجن: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ[3] ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيتان: ٣٩ و ٤٠].

---

(١) «البحر الزاخر» ١/٢٧.

(٢) قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون. فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآيتان: ٨٢ و ٨٣].

(٣) يلاحظ أنّ يوسف لم يناده‍ما باسم الصحابة، بل ناداهما باعتبار أنهما صاحباه في السجن.

ولقد ذكرنا أنَّ هذا المعنىٰ جاءَتْ به جميعُ الرُّسُل التي سبقت رسالة يوسف، من ذلك قوله تعالىٰ حكايةً عن قَوْلِ عادٍ لأخيهم هــود: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ٧٠ و ٧١].

بل ولقد جاء مِثْلُ هذا في رسالة خاتم النبيين: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٣٠ سورة الروم/ الآيات: ٢٩ ـ ٣١] ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيات: ١٩ ـ ٢٣].

وذكرنا كيف وصَّىٰ يعقوب يوسُفَ وإخوتَهُ بعبادَةِ اللَّهِ وحده لا شريك له، وهو قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٣].

وذكرنا قوله تعالى يحكي عن يوسف، وقوله للفتيين اللذين سجنا معه: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ

بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٣٨].

وجاء من صفات الله في رسالة يوسف قوله: ﴿.. إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠٠] ﴿.. وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٩٢] ﴿.. فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠١].

(ب) الآخرة:

ولا شكّ أنّ يوسُفَ كان يدْعُو قومَهُ إلى الإيمان بالآخرة وما فيها من حساب وجنّة ونار، ولا شكّ أنّه أخبرهم عن البَعْثِ، وأنَّ اللَّهَ سوف يخلقهم مرةً أُخْرَىٰ بعد أن يصيروا تراباً، وأنّنا لنستنتج هذا كله من قوله للفتيين اللذين دخلا معه السجن: ﴿.. إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٧٣].

فالمؤمنون بالآخرة هم الذين يؤمنون بالساعة والحياة البَرْزَخِية والقيامة والبعث والحساب والجنة والنار والخلود فيهما على ما جاء في رسالات جميع الأنبياء السابقين، وعلى وجه الخصوص في رسالة آباء يوسف، وفي قول يوسف لربه: ﴿.. وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠١] فيه دليل على أن الصالحين سوف يُبعثون وسوف يحيون في الآخرة حياةً طيّبةً في الجنة.

(جـ) الاستغفار والتوبة:

وجاء في قول يوسف ما يدلُّ على أنَّ في رسالَتِهِ أنَّ الاستغفار عقيدة من عقائد الدين، وأنَّ التوبَةَ هي عقيدة من عقائد الدين كذلك، فقد ذكر الله أنَّ إخوة يوسف اعترفوا بخطيئتهم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ

ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيتان: ٩١ و ٩٢].

(د) الشيطان والوسوسة:

ومن العقائد الدينية التي جاء بها الرسولُ والنبيّون أنَّ الشيطانَ مخلوقٌ من النار، وأنّ عمَلَهُ في الدنيا أن يغوي الإنسان ويصدَّهُ عن عبادَةِ الله[1] ويوقِعَ العداوَةَ والبَغْضاء بَيْنَ الناس، وقد تبيّن عَمَل الشَّيْطانِ في قول يعقوب لابنه يوسف: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٥].

وجاء ذكر عمل الشيطان على لسان يوسف في قوله لأبيه وإخوته بعد جمعهم إليه في مصر وبعد أن دخلوا عليه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠٠].

(هـ) الوحي والرسالة:

وقد بيّن يوسُفُ لقَوْمِهِ أنَّهُ يوحىٰ إليه كما أُوحِي إلى النبيين مِنْ

---

(١) عبد الشيطان منذ أقدم الأزمة ولا يزال يعبد حتى اليوم، وأكثر الذين يعبدونه يعتقدون أنّه إله الشر، ويعبدونه ويقدمون له على هذا الاعتبار، وقد ذكر الله عباده الجن في قوله: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآيتان: ٤٠ و ٤١].

قَبْلِهِ، حتى يؤمنوا بعقيدَةِ الوحي، ويؤمنوا برسالَتِهِ، وجاء ذِكْرُ الوَحْي الذي كان يُوحَىٰ به إلى يوسف في قولِهِ تعالى لرسوله الكريم خاتم النبيين: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] وطبيعي أن يوسف كان أحَدَ الأسباط.

وقال جل شأنه في يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٢٢] ونعتقدُ أنَّ هذا كنايَةٌ عن الرسالة. قيل: وكان يوسف قد بلغ من العمر حينئذ ثلاثاً وثلاثين سنة[١].

(١) «البحر الزاخر» ١/٢٦.

المبحث العاشر
الأَسْباط

وسنحاول في هذا المبحث أن نلقي ضوءاً على الأسباط الذين جمع الله بينهم وبين الرُّسُل والنبيين في كتابه، ونحاول أن نستنبط ما عساه يكون في رسالتهم من العقائد.

١ ـ ذكر الأسباط في القرآن:

جاء ذِكْرُ لفظِ الأسباط في القرآن الكريم في خمسة مواضع، وهي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٤٠].

٢ ـ وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ١٥٩ و ١٦٠].

٣ ـ وقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ

﴿وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣].

٤ ـ وقوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٨٤].

٥ ـ وقوله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٦].

٢ ـ التعريف بالأسباط:

وقد اختلفت الآراء في تعريف الأسباط، وسنحاول هنا أن نستعرض هذه الآراء:

(١) قول المؤرِّخين المسلمين في الأسباط:

قال الطبري: الأسباطُ هم الأنبياء من وَلَدِ يعقوب، وهم اثنا عشر رجلاً، ولد كلٌّ منهم أمة من الناس فسمُّوا أسباطاً، وروي عن السُّدِّي أنهم: يوسف وبنيامين وروبيل ويَهُوذا وشِمْعون ولاوِي ودان وقهات، ولم يذكر سوى هؤلاء الثمانية، ولكنه روي عن محمد بن إسحاق أن يعقوب بن إسحاق نكح ابنة خاله لَيًا، ابنة لبان بن توبيل بن إلياس، فولدت له رَؤُبِيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشَمْعُون بن يعقوب، ولاوي بن يعقوب، ويَهُوذا بن يعقوب، وزَبالون بن يعقوب، ويشجر بن يعقوب، ودينة بنت يعقوب، ثم توفيت لَيًا بنت لبان، فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لَبَان بن

توبيل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب وبِنْيامين، وهو بالعربية أَسَد، وولد له من سرِّيَّتَيْن له اسم إحداهما زِلْفَة واسم الأخرى بِلْهَة أربعة نفر: دَان بن يعقوب، ونَفْتَلي بن يعقوب، وجَاد بن يعقوب، وأشرب بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً، نَشَرَ اللَّهُ منهُم اثني عشر سِبْطاً لا يُحصي عَدَدَهُم ولا يَعْلَمُ أنسابَهُم إلا الله. يقول تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٦٠][1].

وقيل: إنَّ الأسباط من بني إسرائيل كالقَبِيلَةِ في العرب.

وقيل: السِّبْط الحافِد، وكان الحسن والحسين سبطي النبي، فهم حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر[2].

وقيل: الأسباط ولد يعقوب، وهما اثنا عشر ولداً، ولكل واحد منهم أمّة من الناس، وسمُّوا الأسباط من السبط، وهو التتابع[3].

وقال الألوسي: إنَّ الأسباط جَمْعُ سِبْط، وهم أولاد إسرائيل؛ وقيل: هم أولاد إسحاق. قال: واختلفَ الناسُ في الأسباط أولاد يعقوب، هل كانوا كلهم أنبياء أم لا؟ قال: والذي صَحّ عندي الثاني، وهو المرويّ عن جعفر الصادق، وإليه ذهب الإمام السيوطي، وألّف فيه، لأنَّ ما وقع منهم مع يوسف ينافي النبوّة قطعاً، وكونه قبل البلوغ غير مسلّم، لأنّ فيه أفعالاً لا يقدر عليها إلا البالغون، وعلى تقدير التسليم لا يجدي نفعاً على ما هو القول الصحيح في شأن الأنبياء، وكم كبيرة تضمّن ذلك الفعل، وليس في القرآن ما يدلّ على نبُّوتِهِم[4].

---

(١) «جامع البيان» ١/ ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) «تفسير غرائب القرآن» ١/ ٤٣٨.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ٢/ ١٤١.

(٤) «روح المعاني» ١/ ٣٢١.

(٢) قول المصادر الإسرائيلية في أولاد يعقوب الأسباط:

ومن الظَّاهِر أنَّ المؤرِّخين المسلمين نَقَلُوا بعْضَ رواياتِهم عن المصادر الإسرائيلية، وقد ذكرتِ اليهودُ في العهد القديم أسْماء بني يعقوب، فقالوا: (وكان بنو يعقوب اثني عشر، بنو لَيْئَة: رَأُوبَيْن بِكْر يعقوب، وشِمْعُون ولاوِي ويَهُوذَا ويَسَّاكَر وزَبُولُون. وابنا راحيل: يوسُف وبَنْيَامِين. وابنا بِلْهَةَ جارية راحِيل: دَانُ ونَفْتَالِي. وابنا زِلْفَة جارية لَيْئَة: جَادُ وأَشِير. هؤلاء بنو يعقوب الذين وُلِدُوا له في فَدّان آرام) (تكوين ٣٥: ٢٣ ـ ٢٦).

وقالوا: إنَّ يعقوبَ حين حَضَرَتْهُ الوفاةُ في مصر جَمَعَ أولادَهُ ليُنبِئَهُم بما يصيبهم في آخر الزمان، قالوا: ودعا يعقوبَ بَنِيه، وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام. اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب واصغوا إلى إسرائيل أبيكم. رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة، وفضل العز، فاتراً كالماء لا تتفضل، لأنك صعدت على مضجع أبيك، حينئذ دنسته، على فراشي صعد. شمعون ولاوي أخوان آلات ظلم سيوفهما في مجلسهما لا تدخل نفسي، بمجمعهما لا تتخذ كرامتي، لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً، وفي رضاهما عرقبا ثوراً. ملعون غضبهما فإنه شديد، وسخطهما فإنه قاس، أقسمهما في يعقوب، وأفرقهما في إسرائيل. يهوذا إيّاك يحمد أخوتك، يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. يهوذا جرو أسد من فريسة صعدت يا بني. جثا وربض كأسد وكلبوة، من ينهضه، لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب[1]. زبولون عند ساحل البحر يسكن وهو عند

---

(١) ولهذه المناسبة، نذكر أنّ هذه الجملة، بغض النظر عن ما سواها، تعد من =

ساحل السفن وجانبه عند صيدون. يسّاكر حمار جسيم رابض بين الحظائر، فرأى المحل أنه حسن والأرض أنها نزهة، فأحنىٰ كتفه للحمل وصار للجزية عبداً. دان يدين شعبه كأحد أسباط إسرائيل. يكون دان حية على الطريق، أفعواناً على السبيل، يلسع عقبي الفرس فيسقط راكبه إلى الوراء. لخلاصك انتظرت يا رب.

جاد يزحمه جيش، ولكنه يزحم مؤخره. أشير خبزه سمين وهو يعطي لذات ملوك. نفتالي أيلة مسيبة يعطي أقوالاً حسنة، يوسف

= البشارات التي تبشّر في العهد القديم بخاتم النبيين، ومعناها أنه لا يزول ولا ينقضي ملك يهوذا المنتظر أن يكون مبنياً على شريعة موسى الحقيقية. ولا يزول مشترع، أي: صاحب شريعة، وهو عيسى من بين رجلي يهوذا، أي: من نسله أو من صلبه، حتى يأتي شيلون Shilon الذي ترجم في بعض نسخ العهد القديم بلفظ (الذي له الكل) وينطبق هذا على محمد خاتم النبيين الذي أرسل للناس كافة، كما قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآية: ٢٨].

ولفظ (وله يكون خضوع شعوب) ينطبق كذلك على خاتم النبيين، فالمعروف أنّه ما مرّ على الإسلام أقل من مئة عام، منذ مبدأ الدعوة الإسلامية، حتى خضعت للمسلمين جميع شعوب الدول الرومانية الشرقية. ودولة فارس بأسرها. وملكوا ما بين الصين والمحيط الأطلنطي.

ولفظ (حتى) في الجملة (حتى يأتي شيلون) يبين أنّ المبشر به لا يكون من نسل يهوذا. وينطبق هذا على الرسول الكريم خاتم النبيين، إذ أنّه من نسل إسماعيل.

ولا تنطبق هذه البشارة على داود كما زعمت اليهود، ولأنه كذلك لم يأتِ بشريعة جديدة، إذ أنّ شريعته هي شريعة موسى.

ولا تنطبق هذه البشارة كذلك على المسيح، لأنّه ظل طول حياته في حكم الرومان، وظل قومه من بعده خاضعين للدولة الرومانية كذلك حتى أوائل القرن الرابع بعد الميلاد، بل ظلت الأمبراطورية الرومانية الغربية بعد ذلك مجرد استمرار لأمبراطورية وثنية سالفة، وظل البابا مجرد رئيس للقساوسة، لا شأن له بأمور الأمبراطورية، واقتصرت وظيفته على غفران خطايا المذنبين.

غصن شجرة مثمرة، غصن شجرة مثمرة على عين. أغصان قد ارتفعت فوق حائط، فمررته ورمته واضطهدته أرباب السهام، ولكن ثبتت بمتانة قوسه، وتشددت سواعد يديه، من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صخر إسرائيل. من إله أبيك الذي يعينك ومن القادر على كل شيء الذي يباركك تأتي بركات السماء من فوق، وبركات الغمر الرابض تحت، بركان الثديين والرحم، بركات أبيك فاقت على بركات أبوي.

إلى منية الآكام الدّهْريّة تكون على رأس يوسف وعلى قِمَّة نذير إخوته. بنيامين ذئب يفترس. في الصباح يأكل غنيمة، وعند المساء يقسم نهباً.

جميع هؤلاء هم أسباط إسرائيل الاثنا عشر، وهذا ما كلّمهم به أبوهم وباركهم. كلُّ واحدٍ بحسْب بركَتِهِ باركهم. وأوصاهم وقال لهم: أنا أنضم إلى قومي. أدفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي.. (تكوين ٤٧: ١ ـ ٢٩).

(٣) رأينا في الأسباط:

ونحن نرى أنّ الأسباط هم أولاد يعقوب الاثنىٰ عشر للأسباب الآتية:

أولاً: ذَكَرَ اللّهُ أنَّ الأسباط لم يكونوا في عهد موسىٰ ولا في عهد المسيح، أي: إنهم كانوا في الفترة التي بين يعقوب وموسى، وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٤٠]، وهذا تقريرٌ وتوبيخٌ في ادّعائهم أنهم كانوا هوداً أو نصارى، فردَّ اللّهُ بأنَّهُ أعلم بهم منكم، أي: لم يكونوا هوداً ولا نصارىٰ.

ثانياً: في الآيتين الرابعة والخامسة المذكورتين في أوّل هذا البحث، عدَّ اللَّهُ الرُّسُلَ والنبيّين البارزين الذين يجب علينا أن نؤمن بهم، وأن يؤمن الرسول الكريم وخاتم النبيين بهم، ولم يذكر فيهم يوسف، بل ذكر بدله لفظ (الأسباط)؛ وفي هذا دليل على أنَّ يوسف من الأسباط الاثني عشر، وإلا لذكر اسمه، قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٦] وقال: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٨٤].

ثالثاً: حين حَضَرَ يعقوبَ الموتُ وصّىٰ بنيه جميعاً بما فيهم يوسف ألا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٣] وبهذا سوّىٰ بينهم جميعاً في التَوْصِيَةِ.

رابعاً: لا يطعن في أولاد يعقوب لمجرّد أن حدّثتهم أنفسهم أن يقتلوا يوسف بسبب عارِضٍ من أعراض الغيرة، لم يلبث أنِ انتهىٰ، ولو أنهم كانوا أشراراً لقتلوه فعلاً، وليس في ديننا أن من تحدّثه نفسُهُ باقتراف جريمةٍ وتغلّب على نفسِهِ ولم يقترفها يكون مديناً، بل إنّه لَمِنْ صفات المُؤمِنِ أنْ يقاوِمَ ما قد تحدّثه به نفسُهُ من شَرٍّ، وأنْ يتغلّب على النّفسِ الأمّارَةِ بالسُّوءِ، ولقد قال يوسف نفسه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ

نَفْسِيٓۚ [1] إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [٧٩ سورة النازعات/ الآيتان: ٤٠ و ٤١].

ويلاحظ أنّ أخوة يوسف لم يكونوا عازمين على قتله عزماً أكيداً، ولهذا تبيّن الآية الكريمة تردُّدَهم في القتل، ومجرّد إبداء الرأي هل يقتلونه فيضْمَنوا بذلك إبعاده عن أبيهم، أو يبعدونه عنه بطريقة أخرى، وذلك كقول المغيظ لمن يغيظه: ألقتلك أم ماذا أفعل بك للتخلّص منك!، ولهذا قالوا: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٩] وليس من المعقول أن يكون شَقِيّاً من يفكّر في التوبة المعجّلة عند التفكير في ارتكاب إثم ما.

ألا ترى أنهم انصاعوا على الفَوْرِ إلى قول أحدهم: ﴿.. لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠].

خامساً: لم يذْكُرِ القرآنُ الكريم أنَّ أخوةَ يوسف كانوا أنبياء حينئذ، فكل خَطإٍ وقعوا فيه كان قبل النبوة.

ولقد بيّن القرآنُ الكريم أنهم استغفروا اللّهَ وتابَ عليهم اللّهُ، وعفا عنهم يوسف: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا

---

(١) ﴿وما أبرىء نفسي..﴾ هو من قول يوسف «الجامع لأحكام القرآن» ٩/٢٠٩. ورواه الطبري بسنده عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابن أبي الهذيل والحسن وأبي صالح وقتادة وعكرمة والسدي (جامع البيان ١٣/٢ و ٣).

لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيتان: ٩١ و ٩٢] ولقد سألوا أباهم كذلك أن يستغفر لهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآيتان: ٩٧ و ٩٨].

فلا يقدح في الأسباط لأنهم أخطأوا بعض الأخطاء قبل أن يأتيهم الله بالنبوة[١]، وقبل أن يُكَلَّفوا بالدعوة إلى الدين بعد مَوْتِ أبيهم.

سادساً: لما كانت الأسباط لم توجَدْ إلا قبل عهد موسىٰ، ولما كان الزَّمَنُ بين مَوْتِ يعقوب وميلاد موسىٰ محدوداً، إذ إنَّ موسىٰ ولد سنة ١٥٧١ق.م، كما سَنُبَيِّن بعد، ولمَّا كانَتْ ذرِّيَّةُ يعقوب لم تخرَجْ من مصر إلا في زمن موسىٰ، ولما كان من الثَّابِتِ أنَّهُ لم يُرْوَ في التاريخ أو في القرآن الكريم أو في أي كتاب آخر أنَّ هنالك اثني عشر نبيّاً كانوا يدعون إلى الله في مصر تواتروا في الزمن بين يوسف وموسىٰ، وجاء أحدهم بعد الآخر، مع العلم بأنَّ الزمن من موت يوسف إلى ولادة موسى هو ٦٤ سنة[٢]، لذلك لا نستطيع أنْ نزعم أنَّ هنالك أسباطاً غير أولاد يعقوب الاثني عشر.

---

(١) قال الله تعالى لرسوله الكريم خاتم النبيين: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ٥٢] وكقوله تعالى لرسوله الكريم في سورة يوسف: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٣].

(٢) «مرشد الطالبين» ص ٦٩.

سابعاً: ما زعمتْهُ اليهودُ من التَّشْهِير بأوْلاد يعقوب لا يُؤْبَهُ به، فليس بكَثِيرٍ عليهم أن يزعموا أن رَأوبين بكر يعقوب زنى ببَلْهة سرِّيَة أبيه (تكوين ٣٥: ٢٢) وأن يهوذا بن يعقوب زنى بثامار زوجة ابنه (تكوين ٣٨: ١٢ ـ ٣٠) فقد زَعَمُوا من قبل أنَّ رسول الله لوط زنىٰ بابْنَتَيْه وهو سكران، وأن إحداهما حملت منه بولد سُمِّي: موآب، وأنَّ الأخرىٰ حملت منه كذلك بولد سُمِّي: بن عمي.. (راجع تكوين ١٩: ٣٠ ـ ٣٧) وأن إبراهيم خليل الله عمل قوّاداً لامْرأته طَمَعاً في المال، وأنّه كرَّرَ هذا العمل مرَّتَيْن (تكوين ١٢: ١١ ـ ١٧)، (تكوين ٢٠: ١ ـ ١٤)... وهكذا.

ثامناً: وأمَّا الأسباطُ في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٦٠] فلا يعني الأنبياء الاثني عشر من أولاد يعقوب، فإن هناك قرينة تمنع أن يكون الأسباط بمعنى الأنبياء موجودين في عهد موسى، فهنالك الآية الأربعين بعد المئة من سورة البقرة التي تنفي أن يكون الأسباط هوداً أو نصارىٰ.

ويكون لفظ الأسباط المذكور في الآية الستين بعد المئة من سورة الأعراف يعني (فِرقاً) أي: وقطعنا بني إسرائيل فرقاً اثنتي عشر تكون كل فرقة منهم أمة من الناس.

تاسعاً: يُلاحَظُ أنَّ يوسُفَ رأىٰ إخوتَهُ في الرُّؤيا التي رآها كواكب (أي: نجوماً)[1] يستضاء بها، ولو لم يكونوا أنبياء لما رآهم بهذه

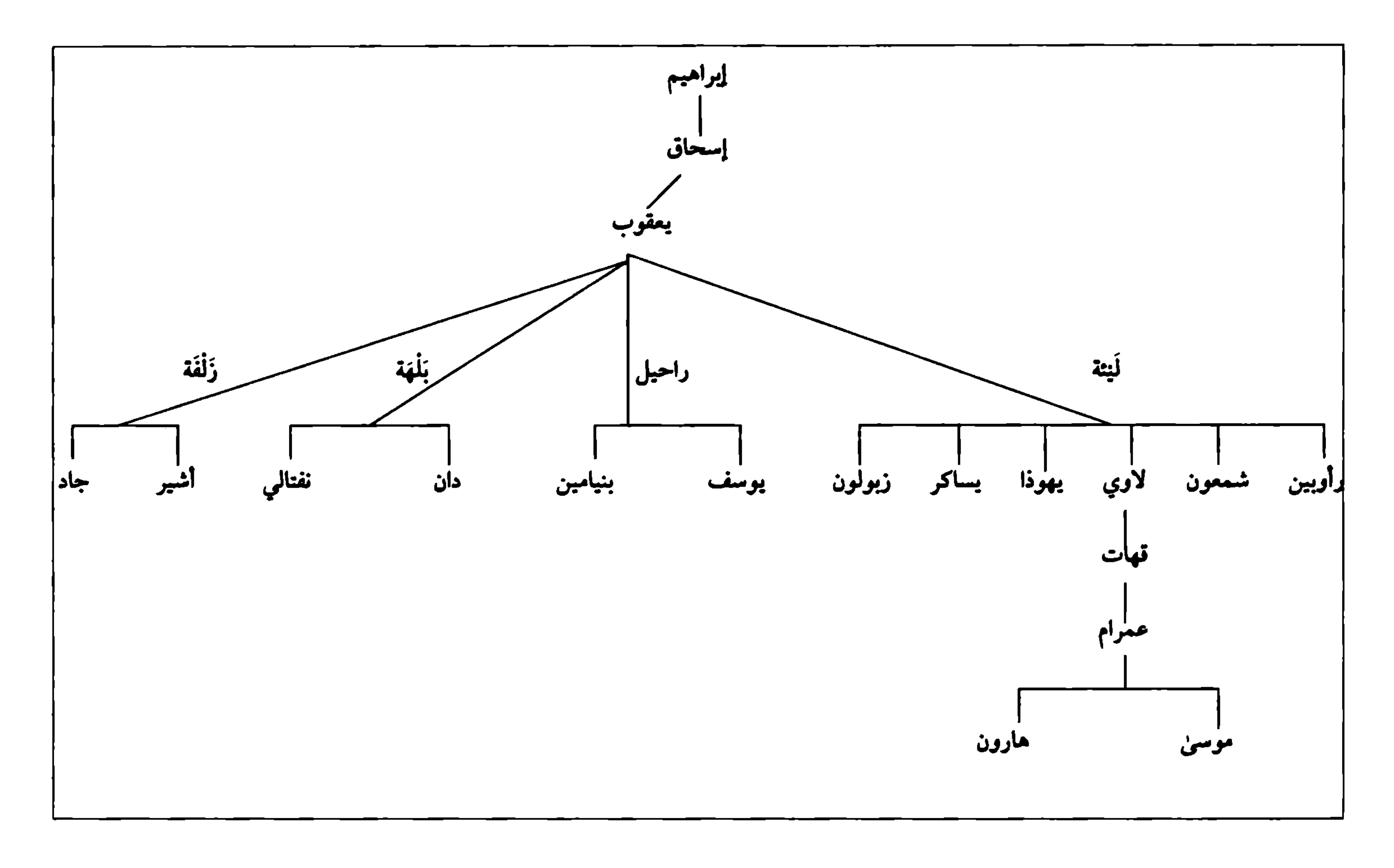
---

(١) القرآن الكريم يسمِّي النجوم كواكب.

الـصـورة: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٤].

ونجد في القرآن الكريم أنَّ الله تعالى يُسمِّي الرسول الكريم خاتم النبيين نوراً في قوله: ﴿..قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ..﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيتان: ١٥ و ١٦] ويسمى الله كذلك كتبه المنزلة على رسله نوراً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [٣ سورة النساء/ الآية: ١٧٤] وسَمَّى الله التوراة نوراً وضياءً بقوله: ﴿.. قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ..﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٩١] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٤٨].

ونرى تسهيلاً على القارىء أنْ نرسُمَ له جدولاً يبين علاقة القرابة بين إبراهيم وذرِّيَتِه، إسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط وأمهاتهم المختلفة، ووجه القرابة بين يوسف وموسى وهارون وغير ذلك مما يمكن إدراكه من الجدول الآتي، وهو مكمِّلٌ للجدول السابق:


إبراهيم
إسحاق
يعقوب
زَلْفَة
بَلْهَة
راحيل
لَيئة
جاد
أشير
نفتالي
دان
بنيامين
يوسف
زبولون
يساكر
يهوذا
لاوي
شمعون
رأوبين
قهات
عمرام
هارون
موسىٰ

٣ ـ العقائد عند الأسباط:

وطبيعي أنّ ما جاء من العقائد في رسالة يوسف وأبيه، ورسالة جده إسحاق وأبي جده إبراهيم هي نفس العقائد التي نشرها سائر الأسباط: يوسف وإخوته الإحدى عشر، ولا نرى أن نكرّر هنا ما ذكرناه منها، خصوصاً أنَّ القرآن الكريم أغفل ذِكْرَها، ولم يذْكُرْ معها إلا أهمّها، وهي عقيدة التوحيد التي وصّى بها يعقوب بنيه الأسباط كما تقدّم.

ويقاس على ذلك ما جاء في قِصَّةِ الأسباط وقصَّةِ يوسف من عقائد الاستغفار والتوبة والجزاء وغيرها مما بَيّنّاه في المبحث السابق.

ومما جاء في عقائد الأسباط عقيدة الوحي، فقد ذكر الله تعالى أنه كان أوحى إليهم، قال جل شأنه: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ . .﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣].

المبحث الحادي عشر
أيوب

١ ـ أيوب وذكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيات: ٤١ ـ ٤٤].

وقال: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤].

وقال تعالى يذكر أيوب مع غيره من الرسل والنبيين: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] إلى آخر الآية الكريمة.

وقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤].

٢ ـ نسبه وزمنه:

قال ابن إسحاق: كان أيّوب رجلاً من الروم، وهو أيوب بن موص بن زراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وقال غيره: هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب. وقيل: هو ابن موص بن روح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم.

وحكى ابن عساكر أنَّ أمه بنت لوط، وقيل: كان أبوه ممَّن آمَن بإبراهيم يوم أُلقِيَ في النار فلم تحرقْه، والمشهور الأوَّلُ، لأنَّهُ من ذُرّيّةِ إبراهيم[1]، لقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿..وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ..﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٨٤]، فالضمير في (ذريته) يعود إلى إبراهيم دون نوح، وهو من الأنبياء المنصوص على الإيحاء إليهم في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] إلى آخر الآية.

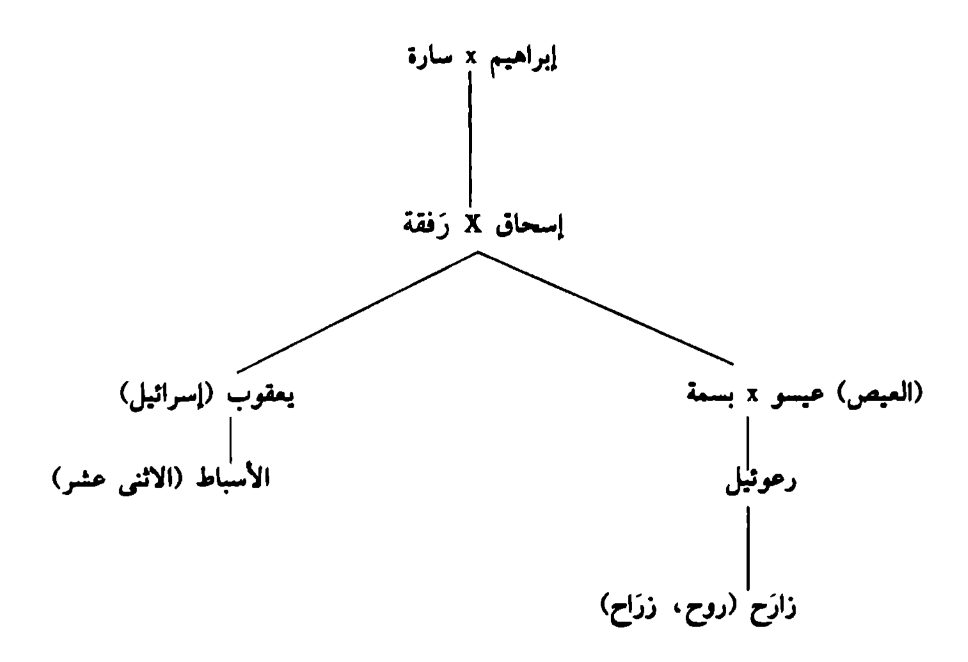
ويلاحَظُ أنَّ هنالك اختلافاً بين سلسلة النسب المذكورة آنفاً وبين سلسلة النسب التي جاءت في المصادر اليهودية، فقد جاء في سفر التكوين أن عيسو (العيص) بن إسحاق، تزوّج بسمة (بنت رسول الله إسماعيل[2] أخت نبايوت) فولدت له رعوئيل، وولد لرعوئيل زارَح (زراح)[3] على هذا النحو:

---

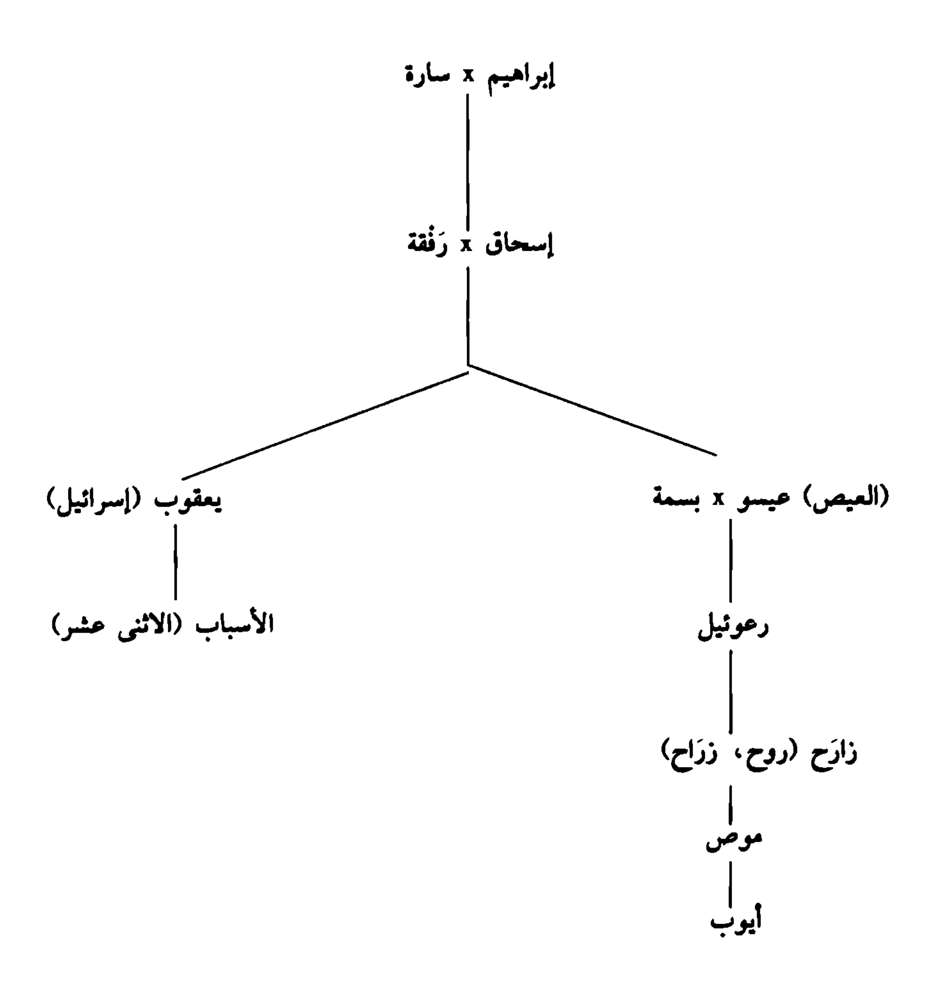
(١) «البداية والنهاية» ٢/ ٢٢٠، و «جامع البيان» ٧/ ١٧٢.

(٢) جاء في (تكوين ٢٨: ٩) اسم (محله) بنت إسماعيل بدل اسم (بسمة) وهو تناقض ظاهر.

(٣) راجع تكوين ٣٦: ٣ و ٤ و ١٣ و ١٧.



وإذا جاز لنا التوفيق في سلسلة النسب بين المصادر العربية والمصادر الإسرائيلية، خاصة أنّ سفر أيوب ذكر أنّ أيوب كان في أرض عوص (أيوب ١: ١) كان نسب أيوب كالآتي:



وذكرت المصادر الإسرائيلية والمسيحية أن موطن أيوب كان: أرض عوص التي يُظَنّ أنها كانت جزءاً من جبل سَعِير، وبلاد أدُوم[1]، الواقعة بين اليهودية جنوباً وبلاد العرب شمالاً[2]، وقيل: إنَّه هو يوباب بن حفيد عيسو، وأنَّه عاش بضع سنوات قبل موسى أو بالقرب منه. وذكرت

(١) قيل: فسكن عيسو في جبل سَعِير، وعيسو هو أدوم، وهذه مواليد عيسو في أدوم في جبل سعير. هذه أسماء بني عيسو اليفازين عدا... ورعوئيل بن بسمة... (تكوين ٣٦: ٨، ١٠).

(٢) «مرشد الطالبين» ص ١١٩.

المصادر اليهودية أنّ اللّهَ بَعْدَ أن رَدَّ إلى يعقوب أهْلَهُ أنه عاش بعد هذا مئة وأربعين سنة، ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال. ثم مات أيوب شيخاً وشبعان الأيام (أيوب ٤٢: ١٦ و ١٧).

٣ ـ عقائده:

ولقد تبين من الآيات الكريمة التي ذكرناها في صدر هذا المبحث، أن الله تعالى لم يذكر أيوب إلا في مواضع قليلة من كتابه.

ومع ذلك نستطيع أن نستخلص من هذه الآيات أن أيوب كان من النبيين الموحى إليهم كما جاء في الآية الثالثة والستين بعد المئة من سورة النساء، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣]. مما يستنبط منه إنه دعا قومه إلى الإيمان بالوحي والرسالة، ولا شك إنه كان مرسلاً إلى قومه لقوله تعالى: ﴿.. وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ..﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٨٤].

وجاء في قِصَّة أيوب ما يتبيّن منه أنّ الشيطانَ عدوٌّ للإنسان، وأنّهُ مُسلَّطٌ عليه لإغوائه، والوسوسة في صَدْرِه، لإضلاله وصَدِّهِ عن سبيلِ اللّهِ[1]، وجاء في القصة مَثَلٌ عَمليٌّ للفتنة ووجوب مقاومتها.

---

(١) وقالت اليهود: وكان ذات يوم أنّه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطان وقال: من الجولان في الأرض، ومن التمشي فيها، فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأن ليس مثله في الأرض؟... فأجاب الشيطان الربّ وقال: هل مجاناً يتقي أيوب الله، أليس إنك سيجت حوله وحول بيته وحول =

وما دام أيّوب من النبيّين المُوحَىٰ إليهم، وما دامَ مِنْ ذرية إسحاق وإبراهيم، وما دام من حَفَدَةِ إسماعيل (إنْ صَحَّ أنَّ عيسو تزوَّج بنت إسماعيل) فلا بُدَّ أنّهُ جاء بالعقائد التي أتىٰ بها هؤلاء غير منقوصة، وأنّهُ هَدَىٰ أهْلَهُ وقومَهُ إلى حقائق الدِّين القَيِّم الصَّحِيح.

= كل ماله من كل ناحية، باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض، ولكن ابسط يدك الآن ومسّ كلّ ماله، فإنّه في وجهك يجدف عليك. فقال الربّ للشيطان: هوذا كل ماله في يدك. وإنما إليه لا تمد يدك... (أيوب ١: ٦ - ١٢) إلى آخر ما جاء في روايتهم حسب ما ذهبوا إليه. ولقد ذكر القرآن الكريم قصة أيوب الحقيقية، مما لم يأتِ فيه هذا الحوار غير المعقول: ﴿... إن الحكم إلاّ لله يقص الحق...﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٥٧].

المبحث الثاني عشر
ذو الكفل

١ ـ ذكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٤٨] وقال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٨٥ و ٨٦]. ولم يذكر الله تعالى ذا الكفل إلا في هذين الموضعين من القرآن الكريم.

٢ ـ نسبه وزمنه:

وذكر بعضهم أن ذا الكفل هو ابن أيّوب[١].

وقال الطبري: إن ذا الكفل رَجُلٌ تكفَّلَ من بعض الناس، إمَّا مِنْ نبي، وإما من مَلِكٍ من صالحي الملوك بعَمَلٍ من الأعمال، فقامَ به من بَعْدِهِ، فأثْنَىٰ اللَّهُ عليه حسْنَ وفائِهِ بما تكفَّل به، وجعله من المعدودِين في عبادِهِ، مع من حمد صبره على طاعة الله[٢].

وروى الطبري وغيرُهُ في شأن ذي الكفل أخباراً إسرائيلية لا أراها

---

(١) «البداية والنهاية» ٢/ ٢٢٥. [بعض الباحثين المسيحيين يجعلون ذا الكفل هو حزقيال. بسام].

(٢) «جامع البيان» ١٧/ ٥٨.

صالحة للنقل في مثل هذا المؤلّف، ورُوِيَ عن مجاهد أن ذا الكفل رَجُلٌ صالِحٌ غير نبي، تكفّل لبني قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمه لهم، ويقضي بينهم بالعَدْلِ، ففعل ذلك. فسمي ذا الكفل[1].

وقال الحسن والأكثرون: إنَّهُ من الأنبياء، وهذا أقربُ لأنّه معطوف عليهم، معدود فيما بينهم[2].

٣ ـ عقائده:

ولا شكّ أنّ ذا الكِفْل كان كغيره من النبيين، داعياً إلى الله وإلى الوحْدانِيّة، مذكّراً الناسَ بالمَوْتِ والحياة البَرْزَخِيّة والبَعْثِ والقِيَامَةِ والحساب والعقاب والثواب وغيرها من العَقائِد التي أُوحِيَ بها إلىٰ النبيّين لإرشاد أقوامِهِم وتعليمِ النّاسِ ما غابَ عَنْهُم من حقائق الدّين، ودعوتهم إلى الإيمان بالغَيْب.

(١) «جامع البيان» ١٧/٥٩.

(٢) «تفسير غرائب القرآن» ١٧/٤٨.

المبحث الثالث عشر
شُعَيْب

١ - ذِكْرُهُ في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٨٥ ـ ٩٣].

وقال: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [١١ سورة هود/ الآيات: ٨٤ ـ ٩٥].

وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ

ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآيتان: ٣٦ و ٣٧].

وقال: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٧٦ ـ ١٨٩].

٢ ـ نسبه وزمنه:

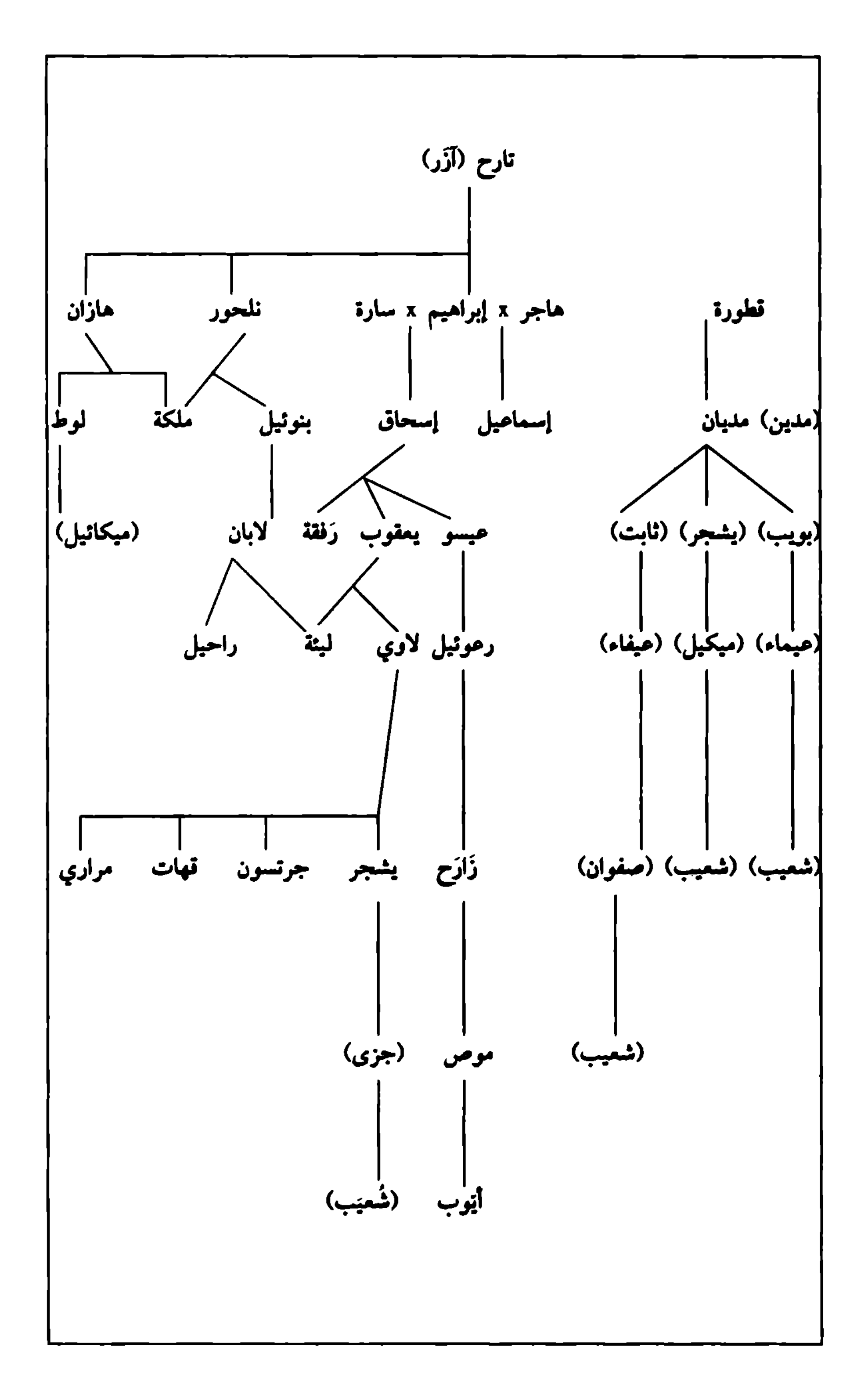
ومن المقطوع به أن شُعَيْباً جاء بعد زَمَنِ لوط، فقد كان لوط يقول لقومه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٨٩].

وأمّا عن نَسَبِ شُعَيْب، فقد قالَ عطاء وابن إسحاق وغيرهما أن شُعَيْباً هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم، وكان اسمه بالسريانية (بيروت) وأمه ميكائيل بنت لوط، وقيل: إنه ابن عيفاء بن يوبب بن مدين بن إبراهيم، وقيل: إنه ابن جزي بن يشجر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقيل: هو شعيب بن صفوان بن عيفاء بن ثابت بن مدين بن إبراهيم[1].

---

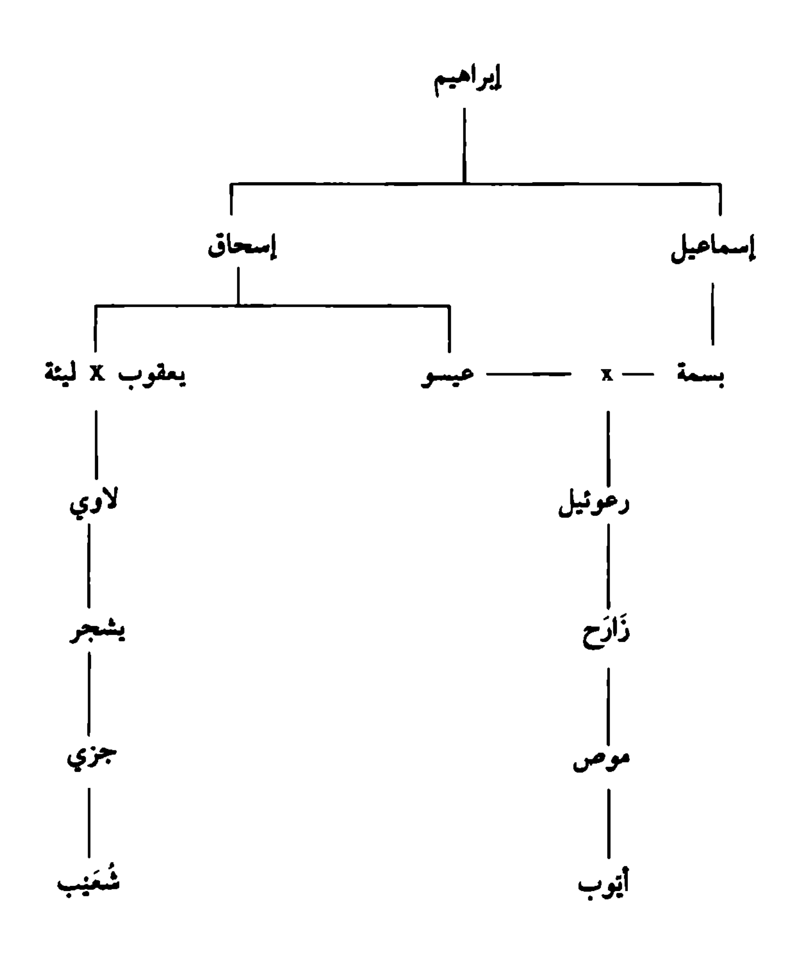
(١) «الجامع لأحكام القرآن» ٧/ ٢٤٧، ٢٤٨، و «جامع البيان» ٨/ ١٦٦.

وقد لاحظْنَا أنَّ بعض هذه الأسماء في نَسَبِ شُعَيْب غير موجودة في المصادر الإسرائيلية، ولعلّ السبب في ذلك أنَّ اليهود لم يهتَمّوا إلا بسلسلة النسب التي تتصل بتاريخهم وحدهم ومن وجهة نظرهم الخاصة. ولقد رأينا إتماماً للفائدة، وتيسيراً على القارىء أن نوفِّق بين المصدرين المذكورين، في جدول خاصّ، لعل هذا يوصلنا إلى تحقيق الزمن الذي وجد فيه شعيب، بالمقارنة بين نسبه ونسب الرسل والنبيين الآخرين الذين يتَّسِع لذكرهم الجدول المذكور، مع ملاحظة الاختلاف في نسب شُعَيْب الذي جاء في المصادر الإسلامية، ولقد وضعنا الأسماء التي لم تذكر في المصادر الإسرائيلية في نسب شعيب بين قوسين.


تارح (آزَر)
هازان
نلحور
سارة x إبراهيم x هاجر
قطورة
لوط
ملكة
بنوئيل
إسحاق
إسماعيل
(مدين) مديان
(ميكائيل)
لابان
رَفقة
يعقوب
عيسو
(ثابت)
(يشجر)
(بويب)
راحيل
ليئة
لاوي
رعوئيل
(عيفاء)
(ميكيل)
(عيماء)
مراري
قهات
جرتسون
يشجر
زَارَح
(صفوان)
(شعيب)
(شعيب)
(جزى)
موص
(شعيب)
(شُعيَب)
أيّوب

ومما يلاحظ أنّ المصادر الإسرائيلية لم تذكر اسم (يشجر) ضمن أولاد لاوي، فقد جاء فيها: وبنو لاوي، جَرِيشُون وقَهات ومَرَاري (تكوين ٤٦ : ١١).

وإذا أخذنا بقول ابن سَمْعان القائل بأنّ شُعَيْباً من نَسْل لاوي بن يعقوب، وجدْنَا حسب الجدول المذكور في الصفحة: ١٧١ من هذا الكتاب أنّ شُعَيْباً وُجِدَ في جِيلٍ مقابل للجيلِ الذي وجد فيه أيّوب، ويكون كل من شُعَيْب وأيّوب على بَعْضِ الآراء في منزلة أولاد العم، كما هو مبسَّط في الجدول الآتي:



وإذا صحّ ما قيل من أن شعيباً هو ابن جزي بن يَشْجر بن لاوي، وإذا صح ما جاء في العهد القديم من الاقتصار على ذكر أولاد لاوي الثلاثة، وهم جَرِشون وقَهات ومَراري، دون ذكر يَشْجُر، فإننا نستطيع أن نعلل عدم ذكر يشجر بن لاوي في العهد القديم، لأنّ يشجر لم يكن من أولاد لاوي الذين ذهبوا إلى مصر أيَّام يوسف مع أبيهم يعقوب، فاليهود ذكروا أسماء أولاد لاوي الثلاثة في مقام ذ كر أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر (تكوين ٤٦ : ٨).

وهـذا يعـلّلُ وجودَ شُعَيْب في أرض مَدْيَن، وهـو الأراضـي الموجودة بين البحر الميت وخليج عيلام (العقبة)، تخلّف فيها مع أبيه وجَدّه، وقد يكون كلٌّ من أبيه وجدّه أو أحدهما قد عاقَهُ عائِقٌ ما عن الذهاب مع سائِر بني إسرائيل إلى مصر، فبقي شُعَيْب في قومِهِ الذين وُجِدَ بينهم، وأرْسَلَهُ اللّهُ إليهم ليبلغهم رسالات ربّهم وينصح لهم، ويدعوهم إلى الإيمان وطاعة الله.

بُعِثَ شُعيب إلى أمّتَيْنِ: إلى قومِهِ أهل مَدْيَن، وإلى أصحاب الأيْكَة، وكانَتِ الأيْكة من شَجَرٍ ملْتَفٍّ، فلما أرادَ اللّهُ أنْ يعذِّبَهُم بَعَثَ عليهم حَرّاً شديداً، ورَفَعَ لهمُ العذابَ كأنَّهُ سحابَةٌ، فلما دَنَتْ منهم خَرجوا إليها، وجاء بَرْدُها، فلما كانوا تحْتَها مطرت عليهم ناراً، وهـو قـولـه تـعـالـى: ﴿..فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ..﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٨٩].

وقيل: بَعَثَ الله عليهم ومضاً وحرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسِهِم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجوافَ البُيوتِ، فأخذ بأنفاسِهِم، فخرجوا من البيوت هَرَباً إلى البرِّيّة، فبَعَثَ اللّهُ عليهم سحابَةً، فأظلّتْهُم من الشَمْسِ، فوجدوا لها بَرْداً ولذَّةً، فنادىٰ بعضُهم بعضاً،

حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسَلَها اللَّهُ عليهم ناراً[1].

٣ ـ العقائد في رسالة شعيب:

(١) الإيمان بالله ووحدانيته:

وكانَ أساس دَعْوَةِ شُعَيْب الإيمان بالله وحده لا شريك له، وهو نفس الأساس الذي بُنِيَتْ عليه دعوة النبيِّين من قَبْلِهِ كما بيَّنَّا، بل هو الأساس الذي بُنِيَتْ عليه دعواتُ النبيّين والرُسُل من بَعْدِهِ، حتى وصلتِ الدعوةُ إلى محمد رسول الله وخاتم النبيين، ولك أن تقارن بين دعوة شُعَيْب إلى التوحيد بدعوات الرسل جميعاً إلى الإقرار بتلك الوحدانية بمراجعة قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٥٩].

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٥].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٧٣].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٨٥].

وقوله تعالى لخاتم النبيين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٢٥].

وقوله تعالى لخاتم النبيين كذلك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا

---

(١) «جامع البيان» ١٩/ ٦٧.

أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [١١٢ سورة الإخلاص/ الآيات: ١ ـ ٤].

دعا شُعيبٌ قومَهُ إلى الإيمان بالله ووحدانيته، وقال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٨٤].

وبيَّنَ لهم أنّ اللّهَ هو خالقُهُم، وهو الذي خلق: ﴿.. ٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٨٤] وأنّه: ﴿.. وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٨٩] وأنّه: ﴿.. رَحِيمٞ وَدُودٞ ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٩٠] وأنه بما يعملون: ﴿.. مُحِيطٞ ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٩٢] وأنّه رب: ﴿.. ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٨٠] وأخذ يتّخِذ السُّبُلَ المنطقِيّة طمعاً في تصديقه، والإيمان بالله، وترك عبادة سواه، والرجوع عمّا هُمْ فيه من الإشراك واقتراف المنكرات.

(٢) الوحي والرسالة:

وما مِنْ شَكٍّ أنّ شُعَيْباً كان يُوحىٰ إليه كسائر الرسل الذين قصَّهُمُ اللّهُ تعالى على خاتَمِ النبيّينِ في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآيتان: ١٦٣ و ١٦٤].

وبذلك كانَ ممّا دعا إليه شُعَيْب قومَه أنْ يؤمنوا بالوَحْي، وأنْ يؤمنوا تبعاً لذلك بصدق رسالته: ﴿.. وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٩٣] وأبلَغهم أنّهُ يؤدّي إليهم الرسالة بأمانة: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [٢٦ سورة

الشعراء/ الآيات: ١٧٧ ـ ١٧٩] وقال لهم: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٨٧].

ولم يكُنْ شُعيب لِيَدْعُو قومَهُ إلى الإيمان برسالته وحدها، بل لقد كان يدعوهم إلى الإيمان بالرسالة على وجْهٍ عام، وأن يؤمنوا بأنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ رسلاً من الناس إلى الأناسي من أقوامِهم وإلى الْبَشَرِ في جميع العُصورِ، على امْتِدَادِ تاريخِ حياتِهم الإنسانية.

ولقد كان الرُسُلُ جَميعاً يدعونَ أقوامَهم إلى الإيمان بالرسالة، كما بَيَّنا، إذ كانت أقوامُهُم لا تُؤْمِنُ بأنَّ اللَّهَ يُرْسِلِ إلى الناس رسلاً من البشر يأكلون مِثْلَهم الطَّعام، ويشْرَبون مثلهم، ويحيون حياتَهُم التي أُهِّلُوا لقضائها على الأرض[1]، وكذلك أنكَرَ قومُ شُعيب أنْ يكونَ هنالك رسلٌ آدميّون، وكذّبوا رسولَهُم: ﴿قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٨٥ ـ ١٨٨].

وذكر اللَّهُ تعالىٰ عدَمَ إيمان قَوْمِ شُعَيْب برسولهم وبجميع الرسل، أي: عدم إيمانهم بالمرسلين على وجْهٍ عامٍّ في قولِهِ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٧٦].

وهكذا حكىٰ اللَّهُ عنهم ما حكاهُ عن أقوامِ المرْسَلِين من قَبْل شُعيب. ونرى أن نذكرك بما قالَهُ الله في هذا، وهو قوله جل شأنه:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ

---

(١) قال تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إنّ الله سميع بصير﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية ٧٥].

رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٧].

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٥].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٤١ ـ ١٤٣].

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ لآيات: ١٦٠ ـ ١٦٢].

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٧٦ ـ ١٧٨].

ويلاحظ أنَّ اللَّهَ تعالى ذَكَرَ في هذه الآيات الكريمة أنَّ هؤلاء الأقوام كذَّبُوا بأَصْلِ الرِّسالة، وبهذا كذَّبُوا رُسُلَهُم، ولهذا دعا كلُّ رسولٍ قومَهُ أن يتَّقُوا اللَّهَ ويصدِّقوه، فهو برهانٌ ودليلٌ حيٌّ أمامهم على صِدْقِ الرسالة، فخُلُقُه وشخْصِيَّتُه وصِدْقُه وما يدعو إليه من الخير، وإخلاصُه في دعوته، وعدم سعيه إلى طلب شيءٍ من أعراض الدُّنيا ثمناً لرسالَتِهِ، هي جُمْلَةُ الأدِلَّة التي تقنع غير المعانِدِ بصِحَّة رسالته، وبالتالي بِصِحَّةِ عقيدة إرسال الرُّسل من الله مبشرين ومنذرين.

ولقد كان شُعَيْب، يقولُ لقَوْمِهِ ما كان يقولُهُ الرُّسلُ لأقوامهم، إنه لا يريدُ منهم أجراً على رسالته ودعوتِهِ إيَّاهم إلى اتباع الصراط المستقيم، كان يقول لهم: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٧٨ ـ ١٨٠] وكان يدلّل لهم على صِدْقِ رسالته وإخلاصه بأنَّهُ لا يدعوهم إلى تَرْكِ ما هُمْ عليه من التلاعب بالوَزْنِ والكَيْلِ وعبادَةِ غير الرَّحمن، مستثْنِياً نفسَهُ، بل إنَّهُ لأَوَّل رَجُلٍ

فيهم يعمل بما يقول: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٨٨].

(٣) إنزال العقوبة من الله على العاصين:

وممَّا جاء في رسالة شُعَيْب محاولة إقناع قومه بأنَّ العاصين لأوامر الله ينزل الله عليهم نقمتَهُ في الحياة الدنيا إن شاء، فإنَّ من يُؤمِنُ بهذا يكون دائماً على حَذَرٍ[1]، فيعمل على اتّقاء اللَّهِ حتى ينجُوَ من بطْشِهِ ونقْمَتِهِ أَمَّا من لا يُؤمِنُ بهذه العقيدة، فلا يبالي بما يفعل، ويتحجّر قلبه ويعدم حساسِيّته، فيَقَعُ في شَرّ أعمالِهِ، ويخسر الدنيا والآخرة.

ومما جاءَ في رسالة شُعَيْب محاولة إقناع قومه بأنَّ العاصين لأوامر الله ينزل اللَّهُ عليهم من السماء ما يُودي بهم، ودعاهم إلى تصدِيقِهِ في ذلك، وذكّرَهم بما فعله اللَّهُ بمَنْ تقدَّمَهُم من الأقوام التي لم تصدِّقْ رُسُلَها، فقال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٨٩] ﴿.. وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٨٦]. فما كان منهم إلا أن: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) قال تعالى لرسوله الكريم خاتم النبيين: **﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾** [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٩٧ ـ ٩٩].

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٨٥ ـ ١٨٩].

وكذبت قوم مدين كذلك شعيباً، فأنذرهم وقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [١١ سورة هود/ الآيات: ٩٣ ـ ٩٥] ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٩٣].

(٤) اليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٣٦].

وهكذا دعا شعيب قومَه إلى الإيمان باليوم الآخر، وتشمل العقيدة باليوم الآخر أنَّ الله سوف يُنشىء الناس نشأةً أُخرَىٰ بعد فنائهم في الحياة الدُّنيا، فيحييهم بَعْدَ المَوْتِ، يوم القيامة، وأنَّهم سوف يحاسَبُون على ما قدَّمت أيْدِيهم في حياتِهِمُ الأُولى على وجْهِ الأرض، وهو ما يدلُّ عليه قول شعيب لقومه: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٨٧][(١)] وسيكون نتيجةُ هذا الحكم إمّا دخول في النار وإما تمتّع بنعيم الجنة[(٢)]، فنصحُ

---

(١) قال الله تعالى لخاتم النبيين... ﴿وإنَّ ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ١٢٤].

(٢) قال تعالى لمحمد الرسول الكريم: ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم. الملك يومئذٍ لله يحكم بينهم. =

شُعيبٍ قومَه أن يَرْجوا اليوم الآخر، دليل على أنّه يبين لهم ما هو اليوم الآخر، فإن الإيمان باليوم الآخر يجعل للمرءِ أملاً في الحصول على ما تَشْتَهِيه نفسُهُ في الآخرة، ويجعله لا ينظر إلى هذه الحياة الدنيا نظرة يضلُّ بها عن سبيل الله.

(٥) الاستغفار والتوبة:

ولقد دعا شُعيبٌ قومَهُ إلى الاستغفار والتوبَةِ، فقال لهم: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٩٠] دعاهم إلى استغفار اللّهِ من عبادَةِ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤهم مِنْ دُونِ اللّهِ، ودعاهم إلى التوبة النَّصوح، فلا يعودوا إلى ما كانوا فيه من كُفْرٍ وبُعْدٍ عن الطريق السَّوِيّ القويم، وأعْلَمَهُم أنَّ اللّهَ رَحِيمٌ ودودٌ، ويسْمَعُ للمستغفرين ويتوب على التائبين، ولقد كان الاستغفارُ والتوبَةُ في شريعَةِ شُعيب وفي شَرِيعَةِ سائر النبيّين حتى لا ييأس الناسُ من المغْفِرَةِ، وحتى لا يقنطوا من رحمة الله، ما داموا جادّين في استغفارهم، صادِقِين في تَوْبَتِهِم، عازِمين على اتّباع ما أرْسَلَهُ اللّهُ إليهم على لسان نبيِّهم وكُتُبِهِ، في رسالات رسولهم.

= فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآيات ٥٥ ـ ٥٧].

المبحث الرابع عشر
موسى وهارون

١ ـ نسبُ موسىٰ وهارون وتحقيق زمنهما:

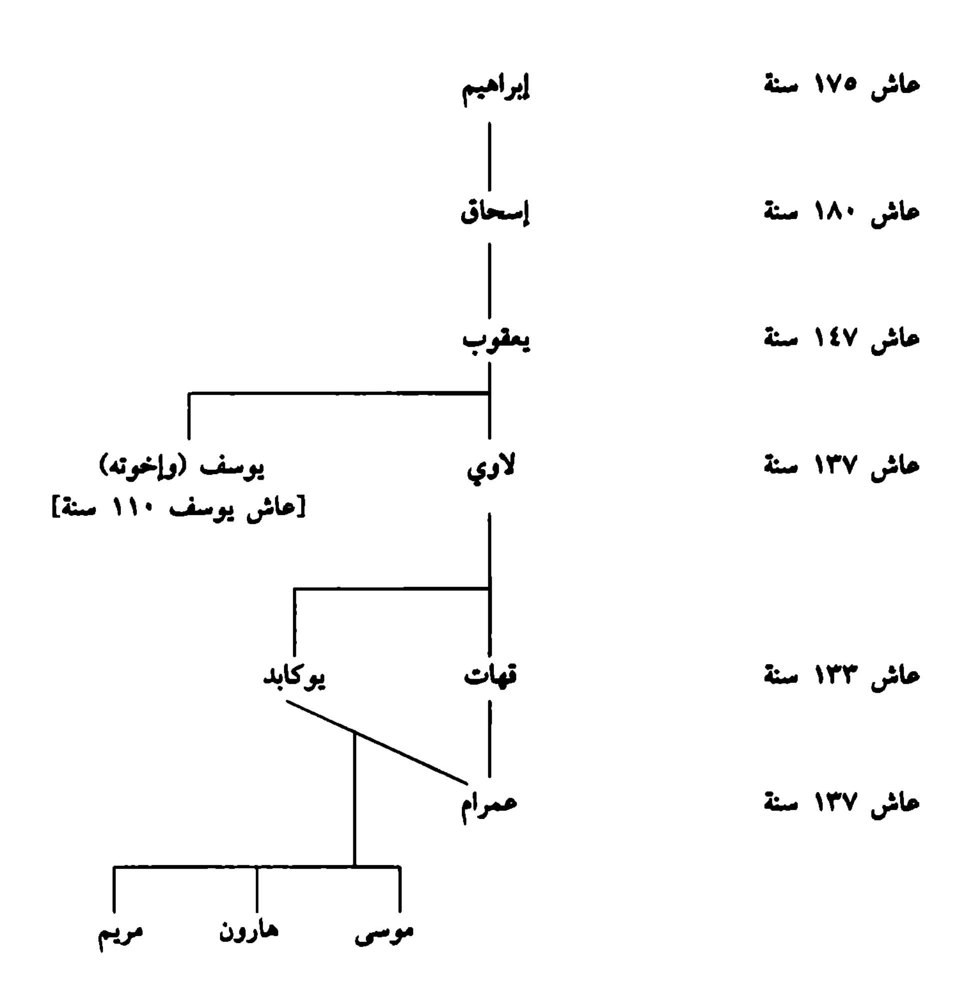
(١) نسب موسى وهارون:

وتذكُرُ لنا المصادر الإسرائيلية والنصرانية أنّ موسىٰ هو ابن عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وأن أم موسى هي يوكايد أخت قهات. وعمّة عمران، وقد أنْجَبَتْ يوكايد لعمرام مريم وهارون ثم موسى[١]، وأن موسىٰ عاش ١٢٠ سنة[٢]، ونستطيع أن نضع هذ النسب على هذا النحو تقريباً إلى الذهن.

---

(١) خروج ٦: ١٦ و ١٠.

(٢) تكوين ٢٥: ٧ و ٣٥: ٢٨ و ٤٧: ٢٨ وخروج ٦: ١٦ و ١٨ و ٢٠ وتثنية: ٣٤: ٧.



وهارون هو أخو موسى، وكلاهما رسولُ اللّهِ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآيتان: ٣٥ و ٣٦] وهما من أمٍّ واحدةٍ، فقد حكى اللّهُ أن هارون قال لموسى: ﴿..يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ..﴾ [٢٠ سورة طه/الآية: ٩٤]، فقوله: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ [٢٠

سورة طه سورة ٩٤] فيه دليل على أنّ أمهما واحدة، أما أختهما التي يقول اليهود أن اسمها مريم، وأنها كانت نبية (خروج ١٥: ٢٠) فهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآيتان: ١٠ و ١١].

وذكر العهد القديم أنَّ يوسف كان قد أسْكَنَ: أباه وإخوته وأعطاهم ملكاً في أرض مصر في أفضل الأرض في أرض رعمسيس كما أمر فرعون (تكوين ٤٧: ١١ و ١٢) في أرض جاسان (تكوين ٤٧: ٦) أي: وادي غسّان، وقيل: إنهم لَبِثُوا في هذه الوادي مدَّةً مقدارها مئتان وخمس عشر سنة[1].

(٢) تاريخ ميلاد موسىٰ وزمنه عند المؤرِّخين:

ويكاد عامّة المؤرّخين أن يجمعوا أنَّ ولادَةَ موسىٰ كانت في عهد الأسرة المصرية التاسعة عشرة (١٣٥٠ ـ ١٢٠٥ ق.م) على اختلافِ بَيْنَهُم في اسم الفرعون الذي وُلِدَ في زمنه موسىٰ، ويقول الدكتور تيودور .هـ. روبنسن: فإذا ما صدّقنا تفاصيل الاضطهادات التي جاء بها الإصحاح الأول من سفر الخروج، فإن فرعون الذي سام بني إسرائيل الخسف لا بد أن يكون رمسيس الثاني (١٣٠٠ ـ ١٢٢٥ ق.م) لأنَّ المحقَّقَ أنّه هو الذي شيَّد المُدُنَ التي قيل: إنّ بني إسرائيل اسْتُخْدِمُوا في تشييدها. ولعل ذكر بيثوم ورعمسيس[2] تفسيرٌ متأخّر من

(١) «البحر الزاخر» ١/ ٣٠.

(٢) النص في العهد القديم: فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس (خروج ١: ١١).

كاتب القصة. وأن القصة في صورتها الأصلية لم تسمّ هذه المدن، ولكنّنا إذا افترضْنا مؤقتاً أنّ القصّةَ بهذا التفصيل محقّقة من الناحية التاريخية، فإن فرعون الذي حدث الخروج في عهده لا بُدَّ أن يكون مرنبتاح ابن رمسيس الثاني[1] (١٢٢٥ ـ ١٢١٥ ق.م).

(٣) تحقيقنا لتاريخ ميلاد موسىٰ وزمنه:

أمّا مجيء موسىٰ بعد زمن يوسف، فهو ثابت من قوله تعالى على لسان مُؤمن فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٣٤].

والقول بأنَّ الفرعون الذي ولد في زمنه موسىٰ هو رمسيس الثاني، وأنّ الفرعون الذي حدث الخروج في زمنه هو مرنبتاح، لم يقل به المؤرّخون إلا وهم متأثّرون بلَفْظِ رعمسيس الذي جاء في سفر الخروج من العهد القديم، وذكر استعباد ملك مصر لبني إسرائيل وتسخيرهم في بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس، ممّا جاءَ في الإصحاح الأول من هذا السفر.

ولكننا نسْتَبْعِدُ كل الاستبعاد أن يكون موسى موجوداً في عصر رمسيس الثاني أو ابنه مرنبتاح، وهذا للأسباب الآتية:

أولاً: من الثابت أنّه ورد في نقوش كلٍّ من رمسيس الثاني وأبيه سيتي الأول ذكر بني أشير، في فلسطين، وهو المكان الي عيَّنَتْه كتب اليهود[2]، والمعروف أنَّ أشير، هو ابن يعقوب، وهو أحد الأسباط

---

(١) «تاريخ العالم» مجلد ٢/ ١٠٧.

(٢) «تاريخ العالم» مجلد ٢/ ١٠٨.

الاثني عشر، كما ذكرنا عند الكلام عن الأسباط، وهو والد يِمْنَة ويِشْوَة ويِشْوِي وبَرِيعَة وأختهم سَارَح[١]، وقد عاشوا جميعاً في مصر مع يوسف منذ عهد الهِكْسوس وقبل قيام الأسرة التاسعة عشر بزَمنٍ كبير، ومعنى هذا أن رمسيس الثاني وسيتي الأول تولّوا بعد خروج إسرائيل من مصر وبعد موت موسى، ودخول قومه إلى فلسطين، وتقطيعهم إلى أمم.

ثانياً: نجد في نقْشٍ سُجِّلَت عليه بعض الحوادث التي وقعت في عهد مرنبتاح منظومة فيها ذكر غزوه لفلسطين مع بيان بأسماء القبائل والشعوب التي غلبت على أمرها، ومنها شعب إسرائيل، وذكر بطريقة توهم أنَّ شعب إسرائيل كان مستقرّاً في البلاد قبل ذلك[٢]، فكيف يتفق وجود شعب إسرائيل في فلسطين واستقراره فيها في الوقت الذي يزعم فيه المؤرِّخون أن هذا الشعب كان موجوداً في مصر في عهد مرنبتاح وأبيه رمسيس الثاني. وأنه لم يخرج من مصر منذ عهد يوسف، وهو قول يناقض بعضه كل التناقض، فلا بُدّ إذن أنْ تكون الأسرة التاسعة عشر قد تولّت في مصر بعد زمنٍ بعيد من خروج بني إسرائيل من مصر على يد موسىٰ، بل بعد وفاة موسى، بل بعد أن دخل قومه فلسطين تحت قيادة يوشع بن نون وقتل أهلها ونهب ما فيها.

ثالثاً: والمعروف أنَّ أخبار الكتاب المقدّس عند اليهود جاءتنا في عهْدٍ متأخِّرٍ جدّاً عن العهد الذي عاش فيه موسى[٣].

رابعاً: فرعون موسى كما جاء في القرآن الكريم كان يؤلِّهُ نفسه:

---

(١) تكوين ٤٦: ١٧.

(٢) «تاريخ العالم» مجلد ١٠٨/٢.

(٣) «تاريخ العالم» مجلد ١٠٨/٢.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [٧٩ سورة النازعات/ الآية: ٢٤] ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٣٨] أما رمسيس الثاني فكان يؤمن بأربعة آلهة هم الآلهة العظام في عقيدته، وهم: أمون ورع وفتاح وسوتح، وكان جيشُه مؤلَّفاً من أربع فرق، كل فرقة تسمّىٰ باسم واحد من هذه الآلهة(١)، فلا بُدَّ إذن أن يكون فرعون موسى هو فرعون آخر غير رمسيس الثاني.

خامساً: ولقد أدّىٰ عدم التأكُّد من تاريخ الخروج أن روبنسن نفسه القائل بأن الخروج كان في زمن مرنبتاح، عاد فذكر أنّ الخروجَ وَقَعَ في فترة من الفترات بين عامي ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق.م(٢).

سادساً: ذكرت المصادر الإسرائيلية أنَّ وفاةَ موسىٰ كانت عام ١٤٥١ ق.م(٣)، فليس من المعقول أن يحدّد يوم الخروج في عهد مرنبتاح عام ١٢١٥ قبل الميلاد، أي: بعد وفاة موسى بستة وثلاثين ومئتي سنة (٢٣٦).

إذا سلَّمنا بصحَّة التاريخ الذي ذكرته المصادر الإسرائيلية عن زمن وفاة موسى، وهو تاريخ أقرب إلى الحقيقة في نظرنا، أمكننا أن نحدّد زمن الخروج والزمن الذي ولد فيه موسىٰ، بل الزمن الذي مرّ بين موسى ويوسف والأسباط وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل وبني إبراهيم من المُرْسلين.

إذا سلمنا بأنَّ موسىٰ مات سنة ١٤٥١ ق.م وأنه عاش ١٢٠ سنة كما تقدّم ـ فتكون ولادته سنة ١٥٧١ سنة ق.م.

---

(١) «تاريخ العالم» مجلد ١/ ٧٠١.

(٢) «تاريخ العالم» مجلد ٢/ ١٠٨.

(٣) «مرشد الطالبين» ص ٨٤. «البحر الزاخر» ص ٤٣.

ولما كانَ الزّمنُ من ولادة موسىٰ إلى وفاة يوسف ٦٤ سنة كما ذكرنا من قبل، فَتكونُ وفاةُ يوسف سنة ١٦٣٥ ق.م، ولما كان يوسف قد عاش ١١٠ سنة فيكونُ ميلادُه سنة ١٧٤٥ ق.م، ويكون يوسف قد ولد في أوائل حكم الهكسوس في مصر، ونستطيع أن نبيّنَ هذه الحقائق التاريخية كما يلي:

تاريخ الملوك والفراعنة الذين حكموا مصر من زمن يوسف إلى موت موسى			تواريخ خاصة بيوسف وموسى
أسماء الملوك والفراعنة		تاريخ الحكم قبل الميلاد	
ملوك الهكسوس من الأسرة ١٣ ـ ١٦		١٧٨٨ ـ ١٥٨٠	ميلاد يوسف سنة ١٧٤٥ ق.م
سكنن رع الأول	(الأسرة ١٧)	١٦٣٥ ـ ١٦١٥	
سكنن رع الثاني	(الأسرة ١٧)	١٦١٥ ـ ١٦٠٥	
سكنن رع الثالث	(الأسرة ١٧)	١٦٠٥ ـ ١٥٩١	وفاة يوسف سنة ١٦٣٥ ق.م
وزخبرع كاموزا	(الأسرة ١٧)	١٥٩١ ـ ١٥٨١	
سنحت إن رع	(الأسرة ١٧)	١٥٨١ ـ ١٥٨٠	
أحمس مؤسس	(الأسرة ١٨)	١٥٨٠ ـ ١٥٥٧	ولادة موسى سنة ١٦٣٥ ق.م
امنحتب الأول	(الأسرة ١٨)	١٥٥٧ ـ ١٥٤١	
تحوتمس الأول	(الأسرة ١٨)	١٥٤١ ـ ١٥٠١	خروج موسى ١٥٠١ ق.م
تحوتمس الثاني	(الأسرة ١٨)		
حتشبسوت (ملكة)	(الأسرة ١٨)	١٥٠١ ـ ١٤٧٩	

تاريخ الملوك والفراعنة الذين حكموا مصر من زمن يوسف إلى موت موسى		
أسماء الملوك والفراعنة	تاريخ الحكم قبل الميلاد	تواريخ خاصة بيوسف وموسى
تحوتمس الثالث (الأسرة ١٨)	١٤٧٩ ـ ١٤٤٧	وفاة موسى سنة ١٤٥١ ق.م
امنحتت الثاني (الأسرة ١٨)	١٤٤٧ ـ ١٤٢٠	
تحوتمس الرابع (الأسرة ١٨)	١٤٢٠ ـ ١٤١١	
أمنحتب الثالث (الأسرة ١٨)	١٤١١ ـ ١٣٧٥	
أخناتون (الأسرة ١٨)	١٣٧٥ ـ ١٣٥٨	
سمنكارع (الأسرة ١٨)	١٣٥٨	
توت عنخ آمون (الأسرة ١٨)	١٣٥٨ ـ ١٣٥٣	
آي (الأسرة ١٨)	١٣٥٣ ـ ١٣٥٠	
الأسرة التاسعة عشر		
حرمحب	١٣٥٠ ـ ١٣٢١	
رمسيس الأول	١٣٢١ ـ ١٣٢٠	
سيتي الأول	١٣٢٠ ـ ١٣٠٠	
رمسيس الثاني	١٣٠٠ ـ ١٢٢٥	سنة متأخرة عن ولادة موسى
مرنبتاح	١٢٢٥ ـ ١٢١٥	سنة متأخرة عن خروج موسى
امن سيس	١٢١٥	
سابتاح	١٢١٥ ـ ١٢٠٩	
سيتي الثاني	١٢٠٩ ـ ١٢٠٥	

إن القولَ بأنَّ رمسيس الثاني هو الذي سام بني إسرائيل سوء العذاب ليس له مبرّراته على الإطلاق، ولكنَّ القولَ بأنَّ أحمس هو الذي عذّب بني إسرائيل واضطهدهم، وأنه هو وآله كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم[1]، فله مبرّراته السياسية والاجتماعية والحربية والوطنية، فقد كانَ أحمس هو محرِّر مصر من المحتلِّين من الهكسوس الذين كانوا غزاة من الشرق كما قدَّمْنا، فكان من الطبيعي أنْ يعمل على القضاء على العناصر الموالية للأعداء، أو على الأقل أن يسلُبَهم سلطانهم الذي كانوا قد وَصَلوا إليه بواسطة يوسف، وبرضاء ملوك الهكسوس الذين كانوا شرقِيّين مثل بني يعقوب، فكان يذبح أطفالهم حتى لا يكبروا فيصبحوا قوة تعمل على هدم ما بناه من تحرير بلادِهِ من الأجانب عنها، وكان يستعملُ الذين بقوا من بني إسرائيل في الأعمال التي كانوا يصلحون لها كبناء المدن والزراعة وغيرها، ولم يكن من السياسة أن يُبيدَ بني يعقوب كلّهم، فقد كانت إبادتهم تُحْدِثُ فراغاً كبيراً لا يمكن ملؤه بسهولة، سيّما أنّ بني إسرائيل كانوا قد حذقوا بعض الحرف التي لا تستغني عنها الدولة في سبيل نهضتها في ذلك الزمان، وظلّ أحمس يعمل على إسناد الوظائف الهامة إلى المصريين ويعلّم المصريين ما حذقته اليهود حتى يحلّوا محلّهم فيما بعد، وكان أحمس مضطراً إلى إذلالهم وتعذيبهم لأنهم كانوا بلا شك من أنصار الحكّام المطرودين الذين كانوا يكرمونهم ويسبغون عليهم النعم والخيرات، لأنّهم كانوا من جنس واحد، فكانوا يحيكون الفِتَنَ

---

(١) قال تعالى: **﴿إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنّه كان من المفسدين﴾** [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٤] وراجع [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٤١].

ويعادون المصريين ويحتقرونهم احتقار الهكسوس المحتلّين لهم من قبل.

ظل بنو إسرائيل في العذاب والقيام بالأعمال الشاقة والتعذيب منذ تولّىٰ أحمس الحكم وتأسيسه للدولة الحديثة في مصر أو الأمبراطورية المصرية سنة ١٥٨٠ ق.م، وولد موسى أثناء حكم أحمس سنة ١٥٧١ في عهد اضطهاد عشيرته، وعاشر هذا الاضطهاد طوال المُدّةِ التي حكمها أحمس حتى مات أحمس سنة ١٥٥٧ ق.م، أي: إنَّ موسى عاشر أحمس أربعة عشر عاماً (١٤) كان يقضيها كلّها في قصر فرعون، كما ذكر في كتاب الله[١].

وَلَبِثَ موسى في مصر كذلك طول زمن حكم أمنحتب الأول (١٥٥٧ ـ ١٥٤١ ق.م) أي: مدة ستة عشر سنة (١٦).

وقد نسج أمنحتب الأول على نَهْجِ سلفه في اتخاذ السياسة التي رسمها أحمس من اضطهاد بني إسرائيل، وشلّ حركتهم، لأنَّهُم كانوا كما قَدّمْنا عنصراً خطيراً لا يدين للحكّام المصريين بالولاء، ومن أدلّةِ ذلك ما ذكره التاريخ من أنّ أمنحتب لما وجد بنفسه أنّ من الضروري أن يزحفَ على بلاد النوبة، تمرّدَ عليه في مؤخرته المتمرّدُون، فضرب ضباطه على أيديهم، وكانوا له مُخْلِصِين، على أنَّ هذه الحادثة تدلّ على الصعوبة في استعادة السلطة المركزية بعد انحلال دام قرنين من الزمان[٢] ولا شك أن بني إسرائيل كانوا عنصراً هامّاً أصيلاً في هذا التمرّد ومحاولة إحداث الانقلاب.

---

(١) راجع ٢٨ سورة القصص/الآيات: ٧ ـ ١٣.

(٢) «تاريخ العالم» مجلد ١/ ٦٩٠.

وعاصر موسى كذلك تحتمس الأول (١٥٤٠ ـ ١٥٠١ ق. م) وهو حسب بحثنا هذا، فرعون مصر الذي خرج على عهده موسى وبنو إسرائيل من مصر.

ويكون موسى قد عاصر منذ ولادته:

أحمس مدة ١٤ سنة.

وأمنحتب الأول مدة ١٦ سنة.

وتحتمس الأول مدة ٣٩ سنة.

أي: إنَّهُ لَبِثَ في مصر من زمن ولادته إلى خروجه منها على رأس بني إسرائيل نحو سبعين سنة (٧٠) وهذه المدة التي نُحَقِّقها هنا لا تختلف كثيراً عن المدة التي رَوَتْها المصادر اليهودية والنصرانية، فقد ذكروا أن الزمن من ولادة موسى إلى خروج بني إسرائيل من مصر هو ثمانون سنة (٨٠)[1].

وقد قسمنا السبعين سنة على النَّحْوِ الآتي:

بلغ موسىٰ أشدَّهُ واستوى وهو يبلغ من العمر نحو ٦٠ سنة.

لبث في أرض مَدْيَن في خدمة شيخها في مقابل زواج ابنته نحو ٨ سنوات.

الرجوع إلى مصر بالرسالة وإظهار المعجزات حتى الخروج نحو ١ سنة.

المجموع نحو ٧٠ أو ٦٩ سنة.

---

(١) «مرشد الطالبين» ص ٧٠.

ويلاحَظُ أنَّ بلوغَ موسىٰ أشدّه وهو ابن ستين سنة لا يُعَدُّ مستغرباً في تلك الأزمنة، التي كانت فيها الأعمار طويلة كما بيّنّا في صدر هذا المبحث، وخصوصاً إذا علمنا أنَّ موسى عاش ١٢٠ سنة، قضى منها نحو سبعين سنة حتى الخروج من مصر، أمّا الخمسون سنة الباقية فقد قضى منها أربعين سنة في التِّيهِ، وهي المدة التي حَكَمَ اللَّهُ أنْ يقضيها بنو إسرائيل في طُورِ سِيناء، حين جبنوا عن دخول الأرض المقدّسة بالقتال: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيات: ٢٤ ـ ٢٦].

والسنّ الذي بلغ فيه موسى أشدَّه كان في الوقت الذي قتل فيه المصري في مدينة عين شمس، وقد ذكر الله هذه الحادثة في قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٤ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ۝١٥﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآيتان: ١٤ و ١٥].

وقد كانت هذه الحادثة السَّبَبَ في فرار موسىٰ من مصر وقتذاك، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآيات: ٢٠ ـ ٢٢].

أمّا الزمن الذي لبثه موسى في مَدْيَن فقد كان زمناً اشترطه عليه شيخ مَدْيَن، يخدمه فيه نظير زواج موسى من ابنة هذا الشيخ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآيات: ٢٧ ـ ٣١].

أمّا الآيات التي أجراها الله على يد موسى ليثبت بها رسالتَهُ لفرعون وآلِهِ، وهي التي قُلْنا: إنّها استغرقت نحو سنة، فهي العصا التي انقلبت إلى حية وكان ذلك وقت الزّينة: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾[1] [٢٠ سورة طه/ الآية: ٥٩] والآيات المفصلات الأخرى التي ذكرها الله في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٣٣].

سادساً: ذكرتِ المصادرُ اليهودِيّة أنّهُ بعد مَوْتِ يعقوب ويوسف، نما بنو إسرائيل في أرض مصر وتكاثَرُوا جدّاً، حتى إنَّ المَلِكَ فرعون

---

(١) راجع ٢٠ سورة طه/الآيات: ٥٦ ـ ٧٣.

امتلأ غَيْرةً عليهم، واجْتَهَدَ في إبادتهم[1]؛ وزَعَمُوا أنّ هذا التكاثر كان على سبيل المعجزة، والذي نراهُ أَنّ تكاثُرَ بني إسرائيل وزيادة عددهم ونسلهم نسبياً، كان ظاهرةً اجتماعيةً ناشئةً على ما أَلِفَتْهُ اليهود من تعدّد الزوجات بدون قيد أو شرط، كما هو ثابت في كُتُبِهِم المقدّسة، وهذا بعكس المصريين الذي كان تعدّد الزوجات فيهم أمراً استثنائياً، فقد كان السّوادَ الأعظم من المصريين يقْتَصِرُون على زوجةٍ واحِدَةٍ، أما اضطهاد فرعون لبني إسرائيل فلم يكن سببه الأساسي تكاثر عددهم، ولكن كان سببه كما ذكرنا زيادَةُ نفوذِهِم منذ عهد ملوك الهكسوس، وعداؤهم للمِصْرِيّين، وسيطرتهم على الناحية الاقتصادية في البلاد دون المِصْرِيّين، وحبُّهم للمال وكَنْزِه، ويثبت هذا ما جاء في القرآن الكريم من أنّهم صنعوا عِجْلاً من الذَّهَبِ من حِليّهم وعبدوه من دون الله بعد خُروجِهم من مصر، وهو العجل الذي صَنَعه لهم السّامِرِيّ، والذي وَبَّخَهُمْ موسىٰ على عبادَتِهِ، قال تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ٨٧ و ٨٨] وذَكَرَتِ المصادِرُ اليهودية أنّهُم عملوا على سَرِقَةِ المِصْريين قبل مغادَرَتِهم مصر، وزَعَمُوا أنّ هذا كان بوَحْيٍ من الله، فقد زَعَمُوا أنّ اللّهَ أمرهم: (فيكون حينما تمضون إنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونه على

---

(١) «مرشد الطالبين» ص ٥٢، وروي عن ابن عباس أنّ يعقوب دخل مصر في اثنين وسبعين إنساناً. فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ست مئة ألف. «الجامع لأحكام القرآن» في ٨/ ٣٦٩.

بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين) [خروج ٣: ٢١ و ٢٢].

سابعاً: ليس من المَعْقُولِ أنَّ ملوكَ مصر يتركون بني إسرائيل بعد تحرير مصر من الهكسوس، منعَّمِين في البلاد مُسَيْطِرِين على اقتصادياتها ومُعَادِين لها حتى حكم رمسيس الثاني، أي: من سنة ١٥٨٠ لغاية سنة ١٣٠٠ ق.م، أي: ٢٨٠ سنة، ثم تنشأ فكرة اضطهادهم فجأةً من غير سَبَبٍ معقولٍ.

مما تقدَّمَ يتَّضِحُ أنَّ الادّعاء بأنَّ رمسيسَ الثاني هو فرعون موسىٰ ليس له سند من الواقع، بل يتنافى مع الحقائق التاريخية المستقبلة الخاصة بتاريخ الرسل والنبيين بعد موسى وهارون.

٢ ـ الآيات الخاصّة بقِصّةِ موسىٰ في القرآن:

ولمّا كانَتِ الآياتُ الخاصّةُ بقِصَّةِ موسى في القرآن، والتي يمكن أنْ نَسْتَخْلِصَ منها العقائد الَّتِي أتَتْ بها شريعَتُهُ، تأخُذُ حَيِّزاً كبيراً في مثل هذا المؤلَّفِ، ولما كانَ يسْهُلُ على القارىء الرجوعُ إلى هذه القِصَّة في كتابِ الله، لأنَّ أغلَبَها لا يتَّصِلُ بموضوعِنا الذي نَبْحَثُ فيه، ولمّا كُنّا لا نريدُ أنْ نُضيِّعَ الفائِدَةَ التي يُمْكِنُ أن تعودَ على القارىء من معرفة قِصَّةِ موسى على وجْهِها الصَّحِيح، آثرْنا أنْ نرشدَهُ إلى موضعِ الآيات الكريمَةِ الَّتي تتَّصِلُ بقصَّةِ موسىٰ من القرآنِ الكريم، ولكي نوفِّرَ عليه الزَّمَنَ في البَحْثِ عنها في المصْحَفِ، رأيْنا أنْ نُبَيِّنَ هذه الآيات على الوجْهِ الآتي:

رقم السورة	اسم السورة	بيان الآيات	رقم السورة	اسم السورة	بيان الآيات
٢٨	القصص	٣ ـ ٤٣	٥	المائدة	٢٠ ـ ٢٦
٢٠	طه	٩ ـ ١٠١	٧	الأعراف	١٦٠
٢٦	الشعراء	١٠ ـ ٦٨	١٨	الكهف	٦٠ ـ ٨٢
٧	الأعراف	١٠٠ ـ ١٥٦	٦	الأنعام	٩١ و ١٥٤
١٠	يونس	٧٥ ـ ٩٢	١٩	مريم	٥١ ـ ٥٣
٢٧	النمل	٧ ـ ١٤	٢١	الأنبياء	٤٨
٧٩	النازعات	١٥ ـ ٢٦	٢٣	المؤمنون	٤٩
١١	هود	٩٦ ـ ١٠١	٣٢	السجدة	٢٣
١٤	إبراهيم	٥ ـ ٨	٤١	فصلت	٤٥
٢٣	المؤمنون	٤٥ ـ ٤٨	٢٢	الحج	٤٤
١٧	الإسراء	١٠١ ـ ١٠٤	٦١	الصف	٥
٤٣	الزخرف	٤٦ ـ ٥٦	٣٧	الصافات	١١٤ ـ ١٢٢
٥١	الذاريات	٣٨ ـ ٤٠	٢	البقرة	٢٤٦ ـ ٢٤٨
٤٤	الدخان	١٧ ـ ٣٣	٢٩	العنكبوت	٣٩ و ٤٠
٤٠	المؤمن	٢٣ ـ ٤٦ و ٥٣ و ٥٤			
٢	البقرة	٥٥ ـ ٩٣ و ٨٧			
٤	النساء	١٥٣ ـ ١٦٤			

٣ ـ العقائد في دين موسىٰ وهارون:

(١) الألوهيّة والوحدانيّة:

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ٩ ـ ١٤].

وهكذا نجدُ أوّلَ شَيْءٍ أعْلَمَهُ اللّهُ موسىٰ، وأوّلَ شَيْءٍ خاطَبَهُ به هو الألوهيّة والوحدانيّة، وهو قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [٢٠ سورة

طه/ الآية: ١٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٤]، وبهذا كانَ أساسُ رسالَةِ موسىٰ الإقرار بالرُّبُوبيّة والإيمان بالتوحيد الحقيقي. وأنَّ اللّهَ هو كذلك ربّ العالمين، وهو قوله تعالى: ﴿. . فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٣٠].

ولقد أرْسَلَ اللّهُ موسىٰ إلى فرعون بهذه الرسالة، ليؤمِنَ باللّهِ ربِّ العالَمِين، وأنَّ اللّهَ لا إله إلا هو، إذ إنَّ فرعونَ كانَ يَدَّعِيَ الألوهية لنفسه، واستخفَّ قومه وناداهم: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [٧٩ سورة النازعات/ الآية: ٢٤] بل لم يكْتَفِ بذلك، إذ زَعَمَ أنَّهُ لا إله إلا هو، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى . .﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٣٨] بل بَلَغ بفرعونَ الجهلُ أن يَأمُرَ موسى أنْ يعبُدَهُ من دون اللّهِ ويهدِّدَهُ بالسجن، إن لَمْ يَفْعَلْ ذلك: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ٢٩].

وهذه الرسالة نفسُها هي التي كلّف هارون كذلك بتبليغها إلى فرعون، إذ قال اللّهُ لموسى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ . .﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ٤٣ ـ ٤٧] ﴿. . إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٦].

وقد حَمَلَ مُوسىٰ وهارون هذه الرسالة إلى فرعون، وكانَ أوّلُ شيءٍ دعواه إليه هو الإتيان بربِّ العالمين، والظاهر أنَّ هذه الدعوة كانَتْ

غريبةً على فرعون، فسأل موسىٰ: أي شيء هو ربُّ العالمين؟ فذكر له موسىٰ أنَّ اللَّهَ هو ربُّ السماوات والأرض وما بينهما، وأنَّهُ هو ربُّ الناس وربُّ آبائهم الذين يقلّدونَهُم في باطل عباداتهم، وأنَّهُ هو ربُّ المشْرِقِ والمغرب، وهو نَفْسُ التعريف الذي عَرَّفَ به الأنبياء والرسل مِن قِبَلِ ربِّهم، كإبراهيم مثلاً، وقوله لِمَنْ حاجَّهُ في ربه: ﴿. . فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ . .﴾ [٢ سورة المزمل/ الآية: ٢٥٨] وكقوله تعالى لخاتم النبيين: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [٧٣ سورة المزمل/ الآيتان: ٨ و٩] وكقول شُعَيب لقومه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٨٤] ولقد ذكر الله ما حَدَثَ بين موسى وفرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٢٣ ـ ٢٨] و: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ٥٠ ـ ٥٤].

ولقد قال النبيّون مثل هذا القولِ لقَوْمِهم كما قدَّمْنا، ولنضرب مثلاً قول نُوحٍ لقومِهِ في مقام بيان قُدْرَةِ اللّٰهِ تعالى وما أسبغه عليهم من نِعَم لا يملكها غيرُه: ﴿. . ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ . . أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ

ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ . . وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [٧١ سورة نوح/ الآيات: ١٠ ـ ١٢ و ١٥ و ١٩ و ٢٠].

وطَمَسَ اللّهُ على قَلْبِ فرعون، لغرورِهِ وتعاليه في الأرض وجَهْلِهِ، ولم يَجِدْ ما يردّ به على مُوسى، فقال في غَطْرَسَةٍ وعنادٍ: ﴿ . . ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ . . وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ . . ﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآيات: ٢٦ و ٢٨].

وآمَنَ مِنْ قوم موسىٰ مَنْ شَرَحَ اللّهُ قلبَهُ للإيمان، كسَحَرَةِ فِرعون، قال تعالى: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٧٠][1] و: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ١٢١ و ١٢٢] وآمَنَتْ بربِّ العالمين جماعَةٌ أُخرىٰ من قَوْمِ فِرْعون، ذَكَرَهُمُ اللّهُ تعالى في قوله: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٨٣] كما آمَنَتْ كذلك امرأةُ فرعون، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [٦٦ سورة التحريم/ الآية: ١١][2].

---

(١) راجع: ٢٠ سورة طه/ الآيات: ٥٦ ـ ٧٠ و ٧ سورة الأعراف/ الآيات: ١٠٤ ـ ١٢٢.

(٢) وقال القرطبي: إنه آمن كذلك بالله ووحدانيته خازن فرعون، وماشطة ابنته وامرأة خازنه. «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٦٩.

وجاء في قِصَّة موسىٰ من صفات اللَّهِ أنَّ اللَّهَ بصيرٌ، قال موسى لربه: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [٢٠ سورة طه/الآية: ٣٥] وقال: ﴿..لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٥٢] وقال: ﴿.. وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٩٨] ﴿.. فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآية: ٨] وإنه هو: ﴿..الْعَزِيزِ الْغَفَّٰرِ﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٤٢] و: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٤٤]... إلخ.

ومع ذلك كانَتِ اليهودُ مُتأثِّرةً بعبادَةِ غَيْرِ الله في مصر، وأَلِفوا أنْ يكونَ الإلَهُ المَعْبُودُ مجسَّماً في صورة فِرْعون، أوْ في صورة صَنَم أو حجر أو تمثال أو وَثَن، فبالرّغم من أنَّ موسى أراهم معجزتَهُ، بِشَقِّ البحر ومرورهم فيه، وغَرَق فرعون وجنوده، فقد رَجَعُوا إلى الكفر والإشراك بالله بمجرَّد أن رأوا قوماً يعبدونَ أصناماً، فطَلَبُوا من رسولهم موسىٰ أن ينحت لهم تمثالاً يعبدونه، ناسِينَ رسالَةَ موسى وهارون التّي تنزِّهُ اللَّهَ عن الصفات التي لا تليقُ بِهِ، وعن التجسُّدِ في صورة شيءٍ ما، وقد ذَكَرَ اللَّهُ كُفرَهُم هذا في قوله: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ١٣٨ ـ ١٤٠].

بل لقد أعادَتِ اليهودُ الكَرّة، فعَبَدتْ تمثالاً على صورة عِجْلٍ، إذ شاهدوا في مِصْرَ تقديس أهلها في عهد فرعون لعِجْل أبيس، ومن العجيب أنّهُم عَبَدوا العِجْل بعد كلِّ تلك المعجزات التي أجراها اللَّهُ على يَدِ موسىٰ، ولعلَّهم كانوا يخافونَ موسى أكثر من خشْيَتِهِم الله،

فما غابَ عنهُم موسى لميقات ربّه حتى نسوا الله، فصَنَع لهم السامِرِيُّ عِجْلاً جَسداً من حِلِيِّهِم وذَهَبِهم، وعبدوا هذا العِجْل، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٤٨] وقال: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ(١) فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥)

---

(١) زعمت اليهود أنّ هارون هو الذي أضلّ بني إسرائيل، وأنه هو الذي صَنَعَ لهم العِجْلَ ليعبدوه من دون اللّهِ، وقالوا: ولما رأى الشعب أنّ موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقال له: قم اصنع لنا آلهةً تسير أمامَنا. . فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فأخَذَ ذلك من أيديهم وصوّره بإزميل وصنعه عِجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل أصْعَدَتْك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون، وقال: غدا عيد للربّ فبكروا في الغد وأصعدوا محروقات وقدموا ذبائح سلامه. وجلس الشعب يأكل ويشرب ثم قاموا للعب (خروج ٣٢: ١ ـ ٦) وطبيعي أنّ المسلمين ينزّهون رسل الله عن الإشراك.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ٨٦ ـ ٩٨].

(٢) الوحي والرسالة:

وذكر الله تعالى أنه أوحىٰ إلى موسى وهارون في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ..﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٨٧].

وذكر الله أن هارون كانَ رسولاً يُوحىٰ إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] وقال جل شأنه: ﴿..وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٤].

وقال تعالى في وحيه إلى موسى: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ٥٢] وقال لموسى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [٢٠ سورة طه / الآية: ١٣] وقال: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ٦٣] وأمر اللّهُ موسى وهارون أن يُبَلّغا فرعونَ بأنّهُ قد أُوحِيَ إليهما أنّ العذاب لمن كَذَّب وتولّى، قال لهما جلّ شأنُهُ: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ

ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ٤٧ و ٤٨].

وكلّف الله تعالى موسى وهارون بالرسالة بقوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٦] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ١٠٤ ـ ١٠٦].

وهكذا بَلَّغ موسى وهارون الرسالة، وطَلَبا من فرعون وآلِهِ وقومِهِ أن يُؤمِنُوا بهذه الرّسالة، وقد جاءَ موسى بِبَيِّنَةٍ على صِدْقِ رسالتهما، ومع ذلك اتَّهم الملأُ من قوم فرعون موسى وهارون بالسحر، فبَعْدَ أَنْ أَلْقَىٰ موسى: ﴿..عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩] قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ١٣٢ ـ ١٣٣].

بل لقد كذَّبُوا بالرُّسُل جميعاً كما فَعَلَتِ الأُمَمُ الَّتي أهْلَكَها اللَّهُ مِنْ قَبْلُ، واستَبعدوا أن يرسلَ اللَّهُ رُسلاً من البَشَرِ: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيتان: ٤٧ و ٤٨] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآيات: ٥١ ـ ٥٣] وهكذا زعم فرعون أنه لا يوجد رُسُلٌ من البَشَرِ، وأنَّهُ إذا كان هناك من يَدّعِي الرسالةَ، فعلى الأقلِّ يكون عنده أسورة من ذهب أو تأتي الملائِكَةُ معه لتَشْهَدَ على صِدْقِ رسالَتِهِ.

لم يؤمن فرعونُ وملأُه بأنَّ اللّهَ يُرْسِلُ إلى النَّاس رُسُلاً من البشر يهدونَهُم، كما أنكرت من قبلُ قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآيات: ٨ ـ ١١].

وقيل للرّسول الكريم محمد خاتم النبيين مثل ما قيل لموسىٰ وللرسل من قبله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا

رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآيات: ٨٩ ـ ٩٦].

وهكذا نجد عقيدةَ إرسال الرسل من البَشَرِ عقيدةً جاءَ بها جميع النبيين والمرسلين[(١)].

(٣) الملائكة:

وجاء ذكر الملائكة في قصّة موسىٰ في مقام استبعاد الكفار بإرسال رسل من البشر، وقد تقدّم ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [٤٣

---

(١) وهنالك من لا يؤمنون بإرسال الرسل من البشر كالصائبة، فقد كانت تقول: إنا نحتاج في معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسّط، لكن ذلك بشرط أن يكون روحانياً لا جسمانياً، وذلك لزكاة الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب، والجسماني بشر مثلنا يأكل ويشرب مما نشرب يماثلنا في المادة والصورة، قالوا: ﴿**ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون**﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٣٤] ولكن الحنفاء (على ملة إبراهيم) كانت تقول إنا نحتاج في المعرفة والطاعة إلى متوسّط من جنس البشر يكون درجته في الطهارة والعصمة والتأييد والحكم فوق الروحانيات، يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية، فيتلقى الوحي بطرف الروحانية، ويلقى إلى نوع الإنسان بطرف البشرية، وذلك قوله تعالى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي**﴾ [١٨ سورة الكهف/ الآية: ١١٠] وقال جلّ ذكره: ﴿**قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً**﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٩٣] «الملل والنحل» ٢/ ص ٥٧ و ٥٨. والبراهمة يقولون بالتوحيد، ولكنهم كذلك ينكرون النبوات، ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع «الفصل في الملل والنحل» ١/ ٦٣.

سورة الزخرف/ الآية: ٥٣] وهو ما يُفْهَمُ منْهُ أنَّ فرعون وقومَهُ كانوا يعلمون أنَّ هناك ملائكة ولكنَّهم لا يعلمون أن الملائكة لا يستطيعون السَّيْرَ على الأرض مطْمَئِنِّين، وأنَّ الرسالَةَ لا يُمْكِنُ أنْ يؤدِّيها إلا بَشَرٌ يستطيع مخاطَبَةَ النَّاس والتفاهُمَ معهم وإقناعهم، وضرب الأمثلة الإنسانية العليا؛ ونفهمُ من الآية أنَّ الملائِكَة لم يعبدوا حينئذٍ كما عبد الشيطان، ولقد بينا من قبل مثل هذه العقيدة في الأُمَمِ السابقة.

(٤) الشيطان وإضلاله:

وجاءَ ذِكْرُ الشَّيْطانِ في قِصَّة موسىٰ في مقام قَتْل موسىٰ للمصْرِيِّ، وهو قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ١٥].

وجاء ذِكْرَ الشَّيْطانِ كذلك في قِصَّة موسىٰ وفتاه، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [١٨ سورة الكهف/ الآيات: ٦٠ ـ ٦٣].

وذكر الشيطان على هذه الصورة في قصة موسى يبيِّن لنا أنَّ موسى لا بُدَّ وأنَّه أظْهَرَ الشيطانَ في دعْوَتِه على حقيقَتِهِ، فَوَصَفه بأَنَّهُ عَدوٌّ مضِلٌّ مبين، وأنَّه يسْتَوْلي على ذاكِرَةِ الإنسان، فرُبَّما أنْساهُ شَيْئاً من أوامِرِ اللَّهِ أو جَنَحَ به عن عبادَتِهِ.

ويلاحَظُ أنَّ الآيَةَ الأُولَىٰ نزلَتْ في حادِثَةٍ حصلَتْ لِمُوسَىٰ قبل النبوَّةِ والرسالة، وأنَّ الآيَةَ الثانِيَةَ نزلَتْ بعد الرِّسالة، وأنَّ الَّذِي نسيَ الحوتَ في الأصل هو فتىٰ موسى[1] وهو الذي كان مُكَلَّفاً بحِفْظِهِ، وأنَّ النسيان ما نُسِبَ إلى موسىٰ ضمناً إلا على سبيل الصُّحبة، وأنَّ النسيانَ لَمْ يَكُنْ نِسياناً لِشَيْءٍ من فُرُوض الدِّين.

وكون الشَّيْطان عدو الإنسان، والموسوس له، والعامل على إضلاله وإغوائه كما تقدّم في قصة آدم، وكما جاء في قصص الرسل السابقين لموسىٰ، بل الرسل مِنْ بَعْدِهِ، وأنَّه مخلوقٌ وليس بخَالِقٍ، وأنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ من نارِ السَّمُوم، هو عقيدَةٌ إسلاميَّةٌ تخالِفُ عقائِدَ الكُفَّارِ الذين يعبدون الشيطانَ كما قدّمنا[2].

---

(١) قيل: اسمه يوشع «جامع البيان» ١٥/١٧٦، وقيل: هو يوشع بن نون بن أفرائم بن يوسف بن يعقوب. «المعارف» ص ٢٠، وهو أحد الرَّجُلَيْن اللذَيْن ذكرهما الله في قوله: ﴿**قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٢٣] وقيل: إنّ الرجل الثاني هو كالب من ولد يهوذا من يعقوب، وجاء في سفر العدد أنّه لما تمردت بنو إسرائيل على موسى وهارون: سقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بني إسرائيل، ويشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة من الذين تجسّسوا الأرض مزقا ثيابهما» (عدد ١٤: ٥ و ٦) وراجع (عدد ١٣: ٦ و ٨).

(٢) وجاء في كُتُب اليهودِ عند ذكر ذبيحة الخَطِيّة، أن يأخذ هارون تَيْسَيْنِ ويلقى عليها قُرْعَتَيْنِ: قرعة للرب، وقرعة لعزازيل، وأما التَّيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل، فيوقف حيّاً أمام الربّ ليكفّر عنه، ليرسله إلى عزازيل إلى البرّية. (لاويين ١٦/٨ ـ ١٠) ويقولون في مقام آخر: إنّ الله قال لموسى: إنّه مَنْ أعطى من زرعة لمولك فإنه يقتل.. والنفس التي تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزني وراءهم أجعل وجهي ضد تلك النفس واقطعها من شعبها (لاويين ٢٠: ١ و ٦) وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة، فإنّه يقتل بالحجارة يرجمونه (لاويين ٢٠: ٢٧).

=

(٥) اليوم الآخر والبعث والجنة والنار والخلود فيهما:

إنّ أوّلَ شَيْءٍ أَخْبَرَ اللّٰهُ به موسىٰ بعد أنْ أعْلَنَهُ باختياره للرّسالة وأمره بتوحِيدِه وعبادَتِهِ، هو أنّ الساعَة آتيةٌ لا شَكَّ فيها، وأنَّ اللّٰهَ جلَّ وعلا يكاد يخفيها حتى يجازي المُسِيءَ على إساءَتِهِ، والمُحْسِنَ على إحسانِهِ، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ٩ ـ ١٦][١].

وآتى الله موسى الكتابَ، وفيه أنَّ الساعة آتية، وأنهم سيلاقون ربَّهم وأنْزَلَ اللّٰهُ في كتابِهِ خَبَرَ الساعة حتى يؤمِنَ بها أتباعُ موسى، وليحسبوا لهذا اليوم حسابَهُ، وليعملوا ما ضمن لهم الرحمةَ والفَوْزَ بعد

= ويعتقد الزرادشتيون أنّ هنالك خالقَيْن: خالِق الخير وهو أهورامزدا، وخالق الشر وهو أهرمان، ويقول الشهرستاني: إنّ المثنوية اختصّت بالمجوس، حتى أثبتوا أصلين اثنين. مدبّرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور والثاني الظلمة، وبالفارسية يزدان وأهرمن، وقال: إنّ زرادشت قال: إنّ الظلمة والنور أصلان متضادّان، وكذلك يزدان وأهرمن، وهما مبدأ موجودات العالم.. «الملل والنحل» ٢/ ٥٩ و ٦٣. وأهرمن عندهم هو الشيطان أو إبليس.

(١) سُئِلَ خاتم النبيين عن الساعة، قال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها، قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٨٧].

البعث، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ١٥٤].

وقد جاء موسىٰ إلى فرعون بالآيات البيّنات، وأخْبَرَهُ بأنَّ الذي يؤمِن برسالَتِهِ له العُقْبَى المحمودَة في الدَّارِ الآخِرَةِ، ولكنَّ فرعونَ وقومَه كذَّبوه استكباراً بغَيْرِ الحَقِّ، وزَعَمُوا أنَّ الآياتِ الَّتِي أتىٰ بها مُوسَىٰ سِحْرٌ مفْتَرَىٰ وأنْكَرُوا القيامَةَ والبَعْثَ والحساب، وأنْكَرُوا كلَّ شَيْءٍ أخْبَرَهُم به موسىٰ عن الدَّارِ الآخرة والجنَّةِ والنَّارِ، وقد جاءَ التصريحُ بكُلِّ هذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآيات: ٣٦ ـ ٤٢].

فما جاء مِنَ العِبارات الآتية: ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٣٧] و ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٣٩] و ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٤١] و ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٤٢] يبيِّن ما شَمِلَتْهُ رسالةُ

موسى من التعريفِ بالدّارِ الآخرة ووجوب الاستعداد للْيَوْم الآخِرِ، ووجود النار والنّعِيم في الجنة وهو ما أشير إليه بلفظ ﴿عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٣٧].

وتبدو العقائِدُ الّتي تتّصِلُ بعقيدة اليوم الآخر من البَعْثِ والجنّةِ والنار والخلودِ فيها وغَيْرِها في ما جاء في كتابِ اللّهِ عن لسان مؤمن فرعون، قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [٤٠ سورة عافر/ الآيات: ٣٨ ـ ٤٤] ﴿وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ[1] ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآيتان: ٣٢ و ٣٣].

فقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٤٣] أي: خالدين فيها، ويشمل قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ

---

(١) وقيل: يوم التناد هو يوم ينادي أهلُ النار أهلَ الجنةِ أن أفيضوا علينا من الماء، وقيل: هو يوم ينادي الناسُ بعضُهُم بعضاً من فَزَعِ نَفْخَةِ الفَزَعِ، وقيل: هو يوم يولّون هاربين في الأرض حَذراً من عذاب اللّهِ وعقابِهِ عند معاينتهم جهنم، وقيل: يوم تولّون منصرفين عن موقف الحساب إلى جهنم. «جامع البيان» ٢٤/ ٤٠ و ٤١.

هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٣٩] أن الذين يدخلون الجنة يستقرُون فيها فلا يخرجون، ولقد جاءَتْ عقيدةُ الحساب كذلك في قولهِ تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٢٧] وجاء ذِكْرُ الآخِرَةِ في التوراة كذلك بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ١٠٤].

وهكذا نرى موسىٰ يأتي بالعقائد الخاصةِ بالآخِرَةِ في رسالته[١] كما أتىٰ بها سائِرُ الرُسُلِ والنبيِّين من قَبْلِهِ، لا فَرْقَ بينهم في ذلك.

(٦) الدليل على البَعْثِ:

ومن الآيات التي ذُكِرَتْ في التورَاةِ الحقيقيَّةِ بمعناها، قوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [٢٠ سورة طه / الآية: ٥٥] فقد جاءَتْ في مقام إقامة موسى الدليل على فرعون على الربوبيّة، وأنّ اللّهَ هو ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٥٠] إلى آخر الآيات، والمعروف عندنا أنّ قِصَّةَ موسىٰ كلَّها، ووعظه فرعون، وكلَّ ما فيه أخبار عن موسىٰ، كان موجوداً في التوراةِ الحقيقيّة مثْلَما أنَّ ذِكْرَ خاتَم النبيين وسيرته وجهاده والأخبار عن المؤمنين والكفار، وكلّ ما له علاقة بمحمد الرسول الكريم جاء ذِكْرُهُ في القرآن[٢].

---

(١) لا نجد أثراً لليوم الآخر في الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى في العهد القديم من الكتاب المقدس عندهم، وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

(٢) قصة موسى كلّها ذكرتها اليهود في كتابهم المقدس، واعتبرتْها جزءاً من الكتاب =

فإذا سلّمْنَا بأنَّ الآيَةَ الكريمةَ ضمن ما جاءَ في توراةِ موسىٰ الحقيقية، ولا نرى ما يَدْعُو إلى القول بغير ذلك، فإنّها تُصبحُ من ضِمْنِ الأدلّةِ التي أرادَ بها موسىٰ أن يُثْبِتَ البَعْثَ، وأرادَ بها أن يُبَيِّنَ لفرعونَ وقَوْمِهِ ولبني إسرائيل على وجْهٍ عام، أنّهم مخلوقون من التُّرابِ والماء، وأنْ يُذَكِّرَهُم بخَلْقِ أبيهم آدَمَ، وأنّهم قد خُلِقُوا من نَفْسِ العناصِرِ الأوَّلِيّة من التربة، والدليلُ على ذلك أنّهُم يموتون كما ماتَ أسلافُهُم، وأنّهُم سوفَ يعودون من مقابِرِهم إلى الصُّورَةِ التي كُوِّنُوا منها، وهي التراب، ممّا هو ظاهِرٌ أمامهم ومِمّا يمكن إثباته من فَحْصِ المقابر والتثبُّتِ من كَوْنِ الجثَثِ قد تحوَّلت إلى أكوامٍ من التراب.

فإذا ما رَأوا ذلك بأعْينهم، فكيفَ يستَبْعِدون على الله أنْ يخلقهم، وأن يخلقَ الناسَ جميعاً مرَّةً أخرى من هذا التراب نفسه[1].

ولقد ضَرَبَ موسىَ مَثَلاً عَمَلِيّاً لإحياء الموتى وخَلْقِ الكائنات الحيَّةِ بما فيها الإنسان من العناصر المَيْتَةِ والجماد، ما أجْراهُ اللّهُ على

= الذي أُنزِلَ على موسى، بل عدّتْها هي التوراة نفسها، وقد ذَكَرَ الله في القرآن ما صَحَّ عن موسى، وصَحَّحَ الأخطاء التي جاءت في كُتُبِ اليهود، ووبّخ اليهود على أنّهم ذَكَرُوا أكاذِيبَ ونَسَبُوهَا إلى موسى افتراءً عَلَيْهِ، والمسْلِمُون لا يَعْتَرِفُون بما جاءَ في كُتُب اليهودِ ممّا لا يتّفِقُ مع العقائد التي ذَكَرَها اللّهُ، ولا يَعْتَرِفونَ بكلِّ ما جاء في أسفار اليهود مما يتناقَضُ مع ما جاءَ ذِكْرُهُ في القرآنِ أو يختلف مع روح الدين الإسلامي؛ كالادّعاء بأنَّ اللّهَ صارَعَ يعقوب إلى طلوع الفجر (تكوين ٣٢: ٢٤ ـ ٣١) وكنِسْبَةِ اقتراف الكبائر إلى الرسل والنبيين، وغير ذلك مما ضَرَبْنا له بعض الأمثلة في هذا الكتاب، ومما يضيق عن ذكره مثل هذا المؤلّف.

(١) قال الله تعالى لخاتم النبيين: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد * أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾ [٥٠ سورة ق/ الآيات: ١٢ ـ ١٥].

يَدِهِ من تحويلِ العصا الجامدة المَيْتَةِ الَّتي لا رُوحَ فيها، إلى كائن حيّ يتمتَّعُ بجميع الوظائف الحيويّة، ويتمتَّعُ بجميع الأعضاء الحيَّة والحواس التي يتمتع بها جميع الأحياء، كالعينين والجلد واللحم والعظم والأذنين والأحشاء الداخلية وهَلُمّ جرّا.

لقد كانَتِ المعجزةُ التي أعطاها اللّهُ لموسى من قَلْبِ العصا إلى حية تسعى، ليست دليلاً على الربوبية والرسالة فحسب، بل دليلاً على البعث كذلك؛ أعطى الله هذه المعجزة لموسى عندما: ﴿.. نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآيتان: ٣٠ و ٣١].

فتحويلُ العصا غير الحيَّةِ إلى كائنٍ حَيٍّ دليلٌ على الخلق الأول والخَلْق الثاني، وإرجاعُها إلى صورتها الأولى دليلٌ على أنَّ اللّهَ بيده الموت والحياة: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ١٩ ـ ٢١].

ولقد بَيَّن موسى هذه المعجزة لفرعون ومَلَئِهِ حين أنْكَرَ فرعونُ الربوبيَّةَ والرسالَةَ والبعْثَ، وبدراسَةِ الآية الكريمة التي ذُكِرَتْ في هذا المقام، يُسْتَنْتَجُ أنَّ هذه المعجزة كانت دليلاً من أدِلّةِ البعث والإحياء، فأوّلها قوله تعالى لفظ: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٥٥] وآخرها قول السحرة لفرعون حين هددهم بالقتل لإيمانهم بموسى: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٧٢] أي: ولا تملك شيئاً بالنسبة للحياة الآخرة، تأمل ذلك في قوله تعالى:

﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ٥٥ ـ ٧٣].

كانت حِبالُ السَّحَرَةِ وعصيُّهم أجساماً جامدةً مَيْتةً لا تدلُّ على شيء له علاقة بالدِّين والعقيدة، فقد كانَتْ حَرَكَتُها أشْبَهَ في نَظَرِنا بحركات الدُّمَىٰ وبَعْضِ التماثيل الإنسانية والحيوانية التي يَصْنَعُهَا الصناع، ويضعون في جَوْفِها محرّكات تجعلها تسعىٰ وتتحرّك كالأجْسادِ الحيّة، وليس فيها من صفات الأحياء سوى الحركة، ولكنها الحركة

الآليّة التي لا تكاد تمتّ إلى حركة الأجسام الحيّة بِصِلَةٍ، بخلافِ حيَّةِ موسىٰ التي كانت كائناً حيّاً بمعنى الكلمة، ولذلك حينما ألقوا حبالهم وعصيهم خيل ﴿... إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [٢٦ سورة طه/ الآيــــة: ٦٦] ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية ٤٥].

لقد آمن سَحَرةُ فرعون بالبَعْثِ والحساب حينما شاهدوا معجزة إحياء الموتىٰ، لذلك قالوا لفرعون، مقسمين بالذي فطرهم وخلقهم: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ٧٢ و ٧٣] أي: بعد البعث ويوم الحساب.

وذكر اللّٰهُ في موضِع آخر من كتابه أنَّهُم قالوا لفرعون حين هدّدهم بالقتل أنهم منقَلِبون إلى ربهم، أي: يوم القيامة، وأنهم يطمعون أن يغفر الله لهم يومئذ خطاياهم، قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٤٦ ـ ٥١].

وفي مقام آخر قال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ١٢٥ و ١٢٦].

هذا دليلٌ أقامَهُ موسىٰ على صِدْقِ البَعْثِ بعد المَوْت، وهنالك دليلٌ آخر على إحياء الموْتَىٰ والبَعْثِ أقامه موسى لبني إسرائيل، وهو

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ٥٥ و ٥٦].

وضرب اللّهُ مثلاً آخرَ للبعث في قصة البقرة[1]، حكى الله عنها فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ٦٧ ـ ٧٣][2].

---

(١) وذكر الله تعالى هذه القصة لرسول الله وخاتم النبيين، احتجاجاً على من لم يؤمن بالبعث من قريش «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ٤٠٤.

(٢) قيل: قُتِلَ قتيل من بني إسرائيل، فطُرِحَ في سبط من الأسباط، فأتى أهل ذلك القتيل إلى ذلك السبط، فقالوا: أنتم والله قتلتم صاحبنا! قالوا: لا والله! فأتوا موسى، فقالوا: هذا قتيلنا بين أظهرهم، وهم والله قتلوه! فقالوا: لا والله يا نبي الله! طُرِحَ علينا، فقال لهم موسى: إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فقالوا: أتستهزىء بنا! فقال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. . . فلما اهتدوا إلى البقرة وذبحوها، أمرهم موسى أن يضربوا القتيل بجُزْءٍ منها، اختُلِفَ في تَعْيينِهِ، فرجع إليه روحه، وقعد، فقالوا: من قَتَلَكَ؟ فسمّى القاتِلَ، ثم عاد في مِيتته. «جامع البيان» ١/ ٢٧٠ و ٢٨٥.

وهكذا بَيّن اللّهُ لبني إسرائيل، على يدي موسى، أنَّ اللّهَ قَادِرٌ على أن يُحيي الموتىٰ، حتى لا يكفروا باليَوْمِ الآخِر والبعث، وحتى لا يشكُّوا في رسالة موسى، ولا يكذِّبُوه في إخبارهم عن القيامة.

والدليلُ على أنَّ هذه المعجزة كانَ من أهمّ أسْبابها إثباتُ النُّشورِ، قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٧٣] وهذا خطابٌ من اللّهِ تعالى لعبادِهِ المؤمنين، واحتجاجٌ منه على المشرِكين المكذِّبين بالبَعْثِ، فهو يقول لهم أن اعتبروا أيُّها المكذبون بالبَعْثِ بعد الموت، بإحيائي هذا القَتيل بعد مماته، فإنّي كما أحييتُهُ في الدنيا، فكذلك أُحْيي الموتىٰ بعد مَماتِهِم، فأبْعَثُهُم يومَ البَعْثِ. وقد ذَكَرَ اللّهُ تعالى تلك القِصّةَ لرَسُولِهِ الكريم للاحتجاج بها على مشرِكي العَرَبِ، وكان من بَني إسرائيل يومئذٍ من يعلم هذه القصة[١].

وقد بيّنّا أنَّ ذِكْرَ إحياء الموتى والبعث والقيامة والحساب وما يتعلَّقُ باليوم الآخر، جاءَ ذِكْرُهُ في رسالَةِ الرُّسُلِ والنبيين قبل موسى، وسنرى أنَّ كُلَّ هذا جاء كذلك على لسان الرُّسُلِ بعد موسىٰ، وسنرى كيف أن مُحَمّداً الرسول الكريم خاتم النبيين جاء بتفاصيل ذلك كلّه في رسالته.

(٧) الجزاء وإهلاك العصاة:

ومن العقائد الإسلامية التي جاءت في شريعة موسى الجزاء المقابل للعمل، فالآخرة هي دار الجزاء، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٥] فكلُّ عَمَلٍ له جزاؤه، إن خيراً فخيرٌ وإن شرّاً فشرٌّ، وبدهيٌّ أنَّ اللّهَ هو الذي يجازي، وهو الذي يحكم، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ.

---

(١) «جامع البيان» ١/ ٢٨٦.

ومن الآيات التي نَعْتَقِدُ أنّها جاءَتْ في شريعة موسى في التوراة الحقيقية، مع مجيئها على صورةِ توبيخٍ وتحذيرٍ لليهود في رسالة خاتم النبيين، قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ٤٧ و ٤٨] وهذا هو الجزاءُ الأُخْرَوي، وقد تقدَّمَ ذكْرُهُ عند الكلام عن الجنّةِ والنار واليوم الآخر.

ولكن هنالك جزاءً آخرَ دنيوياً، يجب أن يؤمِنَ به كلُّ مؤمن، وهو ذلك العقاب الذي يعاقب به اللّهُ العاصِين، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٥٢] وكذلك يفعل اللّهُ بغَيْرِ المصدِّقين برسالة النبيين والرسل، ولقد أنْزَلَ اللّهُ بفرعون وقومِهِ ما أنزل من العذاب في الدنيا، ثم أغْرَقَ بعد ذلك فرعونَ ومَنْ معه في البحر بعد أن نَجّىٰ موسى ومَنْ معه أجمعين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآيتان: ٥٥ و ٥٦].

ولقد حذَّرَ موسى فرعونَ وملأهُ من انتقامِ اللّهِ منهم، وتعذيبه إياهم في الدنيا، وإرسال نقمته عليهم وإهلاكهم كما أهْلَكَ مَنْ قَبْلَهُم من الأمم حين عَصَتْ رُسُلها، ولقد جاءَ هذا التحذيرُ واضِحاً على لسان مُؤْمِنِ فرعون إذ قال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآيات: ٢٩ ـ ٣١].

وقد ذَكَرَ رسولُ اللّهِ وخاتَمُ النبيِّين لِقَوْمِهِ ما فعل اللّهُ بهؤلاء القوم، وبَيَّنَ لهم كَيْفَ أخذَ اللّهُ كلَّ أمَّةٍ بذَنْبِها، ليؤمنوا بأنَّ اللّهَ قَادِرٌ على أن يَفْعَلَ بهم مثل ما فعل بهؤلاء، عَلَّهُم يرجعون عن غَيِّهم، ويؤمنوا برسالته، فقد ذَكَرَ الله في سورة العنكبوت أمْرَ قَوْمِ نوح، وما فعله قوم إبراهيم برسولهم، وأمْرَ قوم لوط وقوم شُعَيْب وعاد وثمود، ثم قال: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآيتان: ٣٩ و ٤٠].

وطبيعي أنَّ العملَ الصالِحَ له الجزاءُ الحَسَنُ، ويتبيَّنُ هذا في دُعاءِ موسى: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٥٦].

(٨) الاستغفار والتوبة:

عندما قتلَ موسى المصريَّ المشاغِبَ غير عامد: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ١٦][١] فكان موسى يعرفُ عقيدَةَ الاستغفار ويؤمِنُ بها قَبْلَ الرسالة، ورِثَ اعتناقَها عن أجداده يعقوب وإسحاق

(١) من هذا يؤخذ أن القتل الخطأ ذَنْبٌ يوجب الاستغفار والتوبة، ولهذا سنَّ في شريعة خاتم النبيين حكم خاص وكفارة خاصة لذلك. راجع: ٤ سورة النساء/ الآية: ٩٢.

وإبراهيم والنبيين من قبلهما، كما بيَّنَّا، وسائر رسل الله.

ودعا موسى إلى الإيمان بالله واستغفاره، وممَّن لبَّى هذه الدعوة سَحَرةُ فرعون، فقد آمنوا بربِّهم ولم يأْبَهُوا بتَهْدِيد فرعون لهم: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ٧٢ و ٧٣] وقــالــوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ٥١].

وممّا جاءَ كذلك في التوراة قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيتان: ٨١ و ٨٢] وقال تعالى في مقام آخر: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٥٣] قال اللّهُ ذلك بعد ذكر عبادة بني إسرائيل للعِجْل، وقال جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٥٤].

وغضب موسى عندما رأىٰ بَني إسرائيل يعبدون العِجْلَ الجَسَدَ من دون الله، وتبرّأ ممّا فعله قومُه ولجأ إلى الله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٥١].

وهكذا يتبيَّن لنا أنَّ اللّهَ تعالى سَنَّ لنا الاستغفار والتوبة، وأنَّهُ

يشترط في الاستغفار الإيمان بالله تعالى، وأنَّ اللَّهَ يتوبُ على التائبين إذا كانوا صادِقِين في رجوعِهِم إلى الله، ورجعوا عمّا كانوا يعملون من سَيِّئات، وعملوا بعد ذلك بأوامر الله واتبعوا الطريق السَّوِي الذي رسمه لهم المرْسَلون، ويشترطُ كذلك أن يُكَفِّرَ التائبُ عن الجرْم الذي اقترفه حسب التعاليم الإلهية، ولقد ذكر اللَّهُ لنا أنَّهُ كان من شروط قَبُولِ توبة عَبَدَةِ العِجْل من بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسَهُم كما تقدم.

والتوبَةُ كما قدّمْنا يشترطُ فيها أن تكونَ عقب الجرْم، ولا تكون عند الموت والتأكّد من الهلاك، كتَوْبَةِ فرعون، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآيات: ٩٠ ـ ٩٢].

المبحث الخامس عشر
النبي الذي سألتْهُ اليهودُ أن يَبْعَثَ لهم مَلِكاً يقودُهُم للقِتال

١ ـ ذِكْرُه في القرآن:

ذَكَرَ اللّهُ في القرآن الكريم أنّ بني إسرائيل من بَعْدِ وفاة موسى سألوا نبيّاً لهم أن يبعثَ لهم مَلِكاً يقودُهُم للقتال في سبيل الله، فأخبرَهُم أنَّ اللّهَ سَمِعَ لهم، وأنّهُ أرسَلَ لهم طالوتَ مَلِكاً، وقد ذَكَرَ اللّهُ قِصّة هذا النبي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ

بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ٢٤٦ ـ ٢٥١].

٢ ـ نسبه وزمنه:

(١) قول المؤرِّخين المسلِمين:

روى الطبريُّ أنّ النبيَّ المذكورَ في الآية الكريمة اسمُه شَمُويل بن بالي بن علقمة بن برحام بن الهو بن يهوصوق بن علقمة بن ماحث بن عموصا بن عِزرِيا بن صفية بن علقمة بن أبي باسق بن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقال في رواية أخرى: إنه يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وروىٰ الطبريُّ غير ذلك في نَسَبِ ذلك النبي، وفي قصَّتِه من حوادث وأقوال[١] غير محقّقة من الناحية التاريخية.

(٢) قول المصادر الإسرائيلية:

وذكرتِ المصادِرُ اليهوديّة في سفر صموئيل ما يُسْتفاد منه أن

---

(١) «جامع البيان» ٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥ وراجع «نهاية الأرب» ١٤/ ٣٢ و ٣٣.

النبيّ المذكورَ هو صموئيل بن القانة بن يروحام بن إليهو بن توحو بن صوف وأن اسم أمه حَنّة، وأن أباه رجل من رامنايم من رجال أفرايم[1] والمعروف أن أفرايم هو ابن يوسف بن يعقوب بن إبراهيم، فإذا صَحَّ ذلك فيكون صموئيل من نسل أفرايم بن يوسف، ورَوَتِ المصادرُ الإسرائيلية أن يوشع بن نون هو كذلك من نسل أفرايم، وجاء فيها عن صموئيل روايات وأخبار كثيرة لا نؤمِنُ بكثير من أصولها وفروعها لأسباب كثيرة يضيق عن ذكرها مثل هذا المقام.

أمّا فيما يخْتَصُّ بنسب نبي بني إسرائيل، فنستطيع أنْ نرجِّحَ المصدر الإسرائيلي في شأنه بصِفَةٍ عامّةٍ، فإذا ما سلّمْنا بصِحّةِ المصدر السابق، يصبح الزمن بين وفاة موسى ونبي بني إسرائيل عندما نصب طالوت مَلِكاً ستاً وخمسين وثلاث مئة سنة (٣٥٦)، إذ أنّ المصادر الإسرائيلية تذكر لنا أن شاول (طالوت) بن قيس[2] مسحه صموئيل سنة ١٠٩٥ ق.م[3]، أي: قبل أن يتولّى داود المُلْكَ بأربعين سنة.

وذكرتِ المصادِرُ اليهوديّة أنّ بني إسرائيل في عهد صموئيل، كانوا على درجةٍ كبيرةٍ من الانحلال الخلقي، فكان بنو عالي، وهو كاهن من كهنتهم، يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع (١ صموئيل ٢: ٢٢) وكان بنو إسرائيل يعبدون آلهة وأصناماً من دون الله وكان صموئيل يقول لهم: إن كُنتم بكل قلوبكم راجعين

---

(١) (١ صموئيل ١: ١ ـ ٢٠).

(٢) ذكر الطبري أنّ اسم طالوت بالسريانية: شاول بن قيس بن أبيال بن ضرار بن بحرب بن أفيح بن آيس بن بنيامين بن يعقوب. «جامع البيان» ٢/٣٧٨. وهو عند اليهود: شاول بن قيس بن أبيئيل بن ضرار بكورة أفيح رجل من نسل بنيامين (١ صموئيل ١: ١ و ٢).

(٣) «مرشد الطالبين» ص ١٠٢.

إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت[1] من وسطكم. وأعدوا قلوبكم للربِّ واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين (١ صموئيل ٧: ٣) بل وذكروا أنَّهُ لما شاخ صموئيل قال له الرب: حسب كل أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم وتركوني وعبدوا آلهة أخرى هكذا هم عاملون بك أيضاً (١ صموئيل ٨: ٨).

وذكرت المصادر اليهودية والنصرانية أنَّ صموئيل (نبي بني إسرائيل) ولد سنة ١١٧١ ق.م، وأن طالوت (شاول) مات سنة ١٠٥٦ ق.م[2].

٣ ـ العقائد في دين نبي بني إسرائيل:

ومن السَّهْل أن نستنتج من قصة نبي بني إسرائيل أن عقائد هذا النبي هي العقائد نفسها التي جاءت في شريعة موسى، فقد كان قومه

---

(١) والعشتروت (وهي نيني أو أنيني الشومرية أو الزهرة) أعظم ربّات بابل شأناً، وتُعدُّ أحياناً ابنة لِسِن Sin، وأحياناً ابنة لانو، وقد اجتمعت لها وظائف الآلهة الأم وآلهة الحب وآلهة الحرب، وكانت تقيمُ مع أبيها في إيريخ حيث كان يقوم بخدمتها بوصفها آلهة الحب، فرق من الفتيات المغنيات والراقصات اللواتي كن يشتركن بطبيعة وظيفتهن في طقوسها المتهتكة، وقد وجدت تماثيلها في صورةٍ من صورها وهي الألهة الأم منتشرة في كافة نواحي الشرق الأدنى، وتخْتَلِفُ هذه التماثيل في الحجم، فمن تمثالها الموجودِ في قرقميش الذي يصوّرها في الحجم الطبيعي وهي تقدم ثدييها، إلى تماثيل الصلصال الصغيرة التي يعثر عليها من آن إلى آن في مواضع المدن البابلية الأثرية «تاريخ العالم» مجلد ١/٦١٣، والظاهِرُ كما قدّمْنا أنَّ عبادة عشتروت قد مارسها بنو إسرائيل، وثَبَتَ أنّهم كانوا يؤدّون لها طقوسها الدينية الخاصة بها بوصفها آلهة الجنس، ومن هذه الطقوس مضاجعة النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع، وهو المكان المقدّس في شريعة موسى حسب زعمهم.

(٢) «مرشد الطالبين» ص ٩٣.

من بني إسرائيل. منهم المؤمنون بالله ومنهم من اتخذ معبودات أخرىٰ غير الله كالعشتاروت، كما ذكرتِ المصادر الإسرائيلية، وقد نهاهُم نبيُّهم كما ذكرت هذه المصادر عن عبادَةِ غير الله، وقد جاءَ في كتابِ الله قول نبي بني إسرائيل لهم عندما اعترضوا على أمر الله بتمليك طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٤٧] ويتضمن هذا أنَّ الله له كل شيء، له ملك السماوات والأرض، وأنَّ مشيئتَهُ لا يمكن أن يعارِضَها معارض، وأنه يؤتي مُلْكَهُ من يَشاء، وأنَّه واسع عليم.

وممَّا جاءَ في شريعة هذا النبي الإيمان بالمعجزات، إذ قال لبني إسرائيل أنَّ من آياتِ مُلْكِ طالوت أنْ يأتيهم التابوت تحمله الملائكة، بل إن الإيمان بالملائكة لعقيدة أخرى جاءت في شريعة ذلك النبي.

ومن العقائِدِ التي جاءت في القصة كذلك، أنَّ اللَّهَ ينصُرُ المؤمنين يجازيهم في الدنيا على صبرهم، ويتبيّن هذا ممّا قالَه المؤمنون المخْلِصون من الانتصار على أعدائهم، إذ أنهم: ﴿..وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ٢٥٠ و ٢٥١].

بل لقد تعلّم بنو إسرائيل من نبيِّهم أنَّ هنالك يوماً آخر، وأنهم سيُبْعَثون بعد الموت، وأنّهم سيحاسَبُون على أعمالهم، وأنهم سيجازون بالنعيم عندما يلاقوا اللَّهَ في ذلك اليوم، فقد قال تعالى: ﴿..قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٤٩].

وهكذا نَجِدُ قِصَّةَ نبي بني إسرائيل شاملة لعقائد الألوهية والربوبية وإرسال النبيين والمعجزات ووجود الملائكة والتوكّل على الله والابتلاء وجزاء العصيان في الدنيا والإيمان باليوم الآخر، بما يشمله من بَعْثٍ وحسابٍ وفَضْلٍ وجزاء، وكذلك لفظ ﴿ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٤٦] ولفظ ﴿لنبي لهم﴾ يبين أن النبي جاء على شريعة موسى، وأن قومَه كانوا على شريعتِهِ، وأن العقائد التي جاء بها موسى لا بُدَّ أن يكون هذا النبي قد شرحها لقومه وبيَّنها لهم تفصيلاً حسب البيان الذي بيَّنَاهُ مِنْ قبل.

المبحث السادس عشر
داود

١ ـ ذِكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ٢٤٩ ـ ٢٥١].

وقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣)﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣].

وقال: ﴿.. وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٥٥].

وقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيتان: ٧٨ و ٧٩].

وقال: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ ..﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤] إلى آخر من سمّاهم الله تعالى في الآيات التالية لهاتين الآيتين.

وقال: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيات: ٧٨ ـ ٨٠].

وقال: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ

ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيات: ١٧ ـ ٢٦].

وقـال: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٥].

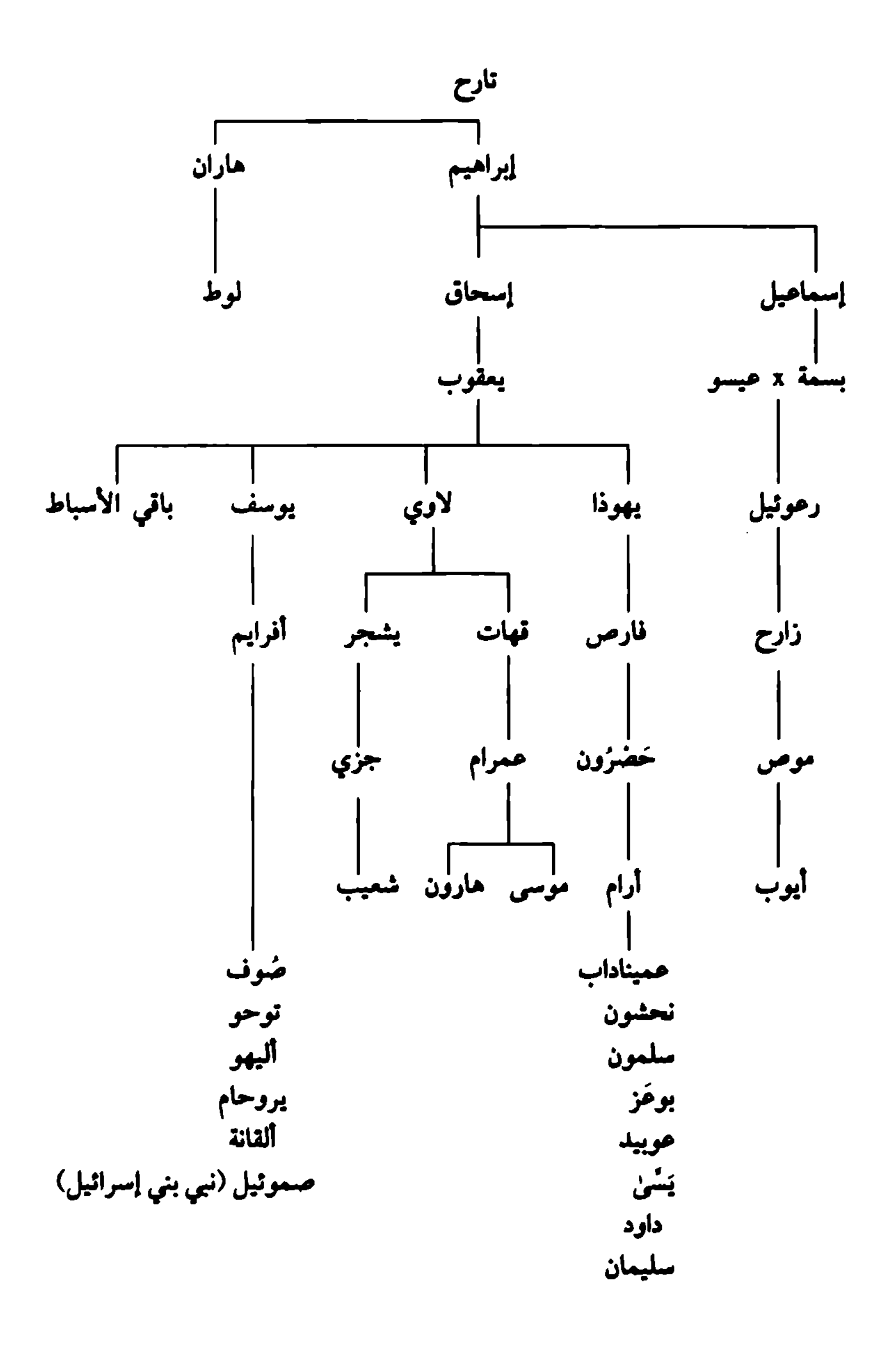
٢ ـ نسبه وزمنه:

وذكر في إنجيل متّىٰ ولوقا أنَّ داود هو ابن يَسَّىٰ بن عُوبِيد بن بُوعَز بن سَلْمُون بن نَحْشُون بن عَمِينا دَاب بن أَرَام بن حَصْرُون بن فَارِص بن يَهُوذا بن يَعْقُوب بن إِسْحاق بن إِبْراهيم (متى ١: ١ ـ ٦) و (لوقا ٣: ٣١ ـ ٣٤) وذكرت المصادر التاريخية الإسرائيلية والنصرانية أنه تولّىٰ المُلْكَ سنة ١٠٥٥ ق.م[١]. وقالوا: كان داود ابن ثلاثين سنة حين مَلَكَ، ومَلَك أربعين سنة، في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا (٢ صموئيل ٥: ٤ و ٥).

ونرى أن نرسُمَ هنا جدولاً قد يساعِدُ على أخذ فكرةٍ عن نسب داود وعلاقة زَمَنِهِ ونَسَبِهِ ببعض أقربائه من الرسل والنبيين، حسب المراجع الإسرائيلية التي قد يكون فيها أثَرٌ من الحَقِيقَةِ، وحسب ما جاء في قول بعض المؤرِّخين من المسلمين:

---

(١) «مرشد الطالبين» ص ١٠٢.



٢ ـ العقائد في شريعته:

(١) الزبور:

قيل: إن زبورَ داود عبارة عن دُعاءٍ علّمه داود، تحميد وتمجيد

ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود[1]. وقيل: إن معنى قوله تعالى؛ ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] أي: آتينا داود الكتاب المسمى زبوراً، كما سَمَّىٰ الكتاب الذي أوتيه موسى التوراة، والذي أوتيه عيسى الإنجيل، والذي أوتيه محمد الفرقان، لأنَّ ذلك هو الاسم المعروف به ما أُوتِيَ داود[2]، ونحن نرىٰ أن الزّبورَ كتابٌ سماوِيٌّ أُوحِيَ إلى داود كسائر الكتب التي أُوحِيَ بها إلى الرُّسُلِ، فيه فرائض وحدود وأحكام، وغير ذلك ممّا أتى به الرُّسل، لقد جعل الله داود خليفة في الأرض وأمره أن يحكم بين الناس بالحقِّ، فكيف يكون خليفة من غير علم، وكيف يحكم بين الناس من غير أحكام أنزلت إليه يحكم في نطاقها، وفي حدودها، وكيف يميّز بين الأحكام الباطلة والأحكام الصالحة التي تُرْضِي اللّهَ، ألم يَقُلْ له اللّهُ جَلَّ شأنه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٢٦] ألم يؤته الله المُلْكَ والحكمة وعلمه مما يشاء، ألم يَقُلْ له اللّهُ تعالى: ﴿.. وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٥١].

إنّ الَّذِينَ زَعَمُوا أنّ الزبورَ الذي أُنْزِلَ على داود محضُ تَمْجِيدٍ وتحميدٍ، قد تأثَّرُوا بسِفْرِ المزامير الذي جاء في (العهد القديم)، وظنّوا أنّ ما أنزلَ على داود كان كلّهُ على هذا النحو، مع العِلْم بأنّ المسيحيين أنفسهم لم يستطيعوا الادّعاء بأنّ المزامير التي وردَتْ في كُتُبِهم كلّها خاصة بداود، ولم يَملكوا إلا القول بأنّ داود نظم أكثرها،

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٧١ و «الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ١٧ و «نهاية الأرب» ١٤/ ٥٥.

(٢) «جامع البيان» ٦/ ٢٠.

وأما الباقي من سِفر المزامير، فقد نظم بعضه موسى وبعضه هامان، وكذلك آساف ويدوثون وأنبياء آخرون كانوا في مدَّةِ الأسر البابلي، وبعضهم بقي إلىٰ ما بعده، وقالوا: فثلاثة وسبعون مزموراً منه منسوبة صريحاً إلى داود، وكذلك المزمور التسعون إلى موسى، وأنه يظهر من مضامين بعض المزمورات أنها كُتِبَتْ في وقْتِ السَّبي، وبعضها في وقت الرجوع، وأنه يوجَدُ مزمورات كثيرة لم يتَّفق العلماء المفسِّرون على كاتبيها ولا على تاريخ كتابتها.. الخ[1]، ويبلغ عدد المزامير مئة وخمسين مزموراً، على ما زعم أهل الكتاب.

(٢) الربوبية والألوهية والوحدانية والوحي:

ولا شكّ أنّ اللَّهَ كان يوحي إلى داود الزبور كما أُوحي لسائر الرسل الكُتُب المنزَلَة، وكما جاء في آية سورة النساء: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] وبَدهيّ أن داودَ أخْبَرَ قومَه بأمر الوحي، ولقد كانَ في بني إسرائيل بقية يؤمنون بالربوبية والألوهية والوحدانية، فلم يكُ حالُ داود مع قومه كحال الرسل الذين أرسلوا إلى أقوام يقلُّ فيهم من عنده استعدادٌ للإيمان والهداية واتباع سبيل الرّشاد، ولذلك لم يأتِ القرآنُ الكريم بآياتٍ صريحةٍ، في بيان تلك العقائد في دين داود ورسالته، فقد كان بينهم بقية من المؤمنين بشريعة موسى وعقائده، وكان فيهم نبي بني إسرائيل وطالوت، ولم يكن من داود إلا أنه وصل لهم القول لعلهم يتقون.

---

(١) راجع «مرشد الطالبين» ص ١٢٦ وما بعدها.

ولقد بيَّنَتِ القصّةُ أنَّ داودَ كانَ مِنَ الذين برزوا لجالوتَ وجنودِهِ و: ﴿..قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٥٠] وهو الإيمان بالرُّبوبية، ومثل هذا إما يُؤخَذُ من قولِهِ تعالى لداود: ﴿..وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٢٦].

ولا يمنعنا مانِعٌ ما مِن الاستشهادِ بما جاء في كُتُبِ اليهود من أنَّ داودَ صرَّح بالوحدانية وصرَّحَ بأنَّ الله ليس كمثله شيء، فهذا يقارِبُ ما جاء في كتاب الله من قوله تعالى: ﴿..لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ١١] وأما ما جاءَ في كُتُب اليهودِ فهو قولهم أنّ داودَ خاطَبَ الله تعالى بقوله: لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك، وليس إله غيرك حسب كل ما سمعنا بآذاننا (٢ صموئيل ٧: ٢٢) وما كان داود ليؤمِنْ بذلك، ثم لا ينشر هذه العقيدة بين قومه وعشيرته.

(٣) الرسالة:

وطبيعي أن داود أبْلَغَ قومَهُ وعشيرَتَهُ أنّه رسول الله إليهم، وكان المعروف عند بني إسرائيل أنه مرسل بعد نبي بني إسرائيل، وكان أمر الرسل من قَبْلِهِ معروفاً كذلك في ذلك الزمن، وكان من الشائع حينذاك إرسال الرسل من بني إسرائيل، الواحد بعد الآخر، ولم يكن هذا أمراً مستغرباً، وكان من وظيفة رسل بني إسرائيل أن يدعوا الناس إلى الإيمان بأنَّ اللّهَ يرسل رسولَهُ لِهداية الناس ودعوتهم إلى عبادة الله الذي لا إله غيره.

(٤) اليوم الآخر ويوم الحساب:

ولقد جاءَ ذِكْر اليوم الآخر ويوم الحساب في قوله تعالى:

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٢٦].

فيوم الحساب والإيمان بمقدمة عقيدة من العقائد التي جاءت في شريعة داود، وبَدَهيٌّ أنّه حَذَّرَ النّاسَ من ذلك اليوم، وذكرهم به وبما يتعلّقُ به من البعث والحكم بعد الحساب، إمّا بدخولِ الجنة أو بالإلقاء في نار جهنم، ممّا جاء ذِكْرُهُ في رسالات النبيين من قبل داود.

وفي قصة داود ما يُثبِتُ كذلك أنَّ عقيدةَ الإيمان باليوم الآخر كانت مِنْ ضِمْنِ تعاليم داود ورُسل بني إسرائيل، فقد صَبَرَ مع طالوت المؤمنون باليوم الآخر، وكان داود معهم، إذ إنّه هو الذي قَتَلَ جالوت، وقد بَيّنَ الله ذلك في قوله: ﴿.. قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٤٩] ولقاء الله تعبيرٌ عن البَعْثِ بعد الموت ولقاء اليوم الآخر، بما يشْتَمِل عليه من الجزاء وغيره.

(٥) الاستغفار والتوبة والغفران:

وجاء ذكر الاستغفار والتوبة والغفران في قوله تعالى: ﴿.. وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيتان: ٢٤ و ٢٥] ويستنتج من هذا أنّ داودَ كان كذلك يَدْعو قومَهُ إلى الاستغفار والتوبة، وكان يُبيِّن لهم أنّ اللَّهَ يسْمَعُ الدعاء ويَسْمَعُ للمسْتَغْفِرين، ويقبلُ التَّوْبَةَ من عباده.

(٦) الإيمان بالمعجزات:

ونرى أنّ من المعجزات التي أعطاها اللّهُ لداود تسخير الجبال

معه يُسَبّحن والطير، قال تعالى: ﴿..وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٧٩] وقال: ﴿..إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيتان: ١٨ و ١٩].

ولقد كانَتِ المعجزات التي أجراها الله على يَدِ الرُسل جميعاً والنبيين من دلائل صدق النبوة، ومن دلائل الربوبية والألوهية وقدرة الله وقوته وإبداعه وخلقه، وأنه لا إله إلا هو.

(٧) الابتلاء والفتنة:

ومن العقائد الدينية ابتلاء الله لعباده فتنةً لهم، وقد فَتَنَ اللّهُ داودَ حتى يكون مثلاً لقومه ولغيرهم، قال تعالى: ﴿..وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٢٤].

المبحث السابع عشر
سُلَيْمان

١ ـ ذكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا

فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيات: ١٥ ـ ٤٤].

وقـــال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ

رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيات: ٣٠ ـ ٤٠].

وقـــال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآيات: ١٢ ـ ١٤].

وقـــال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٢١ ســـورة الأنبياء/ الآيتان: ٨١ و ٨٢].

وقـــال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ [٦ ســـورة الأنعام/ الآيتان: ٨٣ و٨٤] إلى آخر الآية الكريمة.

وقال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ

ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٠٢].

وقــال: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣].

وقــال: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٧٨ و ٧٩].

٢ ـ نَسَبُ سُليمان وزَمَنُه:

وسُليمانُ رَسولُ اللَّهِ هو ابنُ داود رسول الله، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ ..﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ١٦] وكانت توليته الملك سنة ١٠١٥ ق.م[١]، قيل: وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة (١ ملوك ١١: ١٣).

٣ ـ العقائد في دين سُلَيمَان:

(١) الوحي والرسالة والوحدانية:

وكان يُوحىٰ إلى سُلَيمان كما جاء في آية سورة النساء [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] كما يوحى لجميع النبيين، وخلفَ أباه داودَ في الرسالة، ومن أدلّةِ ذلك أنّهُ بُعِثَ إلى ملكة سبأ، يدعوها إلى الإيمان

(١) «مرشد الطالبين» ص ٩٧.

بالله واتباع الدين الإسلامي: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيات: ٢٩ ـ ٣١].

كانت مَلِكَةُ سَبأ وملؤها كفاراً يعبدون الشمس، ويسجدونَ لها من دون الله، قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٤٣] وقال الهُدْهُد لسليمان: ﴿..أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ..﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيات: ٢٢ ـ ٢٤] ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل/ الآيتان: ٢٥ و ٢٦] فكانَتِ الدعوة إلى الإيمان بالوحدانية هي أساس دعوة سليمان، ولقد أشَرْنا من قبل إلى أن الدعوة إلى التوحيد في دعوة أنبياء بني إسرائيل كان ذكرها مقتضباً في كتاب الله، لأنَّ هؤلاء الأنبياء لم يأتوا بشرائع مستقلة عن شريعة موسىٰ، وأنَّ العقائد المبنيّة في التوراة الحقيقية، هي عين العقائد المفروض أن أنبياء بني إسرائيل ذكروها لأقوامهم ودعوا إليها المؤمنين بالله كأهْلِ سبأ كما قدّمْنا.

والمفروضُ كذلك أنّ جميعَ الرُسُلِ من أنبياء بني إسرائيل كرّرُوا الدعوةَ كغَيْرِهم من النبيّين إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته وقدرته وخشيته والتوكُّل عليه، وغير ذلك من صفات الله وصفات أفعاله وكلّ ما يتّصل بالعقائد التي كلّف بتعليمها المرسلون، ممّا يظهر في الآيات الكريمة التي تروي أعمالهم ووعظهم وقصصهم وسيرهم، وتمسّكهم بتبليغ رسالات ربهم.

(٢) الشياطين وإغواؤهم الناس:

ولا شكّ أنّ رسالة سليمان هي أبرز الرسالات التي وضحت فيها عقيدة وجود الشياطين وضوحاً تامّاً، فقد كان سليمان يستخدم الشياطين استخداماً ظاهِراً، يحسُّ الناسُ بأثرِهِ، ويرون بأعينهم ما لا يمكن إنكاره أو مجرّد الشكّ فيه، من أعمالهم وصناعاتهم المختلفة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٨٢] وقال: ﴿..وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآيتان: ١٢ و ١٣].

وهنالك قِصّة العفْرِيت الذي كان في حاشِيَة سُليمان، وتعهّد له بإحضار عرش مَلِكَة سبأ من اليمن إلى أورشليم، قبل انصراف سليمان من المجْلس الذي كان معقوداً حينئذٍ للتشاور في كيفية استحضار عرش هذه الملكة قبل أن تصل إلى عاصمة مُلْكِهِ، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيتان: ٣٨ و ٣٩].

هذه العقيدَةُ بَيّنَها سليمان، وبيّنَتْها سائِرُ الرُّسُلِ ليتحقّق الناسُ من أنّ الشياطين مجرّدُ مخلوقات من المُمْكِن استخدامها والسيطرة عليها، وتسخيرها لصالِح البَشَرِ، وأنّ الإنسانَ أقوى منها، فأمّا إمكان تفوّق البشر على الشياطين، فيستنتج من قِصّة نَقْلِ عرش ملكة سبأ، فقد تطوّع عِفْريتٌ من الجن أن ينقلَ عَرْشَ المَلِكَةِ في فترةٍ طولها الوقت الذي يستغرقه انعقادُ المجْلِس، وليكن هذا الوقتُ دقائق معدودة، وأمّا

الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب، وهو إنْسِيٌّ، فقد تعهّدَ بإحضاره في ثانية واحدة، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ..﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٤٠].

وكان في شريعة سُلَيْمَان من التعاليم ما تبيّن منه أنّ الشياطين تُوَسْوِس للنّاسِ وتضلّهم وتزيّن لهم سوءَ أعمالهم، وتقودُهم إلى الكفر وعبادة غير الله، وقد بَلَغَ من ذيوع هذه العقيدة في رسالة سُلَيْمان، أنّ الهُدْهُد نفسه كان يُؤْمِنُ أنّ الشيطان هو الذي أضلّ ملكةَ سبأ وقومَها وزيّنَ لهم عبادة الشمس من دون الله، قال الهدهد: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٢٤].

وجاء في قِصّةِ سُليمان خَبَرٌ عن كُفْرِ الشياطين وتحايلهم على الناس ليكفروا مثلَهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ [1] وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ [2] وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٠٢] إلى آخر الآية الكريمة.

وجاء في قِصّةِ سُلَيْمان ما يتبيّن منه أنّ الشياطين لا تعلم الغيب[3]، فقد ماتَ سُليمان ولم يشعُروا بمَوتِهِ، وظلوا يعملون ما

(١) أي: في ملك سليمان «جامع البيان» ١/٣٥٦.

(٢) لم يكْفُرْ سُليمان كما ادَّعتِ اليهودُ، فقد زَعَموا أنّهُ عَبَدَ عشتروت وآلهةً أخرىٰ من دون الله، وهو قولهم: وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى.. فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين.. وبنى مرتفعة لكموش رجس الموآبيين.. ولمولك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن للآلهتهن. (الملوكُ الأول ١١: ٤ ـ ٨).

(٣) قيل: فشا في بني إسرائيل أنّ الجنّ تعلم الغَيْبَ، فقال سليمان: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين تَعْلَمُ الغيبَ إلا ضربت عنقه. «جامع البيان» ١/٢٥٣.

كلَّفهم به سليمان في حياتِهِ، ولم يقفوا عن العمل بعد موته، ولم يتثبتوا من وفاته إلا بعد أن أكلت دابة الأرض منسأته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآية: ١٤].

وهكذا دلّت تعاليم موسى، ودلّت قصتُهُ التي كانت معروفة وقتئذٍ، والتي بَيَّنَها لنا اللّهُ تعالى في القرآن، أنّ عبادَةَ الجنّ سخافَةٌ من السخافات الكبيرة التي لا سَنَدَ لها من الحقيقة، ولا سَنَدَ لها من العقل[1] بل إنَّ الشيطان كما قال موسى: ﴿..عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ١٥].

(٣) الاستغفار والتوبة:

وجاء الاستغفار في رسالة سليمان، فقد طلب سليمان من رَبّه أن يغفر له: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ..﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٣٥] وجاء ما يشير إلى التوبة في قوله تعالى عن ملكة سبأ ومَلَئها: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٢٥] أي: ألاّ يتوبوا فيسجدوا لله، ويقلعوا عن عِبادَةِ الشَّمْسِ والسجود لها من دونِهِ، ودَلَّ على هذا المعنى اعترافُ مَلِكَة سبأ بأنّها ظَلَمَتْ نَفْسَها بعبادَتِها الشمس من دون الله، وإقلاعها عما كانَتْ فيه من جَهالَةٍ ورجوعِهَا إلى اللّهِ بالتَّوْبَةِ والدخول في الدِّين الإسلامي، على شريعة سليمان:

---

(١) قال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون. فاليوم لا يملك بعضهم لبعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآيات: ٤٠ ـ ٤٢].

﴿. . قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٤٤].

(٤) الآخرة:

ولقد ثبتَت الدَّعوةُ إلى الإيمان بالآخرة في رسالة سُليمان بقولِه تعالى يذكر اليهود[1] وأتباعهم ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان: ﴿. . وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ . .﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٠٢] أي: لقد علمت اليهود الذين كانوا على عَهْدِ سليمان[2] من تعاليم سليمان، أو تعاليم التوراة[3] التي كانت أساس شريعة سليمان، أن من ترك كتاب الله واتَّبَعَ ما تتلوا الشياطين، فإنَّهُ لا خلاق له عند الله يوم القيامة، وعن ابن زيد قال: قد علمت يهود أن في كتاب الله في التوراة أن من اشترىٰ السِّحْرَ وترك دين الله، ما له في الآخرة من خلاق، فالنار مثواه ومأواه، وقيل قوله: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٠٢] ما له في الدار الآخرة حَظٌّ من الجنةِ[4]، أي: كانت اليهود في ملك سليمان تَعَلَّمُ ذلك من كتابهم ومن تعاليم رسولهم.

وبهذا نجدُ رسالَةَ سُليمان تشملُ الدعوةَ إلى الإيمان بالبَعْثِ والحساب والإيمان بالجنة والنار، وما يتبع الآخِرَةَ من تفاصيل ما يحدث فيها، مِمّا جاء به النبيّون أجمعون.

(٥) الابتلاء والفتنة:

وإنّ ما أُنزِلَ على المَلَكَيْن ببابل من تعليم السحر لهو ابتلاءٌ

---

(١) «روح المعاني» ١/ ٢٨٢.

(٢) «روح المعاني» ١/ ٢٨٣.

(٣) «روح المعاني» ١/ ٢٨٤.

(٤) «جامع البيان» ١/ ٣٧٠ و ٣٧١.

من اللّهِ تعالى للناس، فمن تعلّمَ وعَمِلَ به كَفَرَ، ومن تعلّم وتوقّىٰ عمله ثَبت على الإيمان، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٠٢][1] ولله تعالى أن يمتحنَ عبادَهُ بما شاء كما امتحن قومَ طالوت بالنَّهرِ[2]، وكما امتحن ثمود بالناقة، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨)﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآيتان: ٢٧ و ٢٨] وكما فتن قومَ موسى بالعِجْلِ: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠)﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٩٠] وقال تعالى لموسى: ﴿..فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ ..﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٨٥]، وكما فتن سليمان نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤)﴾ [٣٨ سورة الصافات/ الآية: ٣٤] ومنه قول سليمان: ﴿..هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ..﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٤٠].

وإنَّهُ لِمَنْ سُنَنِ الله تعالىٰ أن يبلوَ الناس: ﴿..بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٣٦] وإنَّهُ لَمِنَ المفروض على كلِّ مُسْلِم أن يُؤْمِنَ بأنَّ اللّهَ يبلو الناس في الدنيا، وأنَّهُ ابتلىٰ جميعَ الأُمَم السابقة، ولقد قال تعالى: ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآيات: ١ ـ ٣].

---

(١) عن ابن جُرَيْج أنَّ الفتنةَ في هذا الموضع معناها الاختبار والابتلاء. «جامع البيان» ١/ ٣٦٨.

(٢) «روح المعاني» ١/ ٢٧٩.

(٦) الجزاء:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٠٣] أي: لو أنَّهم آمنوا بالتوراة التي حَرَّمَت مزاولة السحر، واتَّقُوا المعاصي التي حُكِيَتْ عنهم، لأُثيبوا مثوبةً من عند الله خيراً ممّا شروا به أنفسهم، أي: إنَّ شيئاً قليلاً من ثوابِ الله تعالىٰ في الآخرة الدائمة، خير من ثواب كثير في الدّنْيا الفانية، فكيف وثواب الله تعالى كثير دائم[1]؟

(١) «روح المعاني» ١/ ٢٨٤.

المبحث الثامن عشر
إِلْيَاس

١ ـ ذكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٨٥] وقال: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ١٢٣ ـ ١٣٢].

٢ ـ نسبه وزمنه وتعريفه:

(١) قول المؤرِّخين من المسْلِمين:

عن ابن إسحاق أنَّ إلياسَ هو ابن يسى بن فِنْحَاص بن ألِعيزَار بن هارون أخي موسى[(١)]، وقال ابن قُتَيْبة: هو من سِبْطِ يوشع بن نون، بعثه الله إلى أهل بعلبك، وكانوا يعبدون صنماً يقال له: بعل، وملكهم اسمه: أحب، وامرأته: إزَبيل، وكان يسْتَخْلِفُها

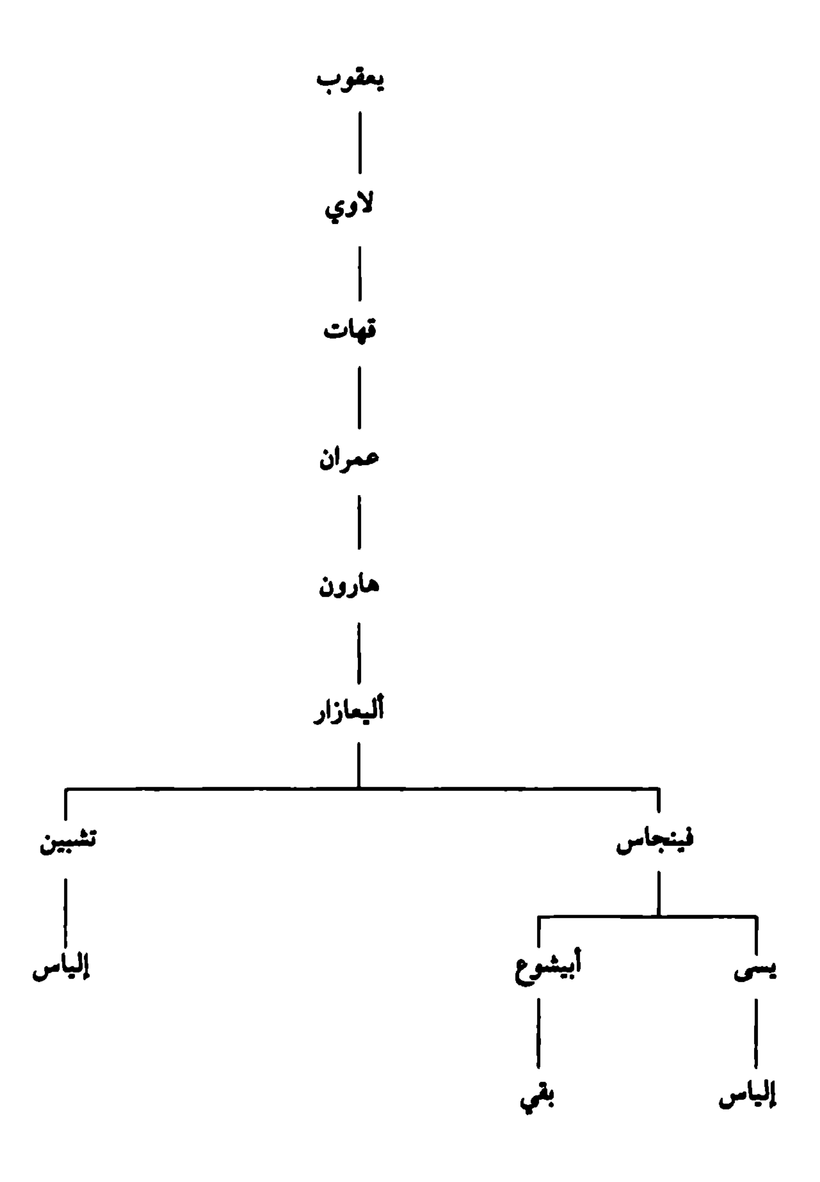
(١) «جامع البيان» ١/ ١٧٢، وراجع «نهاية الأرب» ١٤/ ٩.

على مُلْكِهِ إذا غاب، فتحكم بين الناس، وكانت قتالة الأنبياء قد قتلت منهم بَشراً، وهي بنت ملك صيدا، وعمّرت عمراً طويلاً، وتزوّجها سبعة من ملوك بني إسرائيل، وما ملك إلا وتقتلَه، وهي التي قَتَلَتْ يحيى بن زكريا[1]. وعن ابن سعد: إن إلياس هو ابن تَشْبِين بن أَلِعَازَر بن هَارُون بن عمْران بن قَاهَث بن لاوي بن يعقوب[2].

وهذه الأقوال مستقاةٌ من المصادر الإسرائيلية، غير أنَّنا لم نَجِدْ فيها أنَّ فنجاس (فنحاص) ولد ولداً يسمى يسى حسب قول ابن إسحاق، ولم نجد ولداً لأليعازار (ألعازر) يسمى تشبين، حسب قول ابن سعد، فقد ذكر ولد لاوي إلى فِينْجاس، وذرية فِينْجاس في سفر أخبار الأيام الأول في الإصحاح السادس، وجاء فيها أن فينجاس ولد أَبِيشُوع وأَبِيشُوع ولد بُقِّي (أخبار الأيام الأول ٦: ٤ و ٥) ويكون نسب إلياس حسب المصادر الثلاثة كما يلي، مع العلم بأنَّ إلياس لم يأتِ في المصدر اليهودي أنه من ولد إليعازار:

---

(١) «المعارف» ص ٢٣، ٢٤ ويلاحظ أن الفقرة الأخيرة تخالف الترتيب الزمني.
(٢) «الطبقات الكبرى» مجلد ١/ ٥٥.



ويلاحظ أنَّ ابن قتيبة أخرَجَ إلياس من نَسْلِ لاوي، وجعله من سِبْطِ يوشع بن نون، أي: من ولد أفرايم بن يوسف بن يعقوب، غير أنَّهُ ذكر ما يستفاد منه أنه هو نفس إِيلِيَّا الذي جاء ذكره في العهد القديم، أمّا ابن سعد فقد ذكر أنَّهُ ابن تَشْبِين، وفعل ذلك لأنَّ سفر الملوك سماه: إِيلِيًّا التِّشْبِي (الملوك الأول ٢١: ١٧).

٢ ـ قول المصادر الإسرائيلية:

ولا شكّ عندنا أنّ إلياس رسول الله هو نفس إِيلِيّا التِّشْبِي الذي جاء ذكره في كتب اليهود، وهو اسم ثان له، ولا يستغرب هذا، فإنّ طالوت مثلاً تسميّه اليهود: شاول، وعيسى تسمّيه النصارى: يسوع، وهكذا.

وذكرت كُتُب اليهودِ أنّ إِلْيَاس (إِيلِيّا) ظهر في عهد أَخْآب ملك إسرائيل، وأنّ هذا الملك هو الذي أدخل إلى إسرائيل عبادة بعل وعشتاروت(١)، وأنّ إلياس (إيليا) قام بمقاومة هذه العبادة مقاومة شديدة، ودعا بني إسرائيل إلى الرجوع إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنّ مقاومة إلياس لعبادة بعل هي من مميزات رسالة هذا الرسول، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٥].

أرسل إلياس في عهد أَخْآب بن عُمْرِي كما قدّمنا، وقد تولّى أَخْآب المُلْكَ سنة ٩١٨ ق.م.، وهو الملك السابع من ملوك إسرائيل الذي تولّوا ملك إسرائيل بعد وفاة سليمان سنة ٩٧٥ ق.م، وبعد انقسام مملكة سليمان إلى مملكتين حكم إحداهما ملوك يهوذا، وحكم الأخرى ملوك إسرائيل(٢).

---

(١) «مرشد الطالبين» ص ١٠٤.

(٢) ذكرت المصادر الإسرائيلية أنّ ملوك إسرائيل الذين تولّوا مُلْك إسرائيل بعد وفاة سُلَيْمان كانوا أشراراً، فأوّلهم بريعام بن نباط ملك ٢٢ سنة وكان شريراً، عمل عجلي ذهب، واحداً في بيت إيل، والآخر في دان، ومنع الشعب من الصعود إلى أورشليم للعبادة، والملك الثاني هو ناداب بن بريعام تولّى سنة ٩٥٤ ق.م.، وقد سار في طريق أبيه وفي خطيئته، وتولّى بعده بعشا بن أخيا سنة ـ

ملك أَخْآب على إسرائيل في السامرة التي بناها أبوه اثنتين وعشرين سنة، واتَّخَذَ إِيزَابل ابنه أَثْبَعَل ملك الصيدونيين زوجةً، وهي التي قالوا عنها أنها قتلت أنبياء الرب، وقد بنى مذبحاً للبعل في بيت البعل في السامرة (الملوك الأول ١٦: ٢٩ ـ ٣٣ و ١٨: ٤).

أما إلياس، فقد نسبت إليه اليهود أنه عمل معجزة أمام أرملة نزل عليها في صِرْفَة، فبارك لها في قليل من الدقيق والزيت فكثر كثرة عظيمة، قالوا: قال الرب إله إسرائيل أن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطراً على وجه الأرض. (الملوك الأول ١٧: ١٤) وقالوا: إنَّه كذلك أحيا ابن هذه المرأة بعد أنْ مات عند وجوده في ضيافتها. قالوا: فسمع الرب لصوت إِيلِيّا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. (ملوك الأول ١٧: ٢٢).

وذكروا أنّه في السنة الثالثة أرسل الله إِيلِيّا (إلياس) إلى أَخْآب في وقتٍ انقطعَ فيه المطر، وحَدَثَتْ فيه مجاعَةٌ شديدةٌ، فلما رأىٰ أَخْآب إِيلِيّا، قال له أَخْآب: أأنتَ هو مكدِّر إسرائيل؟ فقال له: لم أكدِّرْ إسرائيل، بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الربّ وبسيرك وراء البَعْلِيم، فالآن أرسل وٱجْمَعْ إليّ كلّ إسرائيل إلى جبل الكَرْمَل وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين، وأنبياء السَّوَاري أربع المئة، الذين يأكلون على مائدة إِيزَابل، فأرسل أَخْآب إلى جميع بني إسرائيل، وجمع

= ٩٥٣ ق.م.، وكان على دين بريعام كذلك، وسار في طريقه وخطيئته، وملك ابنه أيلة سنة ٩٣٠ ق.م.، وكان مثل أسلافه، فقتله عبده زمري وهو يسكر، وتولى بعده زمري ٩٢٩ ق.م.، وملك سبعة أيام وانتحر حرقاً، وتولى بعده عُمْرِي سنة ٩٢٩ ق.م. وسار كذلك في خطيئة بريعام، وكان أشر جميع الذي قبله، وتولى بعده ابنه أَخْآب الذي ظهر في زمنه إلياس. «مرشد الطالبين» ص ١٠٣ و ١٠٤.

الأنبياء إلى جبل الكَرْمَل[1]، وطلب إيليا أن يحضروا ثورَيْن، ويختار أنبياء البعل أحدهما، ويقطعوه ويضعوه على الحطب، ولا يوقدوا الحطب، ويأخذ هو الثور الآخر فيضعه كذلك على الحطب، وليدع كلٌ منهما إلهه، فالصادق منهما في عبادته يرسل إلهه ناراً على الحطب فيتقد الحطب، وتأكل النار تَقْدِمَتَهُ الّتي قدّمها قرباناً لإلههم.

ففعل ذلك أنبياء البعل، ووضعوا الثَّوْرَ تقدمةً على الحطب، وأخذوا يدعون البَعْل لينزل ناراً على التَّقْدِمَة لتأكلها، حتى يثبتوا لإِيلِيَّا أن إلههم هو الإله الحق، وظلّوا يدعون البَعْل منذ الصباح، وعند الظهر سخر منهم إيليا، وقال: ادعو بصوت عالٍ لأنّه إله، لعله مستغرق أو في خلوة، أو في سفر، أو لعله نائم فيتنبه، (الملوك الأول ١٨ : ٢٧) وطبيعي أنّ البعلَ لا يملك لهم خيراً ولا نفعاً.

أما إِيلِيَّا، فإنه تقدّم وقال: أيّها الرب إله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل، ليعلم اليوم أنك أنت الله في إسرائيل، وأني أنا عبدك، وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور، استجبني يا ربّ، استجبني ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله، وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعاً. فسقطت نار الرب، وأكلت المُحْرَقَة والحطب والحجارة والتراب ولَحَسَتِ المياهَ التي في القناة. فلما رأى جميعُ الشعب ذلك سقطوا على وجوههم، وقالوا: الربّ هو الله، الرب هو الله، فقال لهم إِيلِيَّا: امسكوا أنبياء البعل، ولا يفلت منهم رجل، فأمسكوهم، فنزل بهم إِيلِيَّا إلى نهر قِيشُون وذبحهم هناك (الملوك الأول ١٨ : ٣٦ ـ ٤٠).

ونحن لا نستبعد حدوث مثل هذا على يد إلياس، فإن القرآنَ

---

(١) الملوك الأول ١٨ : ١٧ ـ ٢٠.

الكريمَ يُؤيِّدُ حدوثَ القربان، ويعدّه الدين عقيدة من العقائد الإسلامية، فقد قال الله تعالى لخاتم النبيين عن اليهود: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٨٣ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ۝١٨٤﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان ١٨٣ و ١٨٤].

ونحن نرى أن تَقْدِمَةَ القربانِ على هذه الصورة، يشبه إلى حَدٍّ بعيدٍ ما ذكره الله في قصة ولدي آدم، وهو قوله تعالى: ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٢٧].

وذكرت اليهود أن الله تعالى بعث إلياس بعد ذلك إلى دمشق ليمسح حَزَائِيل ملكاً على أرام، ويَاهُو بن نِمْشِي ملكاً على إسرائيل، وأَلِيشَع بن شَافَاط من آبَل نبياً عوضاً عنه[١] وَأَلِيشَع هذا هو الْيَسَع رسول الله الذي جاء ذكره في القرآن، والذي سيأتي ذكره بعد.

وعاصر إلياس أَخَزْيَا بن أَخْآب الذي تولّى ملك إسرائيل سنة ٨٩٨ ق.م وحَكَمَها سنتين، وكان أَخَزْيَا شرِّيراً كذلك كما روت المصادر اليهودية، فقد سار في طريق أبيه وأُمّه[٢].

وظل إلياس يحارب عَبَدَة البَعْلِ بالوعظ، ويدعو قومَهُ إلى عبادة الله، ولما دنا أجَلُهُ ذهب إلى الأردن حيث انتهى أجلُهُ، وكان

---

(١) الملوك الأول ١٩: ١٥ و ١٦.

(٢) «مرشد الطالبين» ص ١٠٥.

ذلك قبل تولية يَهُورَام بن أَخْآب سنة ٨٩٦ ق.م، وقد ذكرتِ اليهودُ في قصة إلياس أوهاماً لا نرى داعياً إلى ذكرها في هذا الكتاب.

٣ ـ البعل الذي جاء إلياس للقضاء على عبادته:

أما البعل الذي أُرْسِلَ إلياس للقضاء على عبادته، فهو أقانيم الثالوث المكوّن من أنو Anu وإنكي Enky وإنليل Enlil الذي يسميه الساميون بعلا Bel.

ويعرف أنو عند عَبَدَتِهِ أنه إله السماء، ويسمُّونه: ملك الآلهة، وقالوا بأنّ أنو تزوَّجَ زوجة تعرف عند الساميين في عهد حمورابي باسم Antu، وأنهما أنجبا الآلهة عشتروت Ishtar التي ذكرناها من قبل.

أما الأقنوم الثاني في الثالوث المذكور، وهو إِنكي الذي كان يُسَمِّيه الأشوريون: إيا Ea، فقد كان يعتبر في الأصل ربّ الأرض التي يخرج من بَطْنِها الماء، فهو بِنَوْعٍ خاصٍّ إله المياه العظيمة، والمستنقعات والبطائح التي يحدثها المدّ في الجنوب، حيث تقوم عاصمة إريدو Eridu، وهي من أقدم المدن البابلية، وكان يعتبر أقنوم الابن، أي: ابن آنو.

وقد عفى الزمان على الأقنومين آنو وإنكي خاصة بسقوط الدولة البابلية سنة ٥٣٩ ق.م. وبقيت عبادة بعل الذي كان في الأصل رب الهواء أو الريح، وكان يلقب (بالجبل العظيم)، وفي ذلك إشارة إلى صلته بالرياح أو الهواء الأعلى، وقد انتشرت عبادته في سورية وفي البلاد التي تلي سورية غرباً، وكان لبعل في اعتقادهم زوجات كثيرات، وكانت كبرى زوجاته تسمى نن ـ ليل Nen-Lil، ويطلق عليها اسم (الأم العظمى)[١].

---

(١) «تاريخ العالم» مجلد ١/ ٦١٢ و ٦١٣.

٤ ـ العقائد في رسالة إلياس:

ومع قلّةِ عدد الآيات التي أنزلها الله في إلياس، فإنّ فيها ما يمكن الاستدلال به على رسالته، وما اشتملت عليه من العقائد الأساسية التي جاء بها سائر النبيين.

(١) الرسالة والمعجزة:

وما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات / الآيتان: ١٢٣ و ١٢٤] يفهم منه أن إلياس لا بُدّ أنّهُ أَعْلَم قومَهُ بما ذكره الله تعالى من أنّهُ من المُرْسَلِين، وأنّ الله تعالى يرسلُ رسلَهُ للناس من جنسهم ليبيّنوا لهم سبيلَ الخير وطريقَ الرشاد، ولم تَكُنْ هذه العقيدة مستغربة في بني إسرائيل في ذلك الزمان، وكانوا يكذّبون الرسولَ المرْسَلَ إليهم لمجرَّدِ العناد والكبر، وتغلب الأوهامُ على عقولهم، وتسلّطها على أذهانهم، ولقد كان منهم من يُؤمِنُ بالرّسالةِ نَفْسِها، خاصّةً أن بني إسرائيل كان الله يرْسِلُ إليهم وقتئذٍ الرُسُلَ مُتَتابعين متواترين.

وإنْ صَحّ ما جاء في رواية اليهودِ أنَّ إلياس أتاهُمْ بمعجزةِ القربان الذي تأكله النار، فإنّ رسالتَهُ تكونُ قد شملتْ وجوبَ الإيمان بالمعجزات التي تأتي على يد الرسل من الله جَلّ شأنُهُ، لإثبات رسالَتِهِم، ولتحدّي المارقين عن الدين، ولبيانِ قُدْرَةِ اللّهِ وعظمته وإبداعه، وقدْرتِهِ بِصِفَةٍ خاصّةٍ على أن يهلك المكذّبين بالدّين ويخزيهم في الحياة الدنيا.

(٢) الربوبية والوحدانية:

وقد شملتْ رسالةُ إلياس الدعوةَ إلى الإيمان بأنّ اللّهَ رَبُّ كُلّ شيءٍ، وأنّه لا إله إلا هو، لقوله لقومه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ

ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيتان: ١٢٥ و ١٢٦] أي: أتعبدون بعلاً الذي لا يستطيع أن يخلق شيئاً، وتتركون عبادة أحسن من قيل له: خالق؟! وهو الله معبودكم أيها الناس، الذي يستحقّ عليكم العبادة، ربّكم الذي خلقكم، وربّ آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئاً، ولا يضرّ ولا ينفع[1]، فالله هو الخالِقُ الوحيدُ ولا إله إلا هو، فليس يشاركه في خلقه وملكه بعل الذي زعمتم أنه ربكم.

(٣) الآخرة:

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [٢٧ سورة الصافات/ الآيتان: ١٢٧ و ١٢٨] ولا شكّ عندنا أنّ ما قاله الله تعالى من أنهم ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٧] بسبب تكذيبهم الرّسول، وعدم الاستماع له، قد بَيّنه إلياس لقومِهِ، وأنّه حذَّرَهُم من عذاب الآخرة، إذا هم أصرّوا على تكذيبهم رسالته، خاصّةً أنّنا ما وجدنا من رسولٍ إلا قد حذَّرَ قومَه من الآخرة. وليس بمعقول لدينا أن لا يذكر إلياس قومه بما جاء به النبيون من قبله من كل ما يتّصل باليوم الآخر من بَعْثٍ وحسابٍ وجنةٍ ونارٍ، بما لا بُدَّ أن يفسّر به لفظ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٧].

إن لفظ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٧] في كتاب الله يعني البعث والعذاب في نار جهنم، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [٣٠ سورة الروم/

---

(١) «جامع البيان» ٢٣/ ٦١.

الآيـات: ١٤ ـ ١٦] وقـولـه: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [٣٦ سـورة يـس/ الآيـات: ٢٩ ـ ٣٢] وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [٣٦ سورة يس/ الآيات: ٥١ ـ ٥٦] إلى آخر الآيات الكريمة، وقال جـل شـأنـه: ﴿. . إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآيتان: ٣٧ و ٣٨].

وهنا نستطيع أن ندركَ تماماً معنى لفظ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٨] في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٧] والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٨] أي الذين هم من أصحاب النعيم.

والآيـة الـكـريـمـة: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [٣٧ سـورة الصافات/ الآية: ١٢٧] يفهم منها كذلك أنَّ الكفارَ، كذَّبوا إلياس في أنهم مخضَرُون، فذكَرَ اللّهُ وأكّدَ القولَ بأنّهم ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٧]، وبذلك يكون إلياس قد حوت رسالَتُهُ عقيدةَ الآخِرَةِ وكلّ ما يتّصِل من عقائد قيام الساعة والبعث والحساب والجنة والنار والخلود فيهما.

(٤) التقوى:

وإن لفظ ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٤] الذي جاء في رسالة يونس: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٤] لفظ شامل جامع لجميع العقائد التي ينتظر أن يكون إلياس قد دعا قومه إلى الإيمان بها، من الإيمان بالله ووحدانيته وخشيته، وإطاعة أوامره والتوبة والفتنة والذنب والجزاء وغيرها. ولهذا جاء هذا اللفظ أو معناه في رسالة النبيّين، كما قدّمنا من قبلُ، مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٠٥ و ١٠٦].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٢٣ و ١٢٤].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٤١ و ١٤٢].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٦٠ و ١٦١].

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [٢٦ الشعراء/ الآيتان: ١٧٦ و ١٧٧].

ولقد قال الله تعالى لخاتم النبيين: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيتان: ٨٦ و ٨٧].

المبحث التاسع عشر
ٱلْيَسَع

١ ـ ذكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٤٨] وقال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٨٦].

٢ ـ نسبه وزمنه وتعريفه:

(١) قول المؤرّخين المسلمين:

ذكر ابن سعد أنَّ ٱلْيَسَعَ جاء بعد إلياس، وأنه ٱلْيَسع بن عزي بن نشوتلخ بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق[1].

وقيل: كانَ بعد إلياس ٱلْيَسع، فمكَثَ ما شاءَ اللّٰهُ أنْ يَمْكُثَ يدعو إلى الله، مسْتَمْسِكاً بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل إليه، وعن محمد بن إسحاق: هو ٱليسع بن أخطوب، وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في حرف الياء في «تاريخه»: ٱلْيَسع، وهو الأسباط بن عدي بن شوتيم بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ويقال: هو ابن عم إلياس النبي، ويقال: كان

(١) «الطبقات الكبرى» مجلد ١/ ٥٥.

مستخفياً معه بجبل قاسيون من ملك بعلبك، ثم ذهب معه إليها، فلما رُفع إلياس خَلَفهُ ٱلْيَسع في قومه، ونَبّاه الله بعده، ذكر ذلك عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن مُنَبّه، قال: وقال غيره: وكان ببانياس[1]. وقيل: ٱليسع هو ابن أخطوب بن الصخور[2].

وقال بعضهم: إن ٱلْيَسع كان موجوداً قبل الملك شاول (طالوت).

يذكر كل من الطبري والثعلبي آراء بعض مَن ذهبوا إلى أنَّ ٱلْيَسَع هو الخَضِر، بينما يذكر خوندمير الرأي القائل بأن ٱلْيَسع هو ذو الكفل، مع تقريره بأنَّهُ من نَسْل أفرايم بن يوسف، هذا مع قول آخرين بأنَّ ٱلْيَسع خلفه ذو الكفل[3].

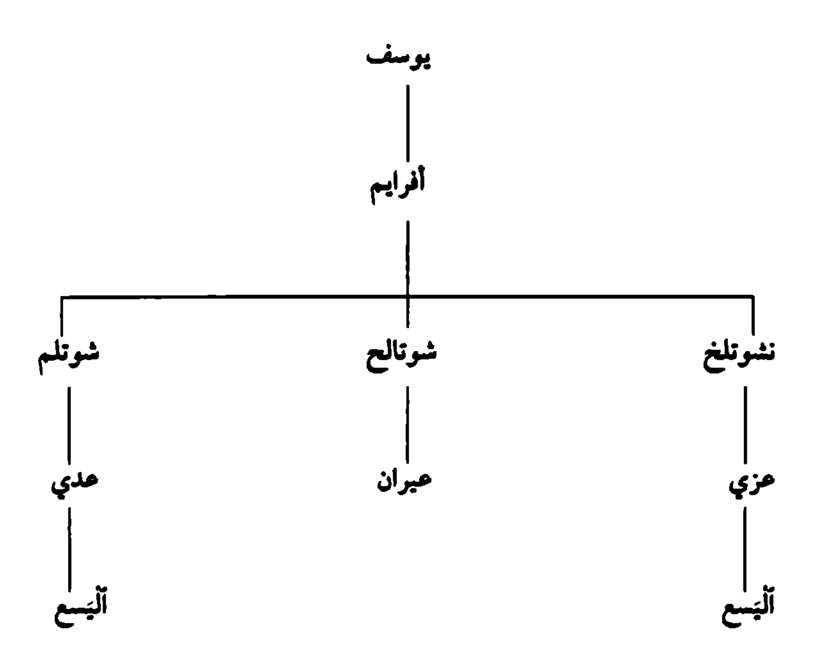
والرأي السائد بين المؤرّخين المسْلِمِين أنَّ ٱلْيَسَع من نَسْل أفرايم بن يوسف، مع اختلافٍ قد يكون سَبَبهُ تصحيفٌ في اسم شُوتَالَح بن يوسف الذي جاء ذكره في كتب اليهود (عدد ٢٦: ٣٥ و ٣٦)، ويلاحظ أنَّ كُتُبَ اليهود ذكرت أن شُوتَالَح ولد عِيرَان، ولم تذكر اسم ٱلْيَسع من نسله، ويلاحظ كذلك أنه اختلف في والد ٱلْيَسَع، هل هو (عزي) أو (عدي)، على هذا النحو:

---

(١) «البداية والنهاية» ٢/ ٤.

(٢) «جامع البيان» ج ٧.

(٣) «دائرة المعارف الإسلامية» مجلد ٢/ ٦٠٩ و ٦١٠.



ونرى أنّ النسب الذي ذكره المؤرّخون المسلمون يجعل آلْيَسع في زمن يَسْبقُ الزّمَن الذي حدّدَته كتبُ اليهودِ بمراحلَ طويلة، إذْ جَعَلُوهُ في الجِيلِ الثالث بعد أفرايم، أي: في جيلٍ يقع في مستوى الجيل الذي جاء فيه موسى وهارون تقريباً، وهذا في رأينا يخْتَلِفُ عمّا نحن مضْطَرُّون للأخْذِ به حسبَ ما جاء في تاريخ اليهودِ، وفي حدودٍ معيَّنةٍ.

(٢) قول المصادر اليهودية والنصرانية:

وترىٰ المصادِرُ الإسرائيلية والنصرانية أنّ اللّهَ أمر إلْياس أنْ يَمْسح ألِيشَع (آلْيَسَع) بن شَافَاط نبياً عوضاً عنه، كما قدّمنا، وكان ذلك في

عهد أَخْآب بن عِمْري، فذهب إليه ومَسَحَه، وعاصر ٱلْيَسَع كذلك أَخزَيَا بن أَخْآب، وكان أَخزَيَا قد أزال تمثال البعْل الذي عَمِلَهُ أبوه، إلاّ أنّهُ لصق بخطايا يَرُبْعَام بن نَابَاط[1] أول ملوك إسرائيل، وعاصر ٱلْيَسَع كذلك من ملوك إسرائيل يَهُورَام بن أَخْآب (تولّىٰ سنة ٨٩٦ ق.م) ويَاهُو بن تمشي (تولى سنة ٨٨٤ ق. م.) ويَهُوأَحَاز بن يَاهُو (تولى سنة ٨٥٦ ق. م.) ويُوآش ابن يَهُوأَحَاز (تولّىٰ سنة ٨٤٠ ق.م)، وكانوا جميعاً أشراراً كما ذكرت المصادر المذكورة، وكانوا على مِلّة يَرُبْعَام[2].

وماتَ ٱلْيَسع في عهد يُوآش، الذي ظلّ يحْكُمُ إسرائيل ستة عشر سنة، وذكروا أنّ ٱلْيَسَعَ قبل مَوْتِهِ بشّرَ يُوآش بالانتصار على ملك أَرَام، وضرب أَرَام ثلاث مرات، وكانَ ٱلْيَسَع طوال حياتِهِ يدْعُو إلى تَرْكِ عبادة البَعْل، ويدعو إلى عِبَادَةِ اللّهِ، إلا أنّ المرْتَفَعات لم تنزعْ، بل كان الشعب لا يزالون يذْبَحُون ويوقدون على المرتفعات[3].

ونسبَتِ المصادِرُ المذكورة لِلْيَسَع معجزاتٍ كثيرةً، منها إكثار دَهْنِهِ من زيت كانت عند امرأة من نساء بني الأنبياء. فقيرة مات زوجها، فبارك الزيتَ، ففاض حتى باعَتْ منه ماسدَّدَت به ديونَ زَوْجها التي تركها بعد موتِهِ، ومنها أنّهُ دعا لامرأة شُونَمِيّة كانت لا تحمل فحملت، ووضعت طفلاً، فمات هذا الطفل، فدعا له ألْيَسع فرُدَّتْ إليه الحياة، ومنها أنّهُ بارك في عشرين رغيفاً من شعير وسويق، فأكل منه مئة رجل وفاض عنهم، ومنها شفاؤه لأبْرَص، ودعاؤه لرجل معافىٰ يصاب

---

(١) الملوك الثاني ٣: ٢، ٣.

(٢) «مرشد الطالبين» ص ١٠٥ و ١٠٦.

(٣) الملوك الثاني (١٣: ١٤ ـ ٢٠) و (١٤: ٤).

بالبَرَصِ فأصيب بهذا الدّاء، بل لقد ذكروا له معجزةً حدثت منه بعد موته، فأدعوا أنه وضعت جثة في قبْرِهِ، فما مسّت الجثة عظامَ ٱلْيَسَع حتى عاش الرجلُ وقام على رجْلَيْهِ.

وذكروا أنّهُ كان يُوحىٰ إليه، فعندما تجهَّزَ ملك موآب لحرب إسرائيل ويهوذا وأدوم، دعا هؤلاء ٱلْيَسَع ليسْأَلُوه العونَ والنّصيحة، فقال ٱلْيَسَع لملك إسرائيل: مالي ولك، اذهب إلى أنبياء أبيك وإلى أنبياء أمك. . (الملوك الثاني ٣: ١٣) أي: من عُبّاد البعل والأصنام، ثم ذكرت اليهود بأنه أخبرهم بأنَّ الله أوْحى إليه بأنهم سينتصرون على الموآبين، وأنه قال: هكذا قال الرب، اجعلوا هذا الوادي جباباً جباباً، لأنّهُ هكذا قال الرب، لا ترون ريحاً ولا ترون مطراً، وهذا الوادي يمتلىء ماءً، فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم، وذلك يسير في عيني الرب، فيدفع موآب إلى أيديكم، فتضربون كلَّ مدينة محصّنة، وكل مدينة مختارة، وتقطعون كل شجرة طيبة، وتطمون جميع عيون الماء وتسدّدون كل حفلة جيدة بالحجارة (الملوك الثاني ٣: ١٦ ـ ١٩) وذكرت كتب اليهود أخباراً أخرى مطولة مشوبة بأوهام لم نر داعياً إلى ذكرها في هذا الكتاب. وإلى غير ذلك من المعجزات التي نسبوها إليه[١].

٣ ـ العقائد في رسالته:

وما دام ٱلْيَسَع قد جاءَ عَقِب إِلْياس، فلا بُدَّ أنّه سارَ على منْهَجِهِ، وأنْ تكونَ رسالتُهُ قد تضمّنَتِ العقائد الّتي دَعا إلياس قومَهُ إلى الإيمان بها خصوصاً أنّهُ من أنبياءِ بني إسرائيل المُتعَاقِبين الّذِين أُرْسِلوا

(١) راجع كتاب سفر الملوك الثاني: ٤ ـ ١٣.

مذكرين بشريعة موسىٰ، الّتِي لا نستطيع أن نقولَ: إِنّها أُهْمِلَتْ إهمالاً تامّاً في جميع أفرادِ أُمَمِ الأسباط، ولا بُدّ أنْ يكونَ ٱلْيَسَع ذكّرَ قومَهُ بوجوبِ الرجوع إلى كتابِ مُوسى وتعاليمه والإيمان بما جاءت به العقائد الصحيحة التي يسلِّم بها المؤمنون، ولا بُدّ أن يكونَ ٱلْيَسَع قد حذّرَهم من عِقاب الآخرة، وذكّرهم بما ذَكرَهُ المرْسَلون من أهوال الموقف، وأخْبَرَهُم بأنّ المتّقِين أعدّ اللّهُ لهم الجنّةَ خالدين فيها، وأنّ العاصين لهم النار خالدين فيها.

وطبيعي أنّ أساسَ دعوة ٱلْيَسَع كانَتْ إلى تَرْكِ عبادة الأوثان والأصنام والتماثيل، ولا شَكّ أنّهُ دعاهم إلى الإيمان بالله وتوحيده، وأنّهُ جاء بالمعجزات التي تُثبتُ صِدْقَ رسالته وصدْق رسالة جميع الرسل، وأنه دعاهم إلى الإيمان بالوحي، وبأنّ ما يخبرهم به إنما هو من عند الله، وأنّ الله يُوحى إليه بما يريدُ منهم أن يفعلوه ويؤمنوا به.

المبحث العشرون
يُونُس

١ ـ ذكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)﴾ [سورة الصافات/ الآيات: ١٣٩ ـ ١٤٨].

وقال: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٨٧ و ٨٨].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٩٨].

وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(٨٧) ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨٦ و ٨٧] وقال: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] إلى آخر الآية الكريمة.

٢ ـ نسبه وزمنه وتعريفه:

(١) قول المؤرِّخين المسلِمين:

وأَجْمَعَ المؤرِّخون المسْلِمون أنّ يونس هو ابن متّىٰ، وقال ابن قتيبة: إنّ الله أرْسَلَه من بَعْدِ إلياس إلى أهلِ نينوىٰ[١]، وقال ابن سعد: هو ابن مَتّى من بني يعقوب[٢]، وقيل: التقمه الحوتُ حتى مَرّ به على الأيلة، ثم انطلقَ به حتى مَرَّ به عَلى دَجْلة، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوَىٰ مِن أرض المَوْصِل، وكانت رسالته بعدما نَبَذَهُ الحوت[٣].

(٢) قول المصادر اليهودية والنصرانية:

ويونس تُسَمِّيه المصادرُ اليهودية يُونَان بن أَمَتَّاي، ويقولون: إنّه النبيّ الّذي من جَتّ حَافِر (الملوك الثاني ١٤ : ٢٥) وجاء ذِكْرُهُ في كتبهم في عهد يَرُبْعَام بن يُوآش، الذي تولّىٰ علىٰ إسرائيل سنة ٨٢٣ ق.م. بعد أبيه (الذي مات في زمنه ٱلْيَسَع)، وظل في حكمه ٤١ سنة، وذكروا أن يَرُبْعَام هذا كان شرّيراً كأسلافه، وقيل: إنّ هذا الملك استردّ دمشقَ وحماة حسب كلام الربّ الذي تكلّم عن يَدِ عَبْدِهِ يونان[٤].

---

(١) «المعارف» ص ٢٤، ونينوى مدينة على الدجلة، كانت قصبة آشور، وموقعها بالقرب من الموصل، وهي الآن خراب.

(٢) «الطبقات الكبرى» مجلد ١/ ٥٥.

(٣) «جامع البيان» ٧/ ١٧٣، و ٣٧/ ٦٥.

(٤) الملوك الثاني ١٤ : ١٧ ـ ٢٥، «مرشد الطالبين» ص ١٠٦.

ويمكنُ تلخيصُ رسالة يونس وقصّته كما جاءتْ في العهد القديم على هذا النحو: أَوْحَىٰ اللّهُ إلى يونس أن يذهب إلى نِينَوَىٰ ليهديهم، حيث إنّ معاصيهم وشرورهم قد تكاثَرت، فذهب يونس ليهرب إلى تَرْشِيش، فنزل يافا، وركب سفينة كانت متوجّهة إلى تَرْشِيش فراراً من الله (!..) فأَرسَلَ اللّهُ ريحاً شديدةً إلى البَحْرِ فهاج، وأوشكَتِ المرْكَبُ على الغرق، وكان يونس نائماً، فجاء إليه رئيس النوتية وطلب منه أن يدعو اللّهَ لينقذهم واقترح بعضهم عمل قرعة، فاقْتَرَعُوا ووَقَعَتِ القرعة على يونس، وظنوا أن هذه المصيبة التي حلّت بهم هي بسبب يونس، فسألوه عن حاله، فأخبرهم أنه عبراني، وأنّهُ خائف من الربّ إله السماء الذي صنع البحر والبر، فتشاءموا منه، وسألوه ماذا يصنعون ليسكن البحر؛ فقال لهم: خذوني واطرحوني في البحر، فيسكن البحر عنكم، لأنني عالِمٌ أنّه بسببي هذا النوء العظيم عليكم، وطرحوا يونس في البحر، فسكن البحر، وأرسل الله حوتاً، فابتلع يونُسَ، فمكث في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليالي.

فصلّى يونان إلى الربّ إلهه من جوف الحوت، ودعاه بدعاء مذكورٍ في سفر يونان، فأمر اللّهُ الحوتَ فقَذَفَهُ في البرّ.

وأوحىٰ اللّهُ إلى يونس مرّةً أخرىٰ أن يذهب إلى نِينَوَىٰ، ويبلغها الرسالة التي يوحيها إليه، وعند بدْءِ دخولِهِ المدينة، قال: بعد أربعين يوماً تنقلب نِينَوَىٰ، فآمَن أهْل نِينَوَىٰ باللّهِ وصاموا جميعاً، وآمن مَلِكُ نِينَوَىٰ، وقام عن كرسيِّهِ وخَلَعَ رداءَه عنه، وتغطّى بمسح كسائر أهل نِينَوَىٰ، وجلس على الرماد، وأمر الملك وعظماء مملكته، أن يصرخ جميع الناس إلى الله بشدّةٍ، ويرجعوا كلّ واحد عن طريقِهِ الرديئة، وعن الظلم الذي في أيديهم، لعلّ الله يعفو عنهم ويرفع عنهم غضبه،

فرضي الله عنهم..[1].

٣ ـ العقائد في رسالة يونس:

ذَكَرَ اللّهُ في القرآن الكريم أنَّ يونُسَ رسوله، وأنّه أَوْحَىٰ إليه كما جاء في آية سورة النساء: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣]. وأنه نادى بالتوحيد ربه قائلاً: ﴿..لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ..﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٨٧] وتدلّ قصّته في كتاب الله على أنّه تابَ عن ذَنْبه وأنّه استغفر ربّه، وأنّ الله سمع له وتاب عليه، مما يدلّ على وجود عقائد الذنب والتوبة والاستغفار في رسالته.

واستقرار يونس في بطن الحوت، ثم خروجه من بطن الحوت سالماً يدلُّ على وجودِ عقيدة المعجزة في رسالته، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [٧٣ سورة الصافات/ الآية: ١٣٩] فيه تصريح بوجوبِ الإيمان برسالة الرسل، وطبعي أنّ يونس حكىٰ لقومه ما أخبرنا به الله من أنّهُ سَبَّحَ ربّه وهو في جَوْفِ الحوت، وأنّه لولا ذلك لَلَبِثَ في بطْنِهِ إلى يوم يُبْعَثون، وهو ما يدلُّ على أنّهُ حمل في رسالته عقيدة البعث والحساب واليوم الآخر، وإلقاء يونس في الماء والتقام الحوت له يشير إلى عقيدة الابتلاء والامتحان والفتنة، وإنبات شجرة اليقطين يشير إلى قدْرةِ اللّهِ وخلقه.

---

(١) سفر يونان ١ ـ ٣، ويلاحظ أنّه جاء في القصة بعض تعبيرات حذفناها في تلخيصنا كوصف الله بالغيظ والندم، وأخباراً أخرى لا أهمية لها عندنا، ولا تتّفق مع ما جاء في كتاب الله، ولم نجد ضرورة إلى ذكر شيء مما ذكر في الإصحاح الرابع من السفر المذكور.

وذَكَر اللّهُ أنّ قَوْمَ يونس آمنوا، أي: آمنوا بوحدانِيّةِ الله، وبجميع العقائد التي ذكرناها، بما فيها قدرة الله على تعذيب العاصين وإهلاكهم، كما أهلك أمماً قبلهم عصوا ربَّهُم، وأنّه لا يخزي المؤمنين، وهو قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ..﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٩٨].

وقرب الزمن نسبياً بين رسل بني إسرائيل يشعرنا بأنّ الدعوة كانت وكأنّها جاءَتْ في زمنٍ متّصِلِ الطرفَيْن، خاصّةً أنّها جاءَتْ في بقعة محدّدة من الأرض، وبين قوم يمثّلون ذريّة رَجُلٍ واحدٍ هو إسرائيل، ويتبعون كتاباً واحداً هو التوراة، كتاب موسى، وأنّ العقائد الصحيحة كانت تتردّد بينهم بوساطة الرسل والمؤمنين بهم، ونعتقد أنّ إرسال رسل بني إسرائيل على التواتر، كان هدفه الأوّل تثبيت إيمان المؤمنين، والمحافظة على العقائد الصحيحة التي توارثوها عن الصالحين منهم، ومحاولة تقوية ناحية الإيمان في قلوب مزعزعي الإيمان والمتردّدين، والضرب على أيدي أئمة الكفر والإلحاد والمارقين الذي لا يُرجى إصلاحهم والذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.

المبحث الحادي والعشرون
زكريا ويحيى

١ ـ ذكرهما في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيتان: ٨٩ و ٩٠].

وقال: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا

يَشَآءُ ﴿٤٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيات: ٣٥ ـ ٤١].

وقال: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيات: ٢ ـ ١٥].

٢ ـ نسب زكريا وزمنه:

(١) نسبه وزمنه عند الكتّاب المسلمين:

قيل: إن زكريا هو زكريا بن أزن بن بركيا[1]، وقيل: هو ابن أزن، وكان هو وعمران بن ماتان بن يعاقيم من ولد داود النبي من سبط يهوذا بن يعقوب، وكانا في زمان واحدٍ، فتزوّج زكريا إيساع ابنة

(١) «جامع البيان» ٧/ ١٧٢.

عمران أختاً لمريم ابنة عمران، واسم أم مريم حَنّة، وكان يحيىٰ وعيسىٰ ابني خالة، وكان زكريا نجّاراً، وأشاعَتِ اليهودُ أنّه ارْتكَبَ مع مريم الفاحِشَةَ، وقتلوه في جرف شجرةٍ، قطعوها وقطعوه معها[1]. وقيل: هو ابن بسوي من بني يهوذا بن يعقوب[2].

وقيل: إن زكريا هو أبو يحيىٰ، وهو ابن بَرَخِيَّا من ولد يهوذا، وقيل: من ولد سُلَيْمان، أرسله اللّهُ تعالىٰ إلىٰ بني إسرائيل بعد أن عادوا من أسْرِ بابل وانغمسوا في المعاصي، وكانت زوجته إيشاع بنت فاقود أخت حَنة زوجة عمران من ماثان[3].

وقيل: إن زوجة زكريا اسمها إيشاع، وأنه زوج خالة مريم[4] وليس زوج أختها، كما قال ابن قتيبة.

(٢) زكريا المذكور في العهد القديم:

ونرىٰ أنّ نذكُرَ شيئاً عن زكريّا المذكور في العهد القديم لنفرّق بينه وبين زكريا الذي ذَكَرَهُ اللّهُ تعالىٰ في كتابه، ولقد دَعانا إلى هذا ما رأيناه من خلط بعض الكتّاب بينهما، فالقول بأن زكريا أرسله الله إلى بني إسرائيل بعد أن عادوا من أسْرِ بابل، وأنّه ابن برخيا، يوجّهُ الفِكْر إلى زَكَرِيّا ابن بَرَخِيّا بن عِدّو (زكريا ١: ١) الذي نزح مع جَدّه[5] من

---

(١) «المعارف» ص ٢٤، راجع «روح المعاني» ١/ ٥٦١.

(٢) «الطبقات الكبرى» مجلد ١/ ٥٥.

(٣) قول قال به أحد المؤلّفين في قِصص الأنبياء.

(٤) «التسهيل» ١/ ١٠٥ و ٣/ ٣٢.

(٥) ذكر في موضع آخر من كتاب اليهود أن عِدّو هو أبو زكريا. (عزرا ٥: ١ و ١٦؛ ١١).

بابل إلى أورشليم مع زَرُبَّابل بن شَأَلْتِيئِيل[1] وعَزْرَا[2] وغيرهم من زعماء اليهود (نحميا ١٢: ١ و ٤ و ١٦).

فزكريا الذي جاء ذِكْرُهُ في العَهْدِ القديم، قالت اليهود: إنَّهُ أُرْسِلَ إلى قومِهِ سنة ٥٢٠ قبل الميلاد، بعد انقراضِ مَمْلَكَةِ يهوذا سنة ٧٢١ ق.م. وبعد انقراض مملكة إسرائيل سنة ٥٨٨ ق.م. على يَدِ نَبُوخُذْناصِر (بُخْتُنَصَّر) ملك بابل الذي ضرب أورشليم وأحرقها ودمَّرَها بما فيها الهَيْكل، وبعد أَسْرِهِ اليهود وترحيلهم إلى بابل، بعد أن قتل منهم مَنْ قَتَلَ وأَحْرَقَ منهم مَنْ أَحْرَقَ[3].

ولم تَعُدِ اليهودُ إلى أورشليم إلاّ في عهد قُورش ملك بابل سنة ٥٣٨ ق.م، ولم يتمكّنُوا من إعادة بناء هيكلهم إلا في عهد دارا الأوّل سنة ٥١٩ ق.م، وقد ذكرتِ اليهودُ أنَّ زكريا هذا قد أَرْسَلَهُ اللَّهُ إلى بَنِي إسرائيل لأنّهم ضَلُّوا وانحرفوا عن تَعالِيم أنبيائهم.

فَلَيْسَ من المَعْقُول أَنْ يكونَ زكريا بن برخيا، الذي عَاصَرَ مريم هو زكريا الذي ذَكَرَتِ اليهودُ أنّه أُرْسِلَ لهداية قومِهِ قبل ميلاد المسيح بعشرين وخمس مئة سنة.

---

(١) ذكر في موضع آخر أن زَرُبَّابل بن فدايا وابن لشلتائيل (أخبار الأيام ٣: ٤٩).

(٢) عزرا هو عزير الذي جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [٩ سورة التوبة/ الآيتان: ٣٠ و ٣١].

(٣) وفي هذه الحادثة يقول جَلّ شأنه: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآيتان: ٤ و ٥].

(٣) زكريا المذكور في كتب النصارى:

جاء في إنجيل لوقا[١] ما يلي: كان في أيام هيرودُس ملك اليهودية كاهِنٌ اسمه زَكَرِيّا من فرقة أَبِيّا، وامرأتُهُ من بنات هارون، واسمها أَلِيصَابَات، وكان كلاهما بارّين أمام الله، سالِكِين في جميع وصايا الربّ وأحكامه بلا لوم، ولو يكن لهما وَلَدٌ، إذ كانت أَلِيصَابات عاقِراً، وكان كِلاهُما متقدّمين في أيامهما. (لوقا ١: ٥ ـ ٧).

ثم ذكروا أن زكريا دخل الهيكل، فظهر له ملاك الربّ، وبشَّرَهُ بأنّ امرأته ستَلِدُ له ولداً تسمّيه يُوحَنّا، وأن هذا المولود سوف يهدي كثيرين من بني إسرائيل إلى الله، فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدّمة في أيامها؟! فأجابَ الملاك وقال له: أنا جِبريلُ الواقِفُ قُدّام الله، وأُرسِلْتُ لأكلِّمَك وأبشِّرَكَ بهذا، وها أنْتَ تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلّم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا، لأنك لم تصدِّقْ كلامي الذي سيتم في وقته (لوقا ١: ١٨ ـ ٢٠).

وعلى هذا يكون زكريا قد أرسل إلى بني إسرائيل قبل ولادة المسيح وبعد إلياس واَلْيَسع بنحو سبع مئة سنة حسب التواريخ التي ذكرناها من قبل، وربّما يكون قد تخلّلت هذا الزمن رسالات لم يذكرها الله تعالى[٢].

---

(١) ذكرت المصادر النصرانية أن إنجيل لوقا كُتِبَ سنة ٦٣ ميلادية في بلاد الروم، وأنّ لوقا لم يكن من الحواريين الاثني عشر «مرشد الطالبين» ص ٢٢٣ و ٢٢٤، وهنا الإنجيل عبارة عن خطاب أرسله لوقا إلى صديقه ثَاوُفِيلُس، كما ذَكَرَ في مقدمته.

(٢) قال تعالى: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٤] وقال: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك...﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٧٨].

(٤) القرآن حدّد زمن زكريا:

ولقد حدّد لنا القرآن الكريم الزمن الذي وجد فيه زكريا، فقد عاصر مريمِ أمّ المسيح، وكان كفيلها، قال تعالى: ﴿..وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٧] فكانت رسالَتُه بذلك قبيل ولادة عيسى ابن مريم.

٣ ـ نسبُ يحيىٰ وزمنُهُ:

ويحيى هو ابن زكريا، وكان معاصِراً لعيسى بن مريم كمَا يدلُّ على ذلك سياق الآيات الكريمة، إذ أنه أثناء كفالة زكريا لمريم سأل الله الولد: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٩].

وذكرت النصارى خبر ولادته في إنجيل لوقا كما قَدّمنا، وقالوا: إنه بعد أن بشر جبرائيل زكريا بيحيىٰ الذي يسمُّونه يوحنا: .. حبلت أليصابات امرأتهُ، وأخفت نَفْسَها خمسة أشهر قائلةً: هكذا قد فعل بي الربّ في الأيام التي فيها نَظَرَ إليّ لينزع عاري بين الناس (لوقا ١: ٢٤ و ٢٥).

وذكروا أنّ يحيىٰ قابلَ المسيح عند الأردن، فقد ذهب المسيح إلى هذا المكان ليعتمد من يوحنا، فقالوا: حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه (متى ٣: ١٣). وقالوا: وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا في الأردن (مرقص ١: ٩)[١] ويقال: إن ولادة يحيىٰ كانت قبل ولادة المسيح

---

(١) وذكر لوقا أنّ يوحنّا حينما كان يَعِظُ الناسَ في الأردن عمّدَهم جميعاً، وأنّ المسيحَ اعتمد منه كسائر القوم قال: ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً (لوقا ٣: ٢١) ولم يذكر يوحنا هذه الحادثة في إنجيله.

بستة أشهر[1]، أي: في السنة الرابعة بعد الميلاد حسب التقويم الروماني.

وذكر لوقا أنّه أُلقِيَ القبض على يوحنا، فسُجِنَ (لوقا ٣: ٢٠) وذكر كلٌ من متّىٰ ومُرْقُص أن هِيرُودُس أمَرَ به، فقُطِعَ رأسه استجابَةً لطلب ابنة هِيرُودِيّا، امرأة فِيلِبُّس أخيه، لأنّ يوحنا كان قد عارَضَ في زواج هِيرُودُس من زوجَةِ أخيه، إذ كان يحرم الزواج من زوجة الأخ حسب سياق القصة، فانْتَقَمَتْ منه هذه المرأة[2].

٤ ـ العقائد في رسالتي زكريا ويحيى:

لا شَكّ أنّ كلاً من زكريا ويحيىٰ كان من أنبياء بني إسرائيل الذين أوْحىٰ اللّهُ إليهم أنْ يدعوا قومَهُم إلى الإيمان به واتّباع رُسُلِهِ واعتناق العقائد الصحيحة واجتناب عبادة الآباء والأجداد، وحثّهم على عبادة الله وحده لا شريك له.

(١) الربوبيّة والوحدانيّة:

وإن في مناداة زكريا (ربّ) بلفظ (ربّ) يدلُّ على إيمانه بالربوبية التي دعا إليها قومه، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ..﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٨٩] وقال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٨] وقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٣] وقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ..﴾ [٣

---

(١) «مرشد الطالبين» ص ٥٧٤.

(٢) (متى ١٤: ٣ ـ ١٣) و (مرقص ٦: ١٤ ـ ٢٨) ولم تذكر هذه القصّة في إنجيلي لوقا ويوحنا.

سورة آل عمران/ الآية: ٤٠] وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ..﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ١٠].

وطبيعي أنَّ الدَّعوةَ إلى الإيمان بربِّ العالَمِين شَمَلتِ الدعوةَ إلى الإيمان بوحدانية الله الذي وصفه زكريا بأنه: ﴿..خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٨٩] وبأنه: ﴿..سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٨] والذي لو كان يؤمن بغيره لدعاه دونه.

لقد كان زكريا يعلم أنَّ اللَّهَ هو الفعّال لما يريد، وأنَّهُ هو الذي بدأه وخلقه من العدم: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيــة: ٤٠] و: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٩].

ولقد دعا زكريا قومَهُ إلى عبادةِ اللَّهِ وحده، وإلى تعظيمه وتسبيحه دون سواه، ولذلك حين خرج على قومِهِ من المحراب أمرهم أن يسبِّحوا الله، وأن يظلّوا على ذلك إلى آخرِ الحياة، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ١١] ولقد كانَتِ الدعوةُ إلى الربوبية والوحدانية هي أساس الدعوة التي دعا بها ـ كما قدَّمنا ـ جميع الرسل والنبيين.

(٢) الملائكة:

وكانت دعوةُ زكريا تشمَلُ الإيمان بوجود الملائكة، فقد أرْسَلَهُمُ اللَّهُ إليه[١] يبشِّرُونَهُ بيحيى كما بشَّرَتْ من قبل جده إبراهيم:

---

(١) قال الآلوسي: المرادُ من الملائكة رئيسهم جبريل، وأنَّ الجمع هنا مجاز عن الواحد للتعظيم، أو يكون هذا من إسناد فعل البعض للكُلِّ، وأورد قولاً آخر أن المقصود بعض الملائكة، وعن قتادة، قال: إن الملائكة شافهته بذلك =

﴿.. بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٧١] قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٩].

(٣) المعجزات:

وتشمُلُ دعوةُ زكريا الإيمان بالمعجزات، وبأنّ الله قادِرٌ على كُلِّ شَيْءٍ وإلا لما: ﴿.. قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٨] وهو يعلم كُلّ العِلْمِ أنَّهُ بلغ من السنّ مبْلغاً ينقَطِعُ فيه النَّسْلُ، وتَنْعَدِمُ فيه الوظيفة التناسلية انعداماً كلّيّاً، بل خاصة أنّه يعلم أنّ امرأته عاقِرٌ لا تحمل، وأن أعضاءَها التناسلية غير قابلة للتّلْقِيح والحمل.

لقد دعا زكريا ربَّهُ أنْ يَهبَ له ولداً، وهو على يَقِينٍ من أنَّهُ هو وزوجُهُ غيرُ قابلين للتناسل، ولكنَّهُ يُؤْمِنُ باللّٰهِ وبقُدْرَتِهِ وبأنَّهُ يَفْعَلُ ما يشاءُ، وأنه خلقه وزوجه، وخلق كلّ الخَلْق من العَدَمِ، فلا يصعبُ عليه أن يرزقَهُ بولَدٍ مهما بلغ هو وزوجُهُ درجةَ اليأْسِ من التلقيح والولد، ولهذا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيات: ٤ ـ ٦].

= مشافهةً، فبشَّرَتْهُ بيَحيىٰ. «روح المعاني» ١/ ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٤. وقد تقدَّمَ القولُ بأنَّ النصارىٰ تقول: إنَّ الذي بشَّرَ زكريا هو جبريل (متى ١: ١٩) ويقول الطبري: وأمّا الصّوابُ من القولِ فأنْ يقال: إنَّ اللّٰهَ أخْبَرَ أن الملائكة نادَتْهُ، والظاهر من ذلك أنّها جماعَةٌ من الملائكة دون الواحد، وجبريل واحد، فلن يجوزَ أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأكثر الأظهر من الكلام المستعمل في ألسن العرب دون الأقل ما وجد إلى ذلك سبيل. «جامع البيان» ٣/ ١٦٩ و ١٧٠.

وما كان تعجّب زكريا عندما أخبر بأنه وزوجه سيلدان، إلا من فرط الدّهْشَةِ، وهو انفعال إنساني عادي، فهو لم يشكّ مطلقاً في قُدْرَةِ اللّهِ على الإتْيان بالمُعْجِزَةِ، ولكنّها المفاجأة التي دَعَتْهُ إلى التساؤل كيفَ يرجعُ إلى حالَةِ الصِّبا والشباب مَرّةً أُخْرَىٰ، ولقد حَدَث لزكريا ما حَدَث لإبراهيم وزوجِهِ من قَبْلُ إذ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٧٢].

إنّ المعجزةَ التي حدثَتْ لزكَريّا وزوجِهِ، ولو أنّها لم تحدَثْ مصحوبةً بتحدّي المعانِدِين أو غير المصدّقين بنبوَّةِ زكريا، إلا أنّها حَدَثَتْ أمامهم وتحت سَمْعِهم وبَصَرِهِم، وصارَتْ علىٰ أيّ حالٍ دليلاً على أنّ زكريا مرضيٌّ عنه من رَبّه، وأنّهُ قريبٌ منه، وأنّ في الاستماع له استماعاً لأوامر الله، والاهتداء به اهتداءً بهدي الله، خصوصاً أنّ هذه المُعْجِزَة اقترنَت بآية، وهي ألاّ يُكَلّم زكريا الناس إلا رمزاً[1]: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ١٠].

(٤) الرسالة والكتب المنزلة:

وطبيعي أن يَدْعُوَ زكريا الناسَ إلى الإيمان برسالة الرسل جميعاً، وهو إذْ يفعل ذلك فإنّما يفعَلُ ما يؤمِنُ به، فهو يؤمِنُ بيعقوب والأسباط وبأنبياء بني إسرائيل (يعقوب) والدليلُ على هذا قوله له:

---

(١) نحن نعْتَقِدُ أنّ لفظ (لا) هنا للنفي لا للنهي، أي: إن زكريا فَقَدَ النطق ثلاث ليال سوياً، فكما أن أعضاءه الجنسية رجعت إليها وظيفتها إلى وقت ما، فكذلك جهاز النطق عنده فقد وظيفته إلى فترة معيّنة، وبذلك تكون هذه آية لزكريا يستطيع ملاحظتها كل الناس، وهذه الآية تؤكد الآية الأصلية، وتعمل على لفت أنظار الناس إليها، وتوجيههم إلى التفكير في الله الذي بيده كل شيء.

﴿.. فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيتان: ٥ و ٦].

بل لقد كان زكريا يؤمن بنبوّةِ ابنه قبل أن يولَدَ، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٩] ولقد بيّنَتْ هذه الآية الكريمة كذلك أن يحيىٰ يؤمِنُ بالمسيح قبل أن يراه، وهو قوله تعالى: ﴿..أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٩] والمسيح هو هذه الكلمة، فقد قال الله له: كن فكان، قال تعالى: ﴿..إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٧١] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [٣٦ سورة يس/ الآية: ٨٢].

وإيمان زكريا بإسرائيل وبأنبياء إسرائيل، وإيمانه بنبوة ابنه قبل أن يولد، وإيمان يحيىٰ بعيسىٰ ابن مريم قبل أن يراه، وإيمان كل نبي بالأنبياء جميعاً، كما قدّمنا، وإيمان كلِّ نبي بالنبي الذي يأتي بعده، هو الميثاق الذي أخذه الله على النبيين في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٨١].

ويشملُ الإيمان بالرسالة والنبوة الإيمان بالكتب المنزلة، ولهذا قال الله ليحيى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ..﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ١٢] والمفروض في أنبياء بني إسرائيل، وفي بني إسرائيل جميعاً

أن يؤمنوا بكتاب موسى أصلاً وأن يؤمنوا بكل ما جاء فيه من العقائد الصحيحة والأحكام التي سنّها الله.

(٥) البعث والحساب والجنة والنار:

ولقد جاءت عقائد البعث والحساب والجنة والنار، وكلّ ما يتعلق باليوم الآخر فيما يشير إليه قوله تعالى في يحيىٰ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ١٥].

ونعتقد أنّ اللّهَ تعالى لم يذكر هذه الآية الكريمة في شأن يحيىٰ إلا لأنّ يحيى يؤمن بالبعث، ونعتقد أن هذا الخبر علمه زكريا ويحيىٰ، وأنهما أخبرا قومَهما بأنّهم سيحيون بعد الموت، وأنّ هذا الإحياء ليس ببعيدٍ على الله، لأنّ الله هو الذي أوجدهم في هذا الوجود من النُّطَفِ التي خلقها في آبائهم، ولم تَكُنْ في آبائهم قبل أن يبلغ آباؤهم الحلم، وأنهم كما وُجِدُوا من العدم بأمْرِ الله، فسوف يبعثون بعد الموت والفناء بأمر الله كذلك.

بل لقد كانت ولادة يحيى دليلاً على البعث، فقد أوجدَ اللّهُ نُطَفاً في الجهاز التناسلي لزكريا بعد انعدامها وبعد ضمور قنواته المنوية وكفها عن أداء وظيفتها، ولقد بَعَثَ الحياةَ في مبايض زوجه، وقد كانت مصابة بالعقم عاجزةً عن أداء عملية التبويض، فاللّهُ الذي بعث في الجهازين التناسليين في زكريا وزوجِهِ الحياةَ، قادرٌ على أن يحيي الموتىٰ بعد فقدهم وظائفهم الحيويّة، وتحوّلِهم إلى مادة خامدة عاجزة عن الحركة.

وليس من المعقول أن يبيّن كلٌّ من زكريا ويحيى لقومهما أن سيبعثون من غير أن يذكر لهما ما يحدث بعد البعث في الموقِفِ في اليوم الآخر من حساب وجزاء، وأنّ الله سيدخل الذين آمنوا وعملوا

الصالحات جنة الخلد، خالدين فيها، وأنه سوف يُدْخِلُ العاصِين نارَ جهنَّم، خالدين فيها.

ولقد بيَّنَّا أنَّ جميعَ الرُّسُل والنبيِّين حذَّرُوا أقوامَهُم مِنَ اليومِ الآخِرِ حتى لا تكون لهم على اللَّهِ حُجَّةً بعد ذلك.

(٦) العصيان وخشية الله:

قال تعالى في مناسبة استجابَتِهِ لدُعاء زكريا: ﴿.. وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٩٠] وفي هذا دليلٌ على أنَّ المؤمِنَ يجبُ أن يخشَىٰ اللَّه وأن يرهب مِنْ عذابِهِ وانتقامه وبطشِهِ، وأن يعملَ الصالحات ابتغاء ثوابه ورحمته، فالمؤمِنُ هو الذي يؤمِنُ بالثواب والعقاب، ويؤمن بأنَّ العصيان سيّء المغبّةِ، وأنّ الذي يريدُ اللَّهُ به الخَيْرَ يجنِّبُهُ المعاصي كما جاء في قوله تعالى عن يحيىٰ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ١٤]. ولقد بيَّنَ اللَّهُ تعالى أن زكريا دعا قومه إلى تجنب المعاصي، والتسلح بذكر الله، وأن يفعلوا ما يفعله هو امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿.. وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [٣ سورة عمران/ الآية: ٤١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ١١].

المبحث الثاني والعشرون
المسيح عيسى ابن مريم

١ - ذكره في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ

حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيات: ١٦ ـ ٣٤].

وقال: ﴿ . . وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ . . ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٨٧].

وقال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيات ٤٥ ـ ٥٣].

وقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٧٥].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٥٠].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآيات: ٦٣ ـ ٦٥].

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [٦١ سورة الصف/ الآية: ٦].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [٦١ سورة الصف/ الآية: ١٤].

وقال: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ

ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيات: ١٠٩ ـ ١٢٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٥٧ سورة الحديد/ الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧].

٢ ـ نسبه وزمنه:

ولقد رأينا كَيفَ أنَّ المسيح كان معاصِراً ليحيى بن زكريا، وأنَّهُ كان ابن بنت خالة يحيىٰ على بَعْضِ الأقوال، وابن خالته حسب أقوال أخرى، وأنَّهُ من وَلدِ داود من سبط يهوذا، هذا حسب قول الكتّاب المسلمين، فإذا ما رجعنا إلى المراجع النصرانية وجدنا اختلافاً بين إنجيلي متى ولوقا في بيان نسب المسيح، ونرىٰ أن نرجِعَ إلى هذين

المصْدَرَيْن لنأخذ فكرةً عن صِلَةِ المسيح بإسرائيل، والسبط الذي ينتهي إليه نسبه، وصلة القرابة بينه وبين غيره من سائر النبيين.

يقول متى في إنجيله في الإصحاح الأول منه: كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم. إبراهيم وَلَدَ إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا، وأخوته، ويهوذا ولد فَارِص، وزَارَح من ثَامَار، وفَارِص ولد حَضْرُون، وحَضْرُون ولد أَرَام، وأَرَام ولد عَمِّينَادَاب، وعَمِّينَادَاب ولد نَحْشُون، ونَحْشُون ولد سَلْمُون، وسَلْمُون ولد بُوعَز من رَاحَاب، وبُوعَزَ ولد عُوبِيد من رَاعُوث، وعُوبِيد ولد يَسّىٰ، ويَسّىٰ ولد داود الملك، وداود الملك ولد سُلَيْمان من التي لأُورِيَّا، وسليمان ولد رَحَبْعَام، ورَحَبْعَام ولد أَبِيَّا، وأَبِيَّا ولد آسَا، وآسَا ولد يَهُوشَافَاط، ويَهُوشَافَاط ولد يُورَام، ويُورَام ولد عُزِّيَا، وعُزِّيَا ولد يُوثَام، ويُوثَام ولد أَحَاز، وأَحَازَ ولد حِزْقِيّا، وحِزْقِيّا ولد مَنَسّىٰ، ومَنَسّىٰ ولد آمُون، وآمُون ولد يُوشِيَّا، ويُوشِيَّا ولد يَكُنْيَا وأخوتَهُ عند سبي بابل، وبعد سبي بابل يَكُنْيَا ولد شَأَلْتِيئِيل، وشَأَلْتِيئِيل ولد زُرُبَّابل، وزُرُبَّابل ولد أَبِيهُود، وأبيهُود ولد أَلِيَاقِيم، وأَلِيَاقِيم ولد عَازُور، وعَازُور ولد صَادُوق، وصَادوق ولد أَخِيم، وأَخِيم ولد أَلِيُود، وأَلِيُود ولد أَلِيعَازَر، وأَلِيعَازَر ولد مَتَّان، ومَتَّان ولد يَعْقُوب، ويعقوب ولد يوسُفَ رجل مريم التي ولد منها يَسُوع الذي يُدْعَىٰ المَسِيح. فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً. ومن داود إلى سَبْي بابل أربعة عشر جيلاً. ومن سَبْي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً. (متى ١: ١ ـ ١٧).

وأما لوقا فيقول: (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يُوسُف بن هَالِي، بن مَتْثَات بن لاوِي بن

مَلْكِي بن يَنَّا بن يوسُف بن مَتَّاثِيَا، بن عَامُوص بن نَاحُوم بن حَسْلِي بن نَجَّاي، بن مَآث بن مَتَّاثِيَا بن شِمْعِي بن يُوسُف بن يَهُوذا، بن يُوحَنَّا بن رِيسَا بن زُرُبَّابِل بن شَأَلْتِيئِيل بن نِيرِي، بن مَلْكِي بن أَدِّي بن قُصَم بن أَلْمُودَام بن عِير بن يُوسِي بن أَلِيعَازَر بن يُورِيم بن مَتْثَات بن لاَوِي بن شِمْعُون بن يَهُوذا بن يوسُف بن يُونَان بن أَلِيَاقِيم بن مَلَيَا بن مَيْنَان بن مَتَّاثَا بن نَاثَان بن داود، بن يَسَّىٰ بن عُوبِيد بن بُوعَز بن سَلْمُون بن نَحْشُون، بن عَمِّينَادَاب بن أَرَام بن حَصْرُون بن فَارِص بن يَهُوذا بن يَعْقوب بن إسحاق بن إبراهيم). (لوقا ٣: ٢٣ ـ ٣٤).

وبمراجعة الإنجليين نجدهما يتفقان في سلسلة النسب من إبراهيم إلى داود، ولكننا إذا انتقلنا إلى سلسلة النسب بعد ذلك وجدنا هنالك اختلافات ظاهرة. إذ أنَّ متّىٰ جعل المسيح من سلالة سليمان بن داود، وجعله لوقا من نسل ناثان بن داود، وقال متّىٰ إن: يورام ولد عزيا (متّى ١ : ٨) وهو مخالِف لما جاء في العهد القديم الذي جاء فيه أن يورام ولد أخزيا، وأن أخزيا ولد يواش، وأن يواش ولد أمصيا، وأن أمصيا هو ولد عزريا، وأن عزريا ولد يوثام (ملوك ثاني ٨ و ١٢ و ١٤ و ١٤ و ٢ أخبار الأيام ٢٢ و ٢٤ و ٢٥) كما يلاحظ أن متّى صحّف اسم (عزريا) فجعله (عزيا) هذا مع العلم بأنّ الأسماء التي أسقطها متى أسماء ملوكٍ مشهورين، وسنذكر في الجدول تاريخ تولية كل منهم ملك يهوذا أو إسرائيل، سنضع كل منهم في الجدول بين قوسين:

داود

حسب إنجيل متّى		حسب إنجيل لوقا
سُليمان	توفي عام ١٠١٥ ق.م	ناثان
رحبعام	توفي عام ٩٧٥ ق.م	متاثا
أبيا	توفي عام ٩٥٨ ق.م	مينان
آسا	توفي عام ٩٥٥ ق.م	مليا
يهوشافاظ	توفي عام ٩١٤ ق.م	ألياقيم
يورام	توفي عام ٨٦٨ ق.م	يونان
...	(أخزيا تولى عام ٨٨٥ ق.م)	يوسف
...	(يواش تولى عام ٨٧٨ ق.م)	يهوذا
	(أمصيا تولى عام ٨٣٨ ق.م)	شمعون
عزيا (عزريا)	تولى عام ٨١٠ ق.م	لاوي
يوثام	تولى عام ٧٥٨ ق.م	متثات
آحاز	تولى عام ٧٤١ ق.م	يوريم
حزقيا	تولى عام ٧٢٦ ق.م	أليعازر
منسى	تولى عام ٦٩٧ ق.م	يوسي
آمون	تولى عام ٦٤٢ ق.م	عير
يوشيا	تولى عام ٦٤٠ ق.م	المودام
		قصم
		أدي
		ملكي
يكنيا		نيري؟
شألتيئيل		شألتيئيل
زربابل		زربابل

ويلاحَظُ كذلك أنَّ متى ذكر أن شَأَلْتِيئِيل بن يَكُنْيَا، وقال لوقا: إنه ابن نِيرِي.

وذكر كلٌّ من متى ولوقا أنّ زَرُبَّابل بن شَأَلْتِيئِيل، ولكن يلاحظ

أن العهد القديم ذكر أن زُرُبّابِل بن فَدَايَا وابن الأخ لشَأَلْتِيئِيل (أخبار الأيام الأول ٣: ١٦ ـ ١٩).

ثم إنّنا إذا تتبّعنا سلسلة النسب بعد ذلك من شَأَلْتِيئِيل إلى يوسف في كلٍّ من الإنجيليْن، وجدنا متّى يذكر أنّ أبا يوسف هو يعقوب، ويذكر لوقا أنّ أبا يوسف يسمى هالي، ويذكر متىٰ أن زُرُبّابِل ولد أَبِيهُود، ويقول لوقا: إنّه ولد رِيسَا، ولكن العهد القديم عَدَّ لنا أسماء أولاد زُرُبّابِل جميعاً، وليس فيهم كل من رِيسَا وأَبِيهُود، فقد جاء فيه ما يلي: وبنو زُرُبّابِل مَشُلاَّم وحَنَنْيَا وشَلُومِيَة أختهم. وحَشُوبَة وأُوهَل وبَرَخْيَا وحَسَدْيَا ويُوشَب حَسَد خمسة (أخبار الأيام الأول ٣: ١٩ و ٢٠) وهنالك اختلاف ظاهر في عدد الأجيال من داود إلى المسيح، ففي متّىٰ أن الأجيال بين داود والمسيح ستة وعشرون جيلاً، وعدد الأجيال عند لوقا واحد وأربعون جيلاً، فإذا قسّمْنَا الزمن بين داود والمسيح وهو نحو ألف سنة، على عدد الأجيال في كل من الإنجيلين، كان الجيل حسب نسب متى يقابل أربعين سنة في مقابل خمس وعشرين سنة عند لوقا.

وعلى أي حال، فإن هذا التحقيق كان لا بُدَّ من ذكْرِهِ ليأخذ القارىءُ فكرةً عامَّةً عن رأي المسيحيين في نسب المسيح، ولو أنَّ كلاً من الإنجيلِيَيْن صرّحَ بأن هذا النسب هو نسب يوسف لا المسيح!

ولقد ذكرنا من قَبْلِ أنَّ المسيح ولد بعد ولادَةِ يحيىٰ بستَّةِ أشهر، وكان مولده في مدينة بيت لحم من مُدُنِ يهوذا ومسقط رأس جده داود، أمّا بَدْءُ رسالة الرسول الكريم محمد خاتم النبيين فقد كانت بعد ميلاد المسيح بتسع وست مئة سنة (٦٠٩ م).

نسب عيسى

حسب إنجيل متىٰ	حسب إنجيل لوقا
شألتيئيل	شألتيئيل
زربابل	زربابل
أبيهود	ريسا
ألياقيم	يوحنا
عازور	يهوذا
	يوسف
	شمعي
	متاثيا
	مآث
	نجاي
	حسلي
	ناحوم
	عاموص
	متاثيا
صادوق	يوسف
أخيم	ينا
أليود	ملكي
أليعازر	لاوي
متان	متثات
يعقوب	هالي
يوسف	يوسف

٣ ـ من نوح إلى عيسى بالتاريخ الميلادي:

أما وقد بَيّنّا نسبَ المسيح من وجهة النظر المسيحية، فنرىٰ أنَّهُ

من المناسِبِ أن نَذْكُرَ بعْضَ التواريخ التي تحدِّد زَمَنَ بَعْضِ النبيين حسب رأي مؤرِّخي المسيحية، ليأخُذَ القارِىءُ كذلك فكرةً عن الارْتِباطِ الزمني بين الرسل والأنبياء الذين نُؤمِنُ بهم، ويؤمِنُ بهم هؤلاء حسب وِجْهَةِ نَظَرِهِم الخاصّة كذلك، وسَنَذْكُرُ ما أمْكَننا ذكره من هذه التواريخ من زمن ولادة نوح إلى زمن المسيح عيسى ابن مريم:

ما يراد معرفة زمنه	السنة قبل الميلاد
ولادة نوح	٢٩٤٨
وفاة نوح وهو ابن ٩٥٠ سنة	١٩٩٨
ولادة إبراهيم	١٩٩٦
ولادة إسماعيل عندما كان سن أبيه ٨٦ سنة	١٩١٠
هلاك قوم لوط ونجاة لوط وأهله	١٨٩٦
ولادة إسحاق	١٨٩٦
ولادة يعقوب عندما كان إسحاق ابن ٦٠ سنة	١٨٣٦
وفاة إبراهيم وهو ابن ١٧٥ سنة	١٨٢٠
وفاة إسماعيل وله من العمر ١٣٧ سنة	١٧٧٣
ولادة رأوبين بن يعقوب من ليئة	١٧٥٨
ولادة شمعون بن يعقوب من ليئة	١٧٥٧
ولادة لاوي بن يعقوب من ليئة	١٧٥٦
ولادة يهوذا بن يعقوب من ليئة	١٧٥٥
ولادة يوسف بن يعقوب من راحيل وهو ابن ٩١ سنة	١٧٤٥

ما يراد معرفة زمنه	السنة قبل الميلاد
ولادة بنيامين بن يعقوب من راحيل	١٧٣١
وفاة إسحاق وهو ابن ١٨٠ سنة	١٧١٦
وفاة يعقوب وهو ابن ١٤٧ سنة	١٦٨٩
وفاة يوسف وهو ابن ١١٠ سنة	١٦٣٥
وفاة لاوي وهو ابن ١٣٧ سنة	١٦١٩
ولادة هارون	١٥٧٤
ولادة موسى	١٥٧١
وفاة هارون وهو ابن ١٢٣ سنة	١٤٥٢
وفاة موسىٰ وهو ابن ١٢٠ سنة	١٤٥١
ولادة نبي بني إسرائيل (صموئيل)	١١٥٥
طلب بني إسرائيل ملكاً من صموئيل (نبي بني إسرائيل)	١٠٩٦
ولادة داود	١٠٨٥
قتل داود جالوت	١٠٦٢
وفاة نبي بني إسرائيل (صموئيل) وهو ابن ٩٨ سنة	١٠٥٧
ولادة سليمان	١٠٣٣
وفاة داود وهو ابن ٧٠ سنة	١٠١٤
وفاة سليمان	٩٧٥
ظهور إلياس	٩٢٢ قريباً
إلياس يقتل أنبياء بعل الكاذبين	٩٠٨
موت إلياس	٨٩٦
انتقال اليسع إلى دمشق	٨٨٤
وفاة اليسع	٨٣٩
ظهور يونس	٨٢٣ تقريباً
خراب أورشليم على يَدِ نبوخذ ناصر	٥٨٨
ظهور زكريا بالنبوة حسب التقويم الروماني	٥
ولادة يحيىٰ حسب التقويم الروماني	٤
ولادة عيسىٰ حسب التقويم الروماني	٤
ظهور يحيى نبياً	٢٦
تقابل يحيى مع عيسى	٢٧
قتل هيرودس ليوحنا (يحيىٰ)	٢٩
اختفاء المسيح (وصلب الرجل الذي ظُنّ أنه المسيح)	٣٠
وفاة المسيح	بعد حادثة الصلب

٤ ـ العقائد في رسالة المسيح:

كان المسيح عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل، أرسله الله إليهم خاصّةً[١] ليذكّرهم بالتوراة التي أنزلت إليهم، وبالتعاليم التي جاء بها مَنْ سَبَقَه من الرُسُل والأنبياء، وليبيّن لهم العقائد الصحيحة التي تركوها واعتنقوا غيرها من العقائد الباطلة الفاسدة، وذكرت كتب النصارىٰ أنّهُ كان يوبّخ الكتبة[٢] والفرّيسيين[٣] لمروقِهم عن الدّين وتمسكهم بتقاليد ورثوها ما أنزل الله بها من سلطان، فكان يقول لهم مثلاً: ويل لكم أيها الكتبة والفرّيسيون المراؤون لأنكم تأكلون في بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون صلواتكم... أيها الجهّال والعميان. أيّهما أعظم: القربان أم المذبح الذي يقدّس القربان... ويل لكم أيّها الكتبة والفرّيسيون المراؤون، لأنكم تعشّرون النعنع والشّبِثّ والكَمُّون، وتركتم أثقل الناموس، الحق والرحمة والإيمان... أيها القادة العميان الذين يُصَفُّون عن البعوضة ويبلعون الجمل... أيُّها الحيّات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم... إلخ[٤].

ولقد شملت رسالة عيسىٰ كما جاءَتْ في القرآن جميعا العقائد

---

(١) جاء في كتب النصارىٰ أنه قال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (متى ١٥: ٢٤) وقال تعالى في القرآن: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل...﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٤٩].

(٢) الكتبة، ويقال لهم: الناموسيون، كانت وظيفتهم في الأصل نسخ الكتب الدينية، وكان أكثرهم يصل إلى مطالعة العلوم والفنون، ويفسّرون الشريعة ويهذّبون الشعب.

(٣) الفرّيسيون هم أعظم الطوائف بين اليهود، وتقدّسهم العامة، وكان أكثر حكماء السنة والكتبة منهم، وكانوا يعتبرون تقاليد المشايخ بقدر ما يعتبرون كلام الناموس، وربّما فضلوها عليه.

(٤) متى ٢٣: ١٤ و ١٩ و ٢٣ و ٢٤ و ٣٣.

الأساسية في الدين، وسنَذْكُرُها في هذا المقام، ويَسْتَطِيع القارىءُ أنْ يَسْتَخْلِص من الآيات الكريمة التي سَنَذْكُرُها فيما بَعْدُ، جميعَ العقائد الفرعية الأخرى، منها ما يتَّصِلُ بالتَّوْحيدِ، كقدرة الله وأوامره والتوكّل عليه وخشيته وغيره، ومنها ما ينْدَرِجُ تحت العقائد الأساسية، كالذنب وفتنة الشيطان والجزاء وغيرها.

(١) الربوبيّة والوحدانيّة والرسالة والمعجزات:

إنّ أوّلَ ما دعا إليه المسيح هو الإيمان بالربوبية ووحدانية الخالق والإيمان برسالة الأنبياء والمُرْسَلِين، وكانت هذه الدعوة أوّل ما نَطَقَ به في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٣٠] وكان كلُّ همِّه بعد ذلك أنْ يَدْعُوَ الناسَ إلى طاعة الله وتقديم العبادة له دون سواه[1]، وكانَ يبيِّنُ لقومِهِ أنَّ اللّهَ هو ربُّهُ وربُّهُم، وأنّ اللّهَ هو ربُّ الناس ومَلكهم وإلههم، وكان يذكر لهم أنّ الاعتراف بالربوبية والألوهية هو السبيل القويم الذي يؤدّي إلى النجاة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي

---

(١) جاء في كُتُبِ المسيحيين أنّ إبليسَ عرض على المسيح أن يعطيه الدنيا جميعها إن هو سجد له، وقال له: أعطيك هذه جميعها إنْ خَرَرْتَ وسجدت لي. حينئذٍ قال له يسوع: اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب للربِّ إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد (متى ٤: ٩ و ١٠) وهنالك جملة في كتب النصارى تصرّح بالوحدانية تصريحاً ظاهراً، وهذه الجملة قيل: إنها صدرت من المسيح، وهي أنّه قال: ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات، ولا تدعوا معلّمين، لأن معلّمكم واحد المسيح (متى ٢٣: ٩) وإنّنا لنستطيع توضيح هذه الجملة وبيان المقصود منها، وهي أن المسيح إنّما كان يدعوهم إلى قول: لا إله إلا الله وأنّ المسيح رسول الله.

وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآيتان: ٦٣ و ٦٤].

ومن المعجزات التي حقَّقها اللَّهُ على يَدِ المسيح لإثبات رسالته، وصدقه في الدعوة إلى الإيمان بالله وبيان قُدْرَةِ اللَّهِ وقوّته معجزة إحياء الموتى(١)، وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك مما عدَّه عيسىٰ في قولِهِ لقومه: ﴿.. أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيات: ٤٩ ـ ٥١]

---

(١) يؤمن اليهودُ والنصارى أنَّ مِنْ رسل الله من أحيا الموتى قبل المسيح، كإلياس واليسع كما قدّمنا عند الكلام عنهما، وذكروا أن حزقيال أحيىٰ جيشاً عظيماً بعد أن أصبحت أفراده عظاماً (حزقيال ٣٧: ١ ـ ١٠) ونرجِّح أن هذه الحادثة هي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٤٣] ومن المرجّح عند بعض مؤرّخي المسلمين أن حزقيال كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل، وامتدت رسالته من سنة ٥٩٥ ق.م. إلى ٥٧٥ ق.م.، وقد حشدت في السفر المسمى باسمه في العهد القديم أخباراً خيالية بعيدة عن الواقع.

ويلاحَظُ أنّ قولَ المسيح أنّه يفعَلُ هذه المعجزات بإذْنِ اللّهِ[1] هو لِلَفْتِ أنظارِهم إلى أنّ اللّهَ يرسل مع رُسُلِهِ المعجزات التي تُثْبِتُ رسالَتَهُ، لتطمئِنّ قلوبُهُم إلى دعوتِهِ رحمةً من اللّهِ بهم، حتى لا تتسلّط عليهم النفسُ الأمّارة بالسُّوء، فتقودُهُم إلى الهلاك.

والدليلُ على أنّ عيسىٰ كان يَحْمِلُ في رسالَتِهِ وجوبَ الإيمان بجميع الرُّسُلِ والنبيين، دعوته إلى التصديق برسالة موسىٰ، كما كان يوجب التصديقَ برسالَةِ محمد خاتم النبيين. وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ..﴾ [٦١ سورة الصف/ الآية: ٦] ومنه ما يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٤٦].

وتعترف النصارىٰ بأنّهُ يُؤْمِنُ بيحيىٰ، وقد تعمَّدَ على يديه أمام الناسِ كما قدَّمْنا، وبأنّهُ يُؤْمِنُ بموسىٰ وبالتوراة، فقد ذكروا أنه قال لأبْرَصٍ شفاه: انظر أن لا تقول لأحَدٍ، بل اذهب أرِ نفسك للكاهن، وقدِّم القربان الذي أمر به موسى شهادةً لهم (متى ٨: ٤) وقالوا: حينئذٍ خاطب يسوعُ الجموعَ وتلاميذَهُ قائلاً: على كرسي موسىٰ جلس الكتبة والفرّيسيون، فكُلُّ ما قالوا لَكُم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه... (متى ٢٣).

---

(١) جاء في كُتُبِ النصارىٰ اعترافُ المسيح بأنّ المعجزات التي أتت على يديه إنّما هي من عند الله (متى ١١: ٢٧) وجاء فيها أنّ الناس حينما رأوا هذه المعجزات اعترفوا بقدرةِ الخالق الذي يحقق مثل هذه الأفعال الخارقة للعادة على يَدِ البشر، من ذلك قول متىٰ: فلما رأىٰ الجموع تعجبوا ومجّدوا اللّهَ الذي أعطى الناسَ سلطاناً مثل هذا. (متى ٩: ٨).

(٢) البعث والقيامة والجنّة والنار:

وجاءَتْ عقيدَةُ البعثِ في رسالَةِ المسيح كما جاءَتْ في رسالات غَيْرِهِ من النبيّين، فقد أعْلَنَ هذه العقيدة منذُ كان في المَهْدِ صبيّاً، إذ قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٣٣].

إنّ هذه الآية الكريمَة تبيّنُ أنّ الله يوجِدُ الإنسان عامّةً في هذه الحياة الدنيا بطريق التّناسُلِ والولادة، وأنّ المسيحَ خاصّةً وُجِدَ بطريق الولادة من غَيْرِ ذَكَرٍ، وأنّ عناصِرَ تكوينِهِ هي عناصر تكوين كلّ الناس، وكان كلامُهُ في المَهْدِ هو الحجّة على براءة أمّهِ مريم من البغاء: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٥٩][١] وأنّ الله كما أوْجَدَهُ في هذه الدنيا من جِسْمٍ بَشَرِيٍّ، فإنّهُ سوف يُميتُهُ كذلك كسائر البَشَرِ، وأنّهُ سيُبْعَثُ كذلك مثلهم، وأنّ ولادَتَهُ الشاذّة لا تعني خروجَهُ مستقبلاً عن القَدَرِ الذي قدّرَهُ الله على البشرية جميعاً. وما جرى على فَمِ عيسىٰ في المهْدِ في هذه الآية الكريمة هو إعلانٌ لحقيقةِ البَعْثِ التي لا شكّ أنّهُ قد آمَنَ بها كلُّ مَنْ سَمِعَ عيسىٰ حينئذٍ من قَوْمِ مَرْيَم، ولا شَكّ أنّ هؤلاء نقلوا كلامَ المسيح الذي تفوّهَ به في المهْدِ إلى كُلّ ما يلوذُ بهم، وطبيعيٌّ أنّ لَفْظَ البَعْثِ كان مفهوماً للمخاطَبين أو لبَعْضِهِم، فلا يخلو هذا البَعْضُ من أنّهُ سَمِع شيئاً عن البَعْثِ ممّنْ كان مُؤْمِناً برسالة النبيين من قبلُ، كيحيىٰ وزكريا.

---

(١) لا نعلم أنّ أحداً من الناس خَلَقَه الله بلا أبٍ أو أم غير آدم، إلا أننا وجدنا في الرسالة إلى العبرانيين الذي قيل: إن بولس كتبها في إيطالية سنة ٦٣ م، أنّ مَلْكِي صَادَق الذي قيل: إنه وُجِدَ في عهد إبراهيم، كان بلا أب بلا أم بلا نسب، لا بداءة أيامٍ له ولا نهاية حياة.. (عبرانيين ٧: ٣).

وطبيعيٌ أنْ يفسّرَ المسيحُ كلَّ ما يتعلّقُ بعقيدَةِ البعْثِ بعد تكليفِهِ بالرِّسالة، وبهذا شملت رسالتُهُ عقيدَتَي الجنّةِ والنار، فمَنْ آمَنَ باللّهِ واتَّبَعَ رسولَهُ وآمَنَ برسالَتِهِ دخل الجنّةَ، وأمَّا مَنْ كَفَرَ بذلك دخل النار، ولا شَكَّ أنّ الإيمان بأنّ هُنالِكَ جنّة وهناك ناراً في دار الجزاء أصل من أصول العقائد التي بُعِثَ النبيُّون لبيانِها، حتى يعلمَ كُلُّ فَرْدٍ من الناس ما سوف يَنْتَظِرُهُ في الحياة الآخرة، فلا يستطيع أنْ يَدَّعِي عَدَمَ عِلْمِهِ بذلك وقتئذٍ. وحتّىٰ يَحْذَرَ المؤمنون فيعبدونَ اللّهَ رغبةً في ثوابِهِ، ورهبةً من عقابِهِ، ويخلصون في عبادَتِهِ ولا يشركونَ بعبادَةِ رَبِّهم أحداً، والدليل على أنّ المسيحَ أدّى ما عليه من تبليغ كلّ هذا، قوله تعالى: ﴿..وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٧٢].

ولقد ذَكَرَ اللّهُ لنا في القرآن الكريم أنّ كلاًّ من التوراةِ والإنجيل جاء فيه ذِكْرُ الجنّةِ، كما جاءَ ذِكْرُها فيما بَعْدُ في القرآنِ، وأنّهُ جاءَ في هذه الكُتُبِ المنزلة أنّ الله تعالى وعد المقاتِلِين في سبيلِ الله جنّةَ الخُلْدِ، وأنّهم إذا فَقَدُوا حياتَهُم في هذه الدُّنيا وأموالهم، فإنّهُم سيحيون الحياةَ الحقيقيّةَ في الجنّةِ، وسينالونَ فيها ما لا يُعَدُّ ما كان لهم في الدنيا شيئاً مذكوراً، وجاء هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ..﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ١١١].

بل لقد ذكّرَ المسيحُ الناسَ قبيل وفاتِه بكُلّ ما يتعلق بيوم القيامة والحساب والجنّةِ والنار، وحذّرَهُم من الخروجِ عن طاعَةِ اللّهِ، وأكّدَ

لهم ما ذَكَرَهُ لهم طوالَ حياتِهِ معهم، ونعْتَقِدُ أنَّهُ أخْبَرَهُم بما ذكره الله وأوحاه إليه من قبل موتِهِ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيات: ٥٥ ـ ٥٧].

إنَّ هذه الآيات الكريمة، التي خاطَبَ اللَّهُ بها عيسىٰ رسولَهُ، ليس من حَقِّ المسيح إخفاؤها عن قَوْمِهِ، فليس ما فيها خاصٌّ بِهِ وحده، بل إنَّ ما فيها يخصُّ المُرْسل إليهم جميعاً، إذ إنَّها حمَلَتْ بين ثناياها عقائِدَ الآخِرَةِ والحساب والثواب والعقاب، وخشية الله ورحمته، ولهذا نحنُ على يقينٍ، كما قدَّمْنا، أنَّ المسيح تلا هذه الآيات باللغة التي كان يوحي الله بها إليه، إلى قومه، بمجرَّدِ نزولِهَا عليه.

(٣) الوحي:

وتشْمُلُ رسالةُ المسيح كذلك الإيمان بالوحي، فطبيعي أن يخبر المسيحُ قومَهُ أنَّهُ يُوحىٰ إليه من عِنْدِ الله، وأنَّ التعاليمَ التي يبلغها لهم ليست من عِنْدِهِ[١]، إنَّمَا يُوحىٰ بها إليه من رَبِّهِ، وذكر اللَّهُ المسيحَ في جمْلَةِ من يُوحَىٰ إليهم من النبيّين في قوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ

---

(١) مذكورٌ في كتب النصارىٰ أنَّ المسيحَ كان يقول لقومِهِ أنَّ الكلامَ الذي يعظهم به، والأخبار التي يُخبِرُهُم عنها، ليست من عنده بل هي وحي من الله، فكان يقول لهم: وأنا إنسان قد كلمكم بالحقّ الذي سمعه من الله (يوحنا ٨: ٤٠) ومثله قوله: والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل الأب الذي أرسلني (يوحنا ١٤: ٢٤).

أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٣] إلى آخر الآية الكريمة.

(٤) الإيمان بوجود الملائكة والجن:

ومن جُمْلَةِ العقائد التي جاءَتْ في رسالة المسيح، الإيمان بوجود الملائكة[١]، وأنَّها مخلوقاتٌ خاصَّةٌ لا تعصي الله، وإذا كَلَّفَها اللَّهُ بأمْرٍ نفذته من غير تردُّدٍ، والإيمان بوجودِ الجنِّ، وأنّ العُصاةَ منهم هم الشياطين[٢]، وأنّ الشياطين هي التي تُوَسْوِسُ في صدور الناس.

أما ما جاءَ عن الملائكة في رسالة المسيح، فهو أنَّهُ هو نفسه كان البُشْرَىٰ التي بَشَّرَتْ بها الملائكة أمَّهُ مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٤٥] ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٤٢].

وأما ما جاءَ عن الشيطان في رسالة المسيح، فهو ما جاء في دعاء امرأة عمران أن يجنِّب اللَّهُ ابْنَتَها مريم وابْنَ مريم من وسْوسةِ الشّيْطان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ

---

(١) النصارىٰ تؤمِنُ بوجودِ الملائكة، ويقولون: إن المسيح ذكر الملائكة في مثل قوله عن الساعة: وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده (متى ٢٤: ٣٦).

(٢) وذكرت النصارى الشياطين في مواضع شتّى في كتبهم، ومن ذلك ذكر إبليس في روايتهم عن قول المسيح لليهود: أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا (يوحنا ٨: ٤٤).

﴿بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٦].

إنّ قصةَ امرأة عمران وولادتها وولادة المسيح عيسى ابن مريم بما شملته من ذكر الملائكة والشيطان، لا بُدَّ أن تكون موجودة في الإنجيل الذي أُوتِيه عيسىٰ، للعلم والعِظَةِ والاعتبار، وللإيمان ببَعْضِ ما جاء في هذه القِصَّةِ من عقائد، ولا عَجَبَ أن تكون هذه القِصّة موجودَة في الإنجيل، فإنّ القرآن الكريم نفسه يذكر أخباراً عن النبيّ وغزواته ونسائه وأصحابه وأنصاره وغير ذلك مما لا بُدّ من وجوده في الكتاب الذي سيبقىٰ ليهدي الأجيال كلّها إلى ما شاء الله.

والإيمان بوجود الملائكة عقيدَةٌ واجِبَةٌ، إذْ لولاهما لما آمَنَ أحَدٌ بالوحي، ولما آمَنَ بمَلَكِ الموت وبالوظائف المختلفة التي يكلّفُ الله الملائكة بأدائها، ولما آمَنَ بقِصّةِ آدم وسجود الملائكة له.

وكذلك الإيمان بوجودِ الجنّ والشياطين أمْرٌ ضروريٌّ لكُلّ مسْلِمٍ، فإنّ المسلمَ إذا آمَنَ بما يقوم به الشيطان من تضليلٍ ووسوسةٍ كانت عنده فرصة للتزوُّد بالطاعاتِ التي تقوّي عزيمَتَهُ، وتمكّنُهُ من التغلُّبِ عليه، فإنّ المَرْءَ إذا عَرَفَ عدوّهُ، أخَذَ حذرَهُ مِنْهُ، وكان دائماً على قَدَمِ الاستعداد لمقاوَمَتِهِ والتخلُّص من مكايدِه وحِيلِهِ وغواياته، والإيمان بوجود الشيطان واجبٌ، ليكون المؤمن على عِلْم بقصّةِ الخَلْقِ الأوّلِ، ونحن على يقينٍ أنّهُ ما مِنْ نَبيٍّ أو رَسُولٍ إلا قَدْ عَرَّفَ قومَهُ بقِصَّةِ آدم وزَوْجِهِ وسجود الملائكة لآدم وعصيان إبليس وتوعّده الله بإضلال الناس أجمعين، إلا عباد الله المخلصين.

المبحث الثالث والعشرون
الإسلامُ دينُ التَّوْحيد
وتعاقب الرسل وتواترهم

وسنبيِّنُ في هذا المبْحَثِ أنَّ الإسلام هو دين الله الخالد، الذي لا يقبل اللّهُ سواه، وأنَّ هذا الدين هو الدِّين الذي فَرَضَه اللّهُ على البَشَرِ منذ خَلَقَهُم، جاءَ به آدمُ وإدريسُ ونوحُ وإبراهيم وآلُ إبراهيم وآلُ عِمْران، وأنَّهُ تَمَّ برسالَةِ خاتَمِ النبيين، وأنَّ هذا الدِّين جاءَ به النبيُّون، لأنَّهُ هو الدين الوحيد الَّذي يدعُو إلى الوحدانِيَّة الخالِصَة التي لا يشوبُها أدْنَى شِرْكٍ، وهو الدِّينُ الذي يشْمُلُ العقائِدَ الصحيحة والأحكام العامة التي لا تتغيَّرُ بتغيُّرِ الزَّمانِ أو المكان، أو بتغيُّر أحوال الناس في سلسلة حياتهم الإنسانية على وجْهِ الأرضِ، مهما اختلفَت ألوانُهُم وأجناسُهُم ولغاتُهُم وبيئاتُهُم، ومهما تغيَّرتْ مِهَنُهُم وحرفُهم وثقافَتُهم في الحياةِ الدُّنيا، فهنالِك أديان وضْعِيّة يعْتَقِدُ معْتَنِقوها أنَّها تناسِبُ بيئَتهُم الخاصَّة، وتلائم عقولَ أفراد مجتمعهم المحدود، فإذا ما تغيَّرَتْ بيئَتُهُم ونَزَحوا بعيداً عن مجتمعهم، تعسَّرت عليهم الحياة، وضاقَتْ عليهم الأرضُ بما رحبت، ووَجدوا أنفسهم عاجزين عن الاندماج في المجتمع الإنساني، وكأنَّهُم غرباء عن هذا العالم، كَعَبَدَةِ التماثيل وعَبَدَةِ النَّار وعَبَدَةِ الجنِّ وغيرهم من ذوي المعتقدات الباطلة التي لا تَتَفِقُ مع الفِطْرَةِ والطَّبْعِ الإنساني السليم، من الخرافات والأوهام والأباطيل.

سنبيِّنُ في هذا المَبْحَثِ أنَّ جميع النبيِّين قد بَعَثَهُمُ اللَّهُ بعقيدَةِ الإسلام، التي كانَتْ تتلاءمُ مع البشريَّةِ والإنسانية على مَمَرّ القرون والعُصور، مع اختلافِ البيئاتِ، وبالرّغْمِ من تقلُّبات الزمان، وتغيُّر عقليات الناس قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل.

وسنبيِّن في هذا المبْحَثِ كذلك، كيفَ أَنَّ اللَّهَ تعالى بفَضْلِهِ ورحْمَتِهِ وكَرَمِهِ، لم يشأ أنْ يتركَ خَلْقَهُ في ظلامات الجهل، تعبَثُ بهم الأهواءُ، وتضلُّهم المطامِعُ والشهوات، وتخْلُو بهم الشَّياطين، ويُسَيْطِرُ عليهم ذوو المطامع والأغراض، فأرسل إليهم الأنبياء والمرْسَلين، على توالي القرون والعصور، يبيِّنون لهم سُبُلَ الرشاد، ويمدُّونَهم بالتعاليم التي تقوِّي عزيمَتَهُم، ويزوِّدونَهم بالأفكار الصَّالِحَةِ التي يستطيعون أن يهتدوا بهديها، والتي تساعِدُهم على التمييز بين الظلام والنور، وبين الهُدَىٰ والضلال، وبين الطريق المستقيم والطريق المِعْوَجّ الذي يؤدي إلى الهلاك والفشل والدمار.

١ ـ إنّ الدِّينَ عند الله الإسلام:

(١) نوح والرسل من قبله كانوا على الإسلام:

ولقد بيَّنَ اللَّهُ تعالى في كتابه الكريم أنّ نوحاً والرسل والنبيين من قَبْلِهِ كانوا يعْتَنِقون الدينَ الإسلامِيّ، وأنَّ هذا مصرَّحٌ به في قوله تعالى للرسول الكريم خاتم النبيين: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [١٠ سورة يونس/ الآيتان: ٧١ و ٧٢].

وإن في قول نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [١٠ سورة يونس/الآية: ٧٢] لدليل على أنَّ الإسلام كان دينَ مَنْ كان قبْلَهُ، وأنَّ ما قاله نوح هو عينُ ما قاله محمد رسول الله وخاتم النبيين، إذ قال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٩١] فقد أُمِرَ خاتم النبيين أن يكونَ من المسلمين كالذين سبقوه من المؤمنين برسالة الدين الإسلامي، كنوح والنبيين من قَبْلِ نوح، والنبيين من بعد نوح، كما سنبيِّنُ بَعْدُ.

(٢) إبراهيم كانَ مِمَّن حَمَلَ رسالة الإسلام بعد نوح:

ولقد كان إبراهيم ممَّن حَمَل رسالة الدين الإسلامي من بعد نوح، فقد قال تعالى بعد أن ذَكَرَ في سورة الصافات قصة نوح: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ٨٣] ثم قال ﴿. وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ١٣٠ و ١٣١].

(٣) إسماعيل يحمل رسالة الإسلام مع إبراهيم:

ولقد حَمَلَ إسماعيل رسالَةَ الإسلام مع أبيه إبراهيم، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ١٢٧ و ١٢٨].

(٤) دين لُوطٍ هو الدين الإسلامي:

وذكر الله أنّ لوطاً آمن بالدين الإسلامي الذي آمن به إبراهيم،

قال تعالى: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ..﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٦] وصرح الله تعالى بأنّ دينَ لوط هو الإسلام، في قوله تعالى في مناسبة إهلاك قَرْيَتِهِ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [٥١ سورة الذاريات/ الآيتان: ٣٥ و ٣٦].

(٥) إسحاق ويعقوب والأسباط مسْلِمون:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ١٣٢ و ١٣٣].

(٦) يوسف كان مسلماً:

وكان يوسفُ مسْلِماً يدعو ربه أنْ يُمِيتَهُ على الإسلام، قال: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠١].

(٧) موسى يدعو قومه إلى الإسلام:

وكان موسى يعتنق الدين الإسلامي ويدعو إليه قومه، قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤].

ولقد بيَّنَ اللَّهُ أن سَحَرَةَ فرعون آمنوا برسالة الإسلام التي جاء بها رسول الله، إذا قالوا لفرعونَ حين هدَّدهم بالتقتيل: ﴿.. إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا

مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ١٢٥ و ١٢٦].

وذكر الله أنّ فرعون حين أدركه الغرق: ﴿.. قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [١٠ سورة يوسف/ الآية: ٩٠].

(٨) أنبياء بني إسرائيل يدعون إلى الإسلام:

وذَكَرَ اللَّهُ أنَّ أنبياء بني إسرائيل يدينون بالدين الإسلامي، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [٥ سورة المائدة/الآية: ٤٤] وتبيِّنُ الآية الكريمة أنَّ الربّانيين والأحبار كانوا كذلك مسلمين.

(٩) داود وسليمان يدعُوان إلى الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ..﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ١٦] ثم ذَكَرَ جَلَّ شأنه أن سُلَيمان بَعَثَ إلى أهل اليمن يدعوهم إلى اعتناق الدين الإسلامي دين التوحيد الخالص، وذلك في رسالة أرسلها إلى ملكتهم ملكة سبأ، إذ كانت هي وقومها: ﴿.. يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٢٤]، وأخبر اللَّهُ أنَّ ملكة سبأ تلتْ هذه الدعوة على قومها: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيات: ٢٩ ـ ٣١] وذَكَرَ اللَّهُ تعالى أنَّ ملكة سبأ اعتنقت الدين الإسلامي: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٤٤].

(١٠) المسيح يدعو إلى اعتناق الدين الإسلامي:

وأرسل الله تعالى المسيح عيسى ابن مريم برسالة الإسلام، فكان يدعو قومه إلى اعتناق هذا الدين، المؤسّس على الاعتراف بالخالق ووحدانيته، كما ذكرنا، قال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان: ٥٢ و ٥٣].

وذكر الله تعالى أنَّهُ هو الذي أوحىٰ إلى الحَوَاريّين باعتناق الدين الإسلامي، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ١١١].

وطبيعيٌّ أنَّ الحواريين ظلوا يدْعُون الناسَ إلى الدين الإسلامي بعد وفاة المسيح، فآمن منهم مَنْ آمن، وكفر منهم مَنْ كَفَرَ، وظلَّ المؤمنون منهم معتنقين للدين الإسلامي، مؤمنين بالله الذي لا إله إلا هو، لا يحيدون عن دين التوحيد الحقيقي، يتوارَثُون هذه العقيدة الصحيحة جيلاً بعد جيل حتى لحقهم زَمَنُ خاتَمِ النبيين.

(١١) استمرار الإسلام حتى نزول القرآن:

وأما استمرار الإسلام حتى نزول القرآن، وبقاء قوم يُؤْمِنُون بالدِّين الذي اعْتَنَقَه المسيحُ من قبل، والحَوَارِيُّون، ودَعُوا إليه، واستمرار ذلك حتى الزمن الذي بدأت فيه دعوة خاتم النبيين[1]؛ فيدلُّ

---

(١) قيل بأنّه ممّن كان يُؤْمِنُ باللّهِ قبل نزول القرآن أرباب بن رئاب، وهو من عبد القيس من شن، وكان على دين عيسىٰ، وبَحِيرَىٰ الراهب، وورقة بن نوفل بن أَسَد بن عبد العُزّىٰ، وهو ابن عم خديجة زوج محمد رسول الله، وزيد بن عمرو بن نُفَيْل، وهو أبو سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، قتله النصارى بالشام، وقس بن ساعدة الإيادي، وخالد بن سنان بن غيث، وهو من بني عبس بن بعيض.

عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٨ سورة القصص/ الآيات: ٥١ ـ ٥٣] قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآيتان: ٥٤ و ٥٥].

(١٢) من الجِنّ من كان يدينُ بالإسلام قبل نزول القرآن:

وذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنَّ مِنَ الجنّ مَنْ كانَ يدين بالدين الإسلامي حسب ما أُنزلَ على موسىٰ وعيسىٰ من قَبْلِ أن ينزل القرآنُ، فقد صَرَفَ اللَّهُ نَفَراً من الجِنّ إلى خاتم النبيين ليستمعوا القرآن الكريم، فلما سمعوا تلاوة الرسول الكريم قال بعضهم لبعض: انصتوا، فلما عقلوه، وأدركوا أنّه الحقُّ مِنَ اللَّهِ، ذهبوا ليبشّروا قومهم بنزول ما سمعوه، وينذرونهم به، ويدعونهم إلى الإيمان برسالة خاتم النبيين، وبما جاء فيها من العقائد الصحيحة والتشريع الصالح، ليتغمّدهم ربُّهُم برحمته، ويغفر لهم من ذنوبهم ولا يخزهم في الآخرة، ولينقذهم من عذاب النار، وأخبروا قومَهُم أنَّهُ من لا يُجِب دعوة محمد من توحيد الخالق والعمل بطاعته، فليس بمُعْجِز ربه إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعي الله، وتركه تصديقه وإنْ ذَهَبَ في الأرض هارباً، لأنَّهُ حيث كان فهو في سلطانه وقبضته وليس له من دونه أولياء ينصرونه من الله إذا عاقبه على كفره به وتكذيب رسوله، وأنَّ الذين لم يجيبوا داعي الله، فيصدّقوا به، وبما دعاهم إليهم من توحيدِ الله والعمل بطاعته فهم في ضلال مبين[١].

---

(١) راجع «جامع البيان» ٢٦/٢٢ و ٢٣.

وذكر هؤلاء النفر لقومِهِم أنَّ هذا الكتاب الذي سَمِعوه هو كِتابٌ أُنزِلَ بعد كتابِ موسىٰ، مصدِّقاً ما قبله من كُتُبِ اللَّهِ التي أنزلها على رُسُلِهِ مِنْ قَبْلُ، أي: إنَّ هذا الكتاب جَاءَ بالدِّين الإسلامي الذي جاءت به التوراة من قَبْلُ، وجاء بالإسلام الذي دَعَا إليه جميعُ الرُّسُل والنبيين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [٤٦ سورة الأحقاف/ الآيات: ٢٩ ـ ٣٢].

ولقد صرَّحتِ الجنُّ أنَّ منهُم من كانَ يعتنقُ الدينَ الإسلامي قبل الرِّسالَةِ المحمَّدِيّة، حسب ما جاءَتْ به الرُّسُلُ مِنْ قَبْلُ، وأنَّهُمْ وجَدُوا في الرسالة المحمدية ما لا يتنافىٰ مع ما صَدَّقُوا به، فاسْتَمَرُّوا على إسلامهم وآمنوا بالقرآن الكريم، قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [٧٢ سورة الجن/ الآيات: ١١ ـ ١٥].

(١٣) محمد يعتنق الإسلام ويدعو إلى اعتناقه:

نزل القرآنُ على الرسول الكريم حاملاً رسالة الإسلام، فكان هو أوّل مَنْ آمَنَ بِهِ، وهو قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٨٥] وطبعيٌّ أنْ يؤمِنَ الرّسولُ بما

أُنْزِلَ إليه من رَبِّهِ، قبل أن يدعو الناسَ إلى الإيمان به، ولهذا أَمَرَهُ اللَّهُ تعالى أن يؤمِنَ بالإسلام أوّلاً، ثم يدعو الناسَ بعد ذلك أن يُسْلِمُوا، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآيتان: ١١ و ١٢] ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ١٤].

لقد كانَ الرسولُ الكريمُ أوّلَ المسلمين بالنسبة للوقتِ الَّذي كُلِّفَ فيه بحَمْلِ رسالة الإسلام، وإلا فهو بالنسبة لاعتناق الإسلام على وجْهٍ عامٍّ، ليس بسابِقٍ للنبيّين والمُرْسَلِين في اعْتِنَاقِهِ، فقد نَطَقَ بنَفْسِ اللَّفْظِ الَّذي نَطَقَ به نوحٌ مِنْ قَبْلُ، كما قدَّمْنا، وقالَ: ﴿..وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ..﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٩١].

والرسولُ الكريم مع أنَّهُ كذلك أول المسلمين في قومه، إلا أنَّهُ بالنسبة للعلاقة الدينية بينه وبين جده إبراهيم، كان معْتَنِقاً للدِّين الذي كان يعتنقه كذلك إبراهيم مِنْ قَبْلُ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآيات: ١٢٠ ـ ١٢٣] وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيات: ١٦١ ـ ١٦٣].

والرسولُ الكريمُ، مع أنّهُ خاتَمُ النبيين، وأنّه الرسولُ الَّذِي أكمل اللّهُ برسالته الدِّينَ، إلاّ أنّهُ حسب العلاقة الدينية بَيْنَهُ وبين جمع النبيين والمرسلين من قَبْلِهِ، لا يتميَّزُ عنهم بالنسبة لحمل رسالة الإسلام، واعتناقها والدعوة إليها، فالإسلام هو دِينُ اللّهِ الذي فَرَضَهُ اللّهُ على الجنْسِ البشري في سلسلةِ حياتِهِ الإنسانية منْذُ خُلِقَ الإنسان على وجْهِ الأرْضِ، إلى أن يَرِثَ اللّهُ الأرْضَ ومَنْ عليها، ولهذا يقول الله جلّ شأنُهُ لخاتَمِ النبيين: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٨٤].

ولقد أَخْبَرَ اللّهُ متّبِعِي رسالة خاتم النبيين أنّهم سُمُّوا مسلمين حسب تَسْمِيَة إبراهيم لهم مِن قَبْلُ، قال جل شأنه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية: ٧٨].

ونرىٰ الحِكْمَةَ في تسْمِيَةِ أتْباعِ محمَّدٍ بالمسْلِمِين، لأنَّ محمَّداً هو خاتَمُ النبيّين، وأنّ بِهِ تمّتْ رسالَةُ الإسلام، وأنّ أتباع محمَّدٍ هُمُ الّذِين سيَحْمِلون لواءَ الإسلام إلى آخِرِ الزمان، ليَبْقَ اسم الإسلام هو الاسم الباقي، الخالد، الذي يَحْمِلُ في مغْناه حقائِقَ الدِّين، والعقائد الصحيحة، التي توجِّه الناسَ إلى السعادة في الدارين.

وليكن لفظ الإسلام هو اللفظ الذي يضمُّ بين طيّاته جميع العقائد التي أتىٰ بها المُرسَلُون والنبيُّون عبر التاريخ، ويقولُ جلَّ شأنُهُ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

﴿وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٣٦].

وهنا نستطيع أن نُدْرِكَ معنى قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٨٥] فكُلُّ إنسانٍ منذ فجر التاريخ الإنساني، آمَنَ بِرَسُولِهِ في الزَمَنِ الذي أُرْسِلَ فِيهِ هذا الرسول، فهو مسْلِمٌ قد فازَ بحُسْنِ الجزاء في جَنَّةِ الخُلْدِ، إذْ أنَّ الرسولَ ما جاء بدينٍ غير الدين الإسلامي، وكلُّ إنسان كَفَرَ برسالَةِ رسولِهِ في القرآن الذي جاء فيه، فقد عدّ كافِراً بالدِّين الإسلامي، وهو في الآخِرَةِ مِن الخاسرين.

٢ ـ تعاقُبُ الرُسُل وتواتُرُهُم:

ومِنْ نِعَمِ اللّهِ علىٰ البَشَرِ أَنْ أَرسلَ إِلَيْهم الرُسُلَ عبر التاريخ الإنساني متعاقِبين، ومتواتِرين، يحملون رسالةَ الإسلام، كما قدَّمْنا، ويذكِّرونهم بدينِهِم قَرْناً بعد قَرْنٍ وجيلاً بعد جيلٍ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٦٥].

ويذكُرُ اللّهُ لنا هذه الرُسل في قولِهِ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ

﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيات: ٨٣ ـ ٨٨].

ومع ذلك لم يؤمِنْ بالرسلِ إلا القليل من بني آدم، وممّن آمن بالرسل مَنْ غَيَّرُوا وبدَّلُوا في دِينِهم، وانْحرَفوا عن الصِّراطِ المُسْتَقِيم، وأشركوا مع اللّهِ آلهةً أُخرى نسجتها لهم خيالاتُهُم، وجسَّمَتْها لهم أوهامُهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠٦].

وذَكَرَ اللّهُ تواترَ الرُّسُل وتعاقبهم، وما لاقوه من أقْوامِهِم، وما فعل اللّهُ بالمكذِّبين في قولِهِ:

١ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٢٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١١٧ ـ ١٢٠].

٢ ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيتان: ٣١ و ٣٢].

ولقد كانَ هذا القرن يشْملُ عاداً قَوْمَ هُودٍ، وثمودَ قوم صالح، أما عاد فقد قال لهم أخوهم هود: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٩]، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ..﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٣٩].

وأما ثمود، فقد قال لهم أخوهم صالح: ﴿..يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ...وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٧٤)﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ٧٣ و ٧٤] ﴿فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ (٤٤)﴾ [٥١ سورة الذاريات/ الآية: ٤٤].

٣ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ (٤٩)﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيات: ٤٢ ـ ٤٩].

٤ ـ قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٣)﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيتان: ١٢ و ١٣].

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ

يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٤٦] ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ١٤] ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ٣١].

٦ ـ قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٥١] ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيتان: ١٥ و ١٦].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [٦٦ سورة التحريم/ الآية: ٨].

المبحث الرابع والعشرون
محمد رسول الله وخاتم النبيّين

١ ـ نسبه وزمنه:

أجمع النسّابون على أنّ محمداً رسولُ اللّهِ هو ابن عبد الله بن عبد المطَّلِب[١] بن هاشِم[٢] بن عبد مَنَاف[٣] بن قُصَي[٤] بن

---

(١) عبد المطلب، اسمه: شيبة، وكان له السِّيَادَةُ في قُرَيْش. وصارت إليه السقاية والرفادة بعد عَمِّه عبد المطلب، وهو الذي جَدَّدَ حَفْرَ زمزم، بعد أن كانت مطمورةً في عهد جَدِّهم، وهو أوّل من زَيَّنَ أبواب الكعبة بالذَّهَبِ، وعاش مئة وأربعين سنة.

(٢) وهاشم، اسمه: عمرو، وهو أول من سَنَّ رحلتي الشتاء والصيف إلى الشام واليمن، وهاتان الرحلتان هما اللتان ذكرهما الله تعالى في قوله: **﴿لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾** [١٠٦ سورة قريش/ الآيات: ١ ـ ٤].

(٣) مناف: اسم الصنم الذي يقال له: مناة، والذي جاء ذكره في قوله تعالى: **﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذن قسمة ضيزى﴾** [٥٣ سورة النجم/ الآيات: ١٩ ـ ٢٢] وعبد مناف اسمه: المغيرة.

(٤) قُصَيّ، اسمه: زَيْد، هو الذي أَسَّس دَارَ النَّدْوَة، وكانت إليه الرِّفادة والسِّدانة والحجابة واللواء، وهو الذي سَنَّ السقاية، وهو أوّلُ من أَحْدَثَ وَقِيدَ النَّار بالمزدلفة ليهتدي إليها من يأتي إليها من عرفات، وأول من أَحْدَثَ الرفادة، وهي إطعام الحجيج أيّام موسم الحج إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم، وفَرَضَ على قومِهِ ذلك ونَهَىٰ عن الخَمْرِ قبل موتِهِ.

كِلاب[١] بن مُرّة[٢] بن كَعْب[٣] بن لُؤَيّ بن غالِب بن فِهْر[٤] بن مَالِك[٥] بن النَّضْر[٦] بن كِنَانة بن خَزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعْد[٧] بن عدنان.

أمّا نسبُ الرّسول الكريم من عدنان إلى إسماعيل فيختلف فيه المؤرّخون، فقيل: إن عدنان هو ابن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشْجُب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقيل: إنّ عَدْنان بن ميدع بن متبع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهُمَيْسَع بن قِدَار بن إسماعيل بن إبراهيم.

---

(١) كلاب، واسمه: ابن حَكيم، وهو جَدُّ أمّ رسول الله فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، فهو ملْتَقَى نَسَبِ أبي الرسول الكريم بنَسَبِ أمّه، وقيل: إنّه أول من سَمّىٰ الأشْهُرَ العربيّة المستعملة الآن.

(٢) مُرّة، كنيته: أبو يقظة، وهو الجدُّ السادس لرسول الله، والجد السادس أيضاً لأبي بَكْرٍ الصديق.

(٣) كعب، كنيته: أبو هصيص، وهو الجدُّ الثامن لعمر بن الخطاب، وأوّلُ من جَمّعَ يوم الجمعة الذي كانت قريش تسميه يوم العروبة، كان يجمع قريشاً يومها، فيخطبهم ويذكّرهم ويبشّرهم بمَبْعَثِ النبي، وأنه من وَلَدِهِ، وكان بين موت كَعب ومبعث النبي خمس مئة عام وستون.

(٤) فِهْر، اسمه: قُرَيْش، وإليه تَنْتَسِبُ قريش، وما كانَ فوق فِهْر فلا يقال له: قريش، بل يقال له: كِنَانِيّ، وكان فِهْر كريماً، يفتّش على حاجَةِ المحْتاج فيسدّها بمالِهِ، وهو الجدُّ السادس لأبي عبيدة بن الجَرّاح.

(٥) مالك، كنيته: أبو الحارث.

(٦) النّضر، اسمه: قَيْس.

(٧) مَعَد: كان في زمن بُخْتُنَصّر، وكان عمره وقت ذاك اثنتي عشرة سنة، قيل: ولما غَزَا بُخْتُنَصّر بلادَ العَرَبِ حَمل أرميا معدّاً معه إلى الشام، ويُفْهَمُ من هذا أنّهُ كان موجوداً في الزمن الذي غَزا فيه نَبُوخُذْ نَاصر أورشليم وخرّبها، وأنّه عاصَرَ كذلك أرميا الذي يعدّه بنو إسرائيل من أنبيائهم، ويقولون: إن الله أوحى إليه برسالته سنة ٦٢٨ق.م.، وكان موجوداً إلى ما بعد سنة ٥٥٨ ق.م.

وروى ابنُ سَعْدٍ سِلْسلةً من النَّسَبِ بَيْنَ عدنان وقِيدار تَحْمِلَ ثمانية وثلاثين اسماً، وهو النَّسَبُ الأقْرَبُ في رأينا إلى الصواب، هذا إذا اعتبرنا مَعَدّاً معاصراً لإرْمِيَاء بن حَلْقِيّ، إذ قد تَتَّسِعُ سلسلة النَّسبِ حينئذٍ للزَّمَنِ الذي يمتَدُّ بين إسماعيل ومَعَد، وهذا النسب حسْبَ قولِ ابن سعد: مَعَدّ بن عدنان بن أُدَد بن الهَمَيْسَع بن سُلامان بن عَوْص بن يوز بن قموال بن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن تدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخي بن عيصي بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربي بن نحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيفي بن ديشان بن عيصر بن أقتاد بن أبهام بن مقصي بن ناحث بن زارح بن شمي بن مزي بن عوص بن عرام بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم.

وروى ابن سعد عن محمد بن سعد قال: ولم نجد بيْنَهم اختلافاً أنّ معداً من ولد قِيذر بن إسماعيل[1].

وجاء في كتابِ اليهودِ أنَّ إسماعيل ولد اثني عشر ولداً، من بينهم: قيدار (تكوين ٢٥: ١٢ ـ ١٦) وجاء فيه كذلك أنَّ قيدار سَكَنَ في البرية، أي: في شبه جزيرة العرب، وذكروا أن إِشَعْيَاء[2] تنبَّأ منذ أكثر من سبع مئة سنة قبل الميلاد أنَّ هذه البرية التي سَكَنها قِيدَار سيكون لها شأنٌ عظيمٌ، وسيخرجُ منها رسولٌ محارِبٌ ينصرُهُ اللَّهُ ويقوِّيهِ على أعدائه، فإنْ صَحَّتْ نبوَّةُ إِشَعْيَاء بن آمُوص، وصحَّ ما جاء فيها، فإنّ المراد التبشير بقدومه، وفرح سكان البرية به، هو محمد رسول الله ﷺ؛ ونَصُّ العبارة المذكورة التي قيل: إنَّها أُوحِيَتْ إلى

---

(١) «الطبقات الكبرى» مجلد ١/ ٥٥ ـ ٥٩ وغيره.

(٢) إِشَعْيَاء: يعده اليهود من أنبياء بني إسرائيل، ويؤمِنُ بذلك كذلك كثيرٌ من المسلمين. ظهرَتْ دعوتُه في أورشليم من سنة ٧٥٩ ق.م. إلى سنة ٧٠٠ ق.م. وقتل منشوراً.

إِشَعْيَاء، هي: «أنا الرَّبُّ، هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات، هو ذا الأَوّلِيّات قد أتَتْ، والحَدِيثَات أنا مخبر بها قبل أن تنبت أعلمكم بها، غنُّوا للرب أغنيةً جديدةً، تسبيحةً من أقصى الأرض. أيّها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتَها الديار التي سكنها قِيدَار لتترنّم سكان سَالِع من رؤوس الجبال ليهتِفُوا، ليعطوا الربَّ مجداً ويخبروا في تسبيحه في الجزائر. الربّ كالجبّار يخرج كرجل حُرُوبٍ يُنْهِضُ غيرتَهُ يهتف ويصرخ ويَقْوَىٰ على أعدائه. (إِشَعْيَاء ٤٢: ٨ ـ ١٣).

أما الأغنية الجديدة، فالمراد منها الشريعة الجديدة، ولا ينطبق هذا القولُ على رسالَةِ عيسىٰ، فإنّ عيسى جاءت شريعَتُه على نهج شريعة موسىٰ، وهو ما قيل: إنّهُ جاء على لسانه أنّه قال: «لا تحسبوا أني جئت لأنقض الناموسَ أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض بل جئت أُكَمِّل» (متى ٥: ١٧) أمّا شريعة خاتم النبيين فشريعة جديدةٌ قائِمَةٌ بذاتها.

وقد رأينا أنّ قِيدَاراً هو ابن إسماعيل، وإسماعيل نَشَأَ في جزيرة العَرَبِ، وكذلك ابنه قِيدَار.

وأمّا قولُه «لتترنّم سكان سالِع من رؤوس الجبال» فهو إشارة إلى المدينة المنورة، التي بدأت منها حروب رسول الله عندما هاجَرَ إليها، وجبل سالِع هو جبل سَلْع من جبال المدينة، يَبْعُدُ عن المدينة نحو خمس دقائق، وفي سَفْحِهِ الغربي كهف بني حرام الذي كان مبيتُ الرسول الكريم، وإلى شمال هذا الكهف في سفح الجبل أيضاً مسجد الفتح، وهو مقام على الموضع الذي دعا فيه رسول الله ﷺ في غزوة الخَنْدَق، أما حروب الرسول وانتصاراته على أعدائه فقد بَيّنَها الله تعالى في القرآن الكريم، وكتبت تفاصيلها في كتب السيرة النبوية، والمعروفُ أنّ عيسىٰ ابن مريم لم يحاربْ قطّ كما هو معروف.

وليسَ هنالك أمّةٌ عظيمةٌ أَوْجَدَها اللّهُ من ذرِّيَّة إسماعيل إلا أمة محمد التي ذكرتها البشارةُ التي جاءت في كُتُب اليهود، فقد ذَكَرُوا أنّ اللّهَ تعالى قال لإبراهيم: إن إسماعيل ابنه من هاجَر سيكون أمة عظيمة كما جاء في سفر التكوين: «فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام - أي: إسماعيل - ومن أجل جاريتك - أي: هاجر - في كل ما تقول لك سَارَة اسمع لقولها، لأنّه بإسحاق يُدْعَىٰ لك نَسْلٌ، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك» (تكوين ٢١: ١٢ و ١٣) وقالوا: «ونادىٰ ملاكُ الله هاجَرَ من المساء، وقال لها: ما لك يا هاجَر؟ لا تخافي! لأنّ الله قد سمع لصوت الغلام - أي: إسماعيل - حيث هو. قومي احملي الغلام، وشدّي يديك به لأنّي سأجعله أمة عظيمة» (تكوين ٢١: ١٧ و ١٨).[١]

فإذا جازَ لنا أنْ نأخُذَ بمثْلِ ما تقدَّم من كُتُب اليهود، كانت نسبة محمد إلى إسماعيل صحيحةً على هذا الوجْهِ كذلك، فيكون محمدٌ من ولد قِيدار بن إسماعيل بن إبراهيم.

وجاء في كُتُبِ السُّنَّة أنّ واثلة قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ يقول: «إنَّ اللّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلِ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمِ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمِ»[٢].

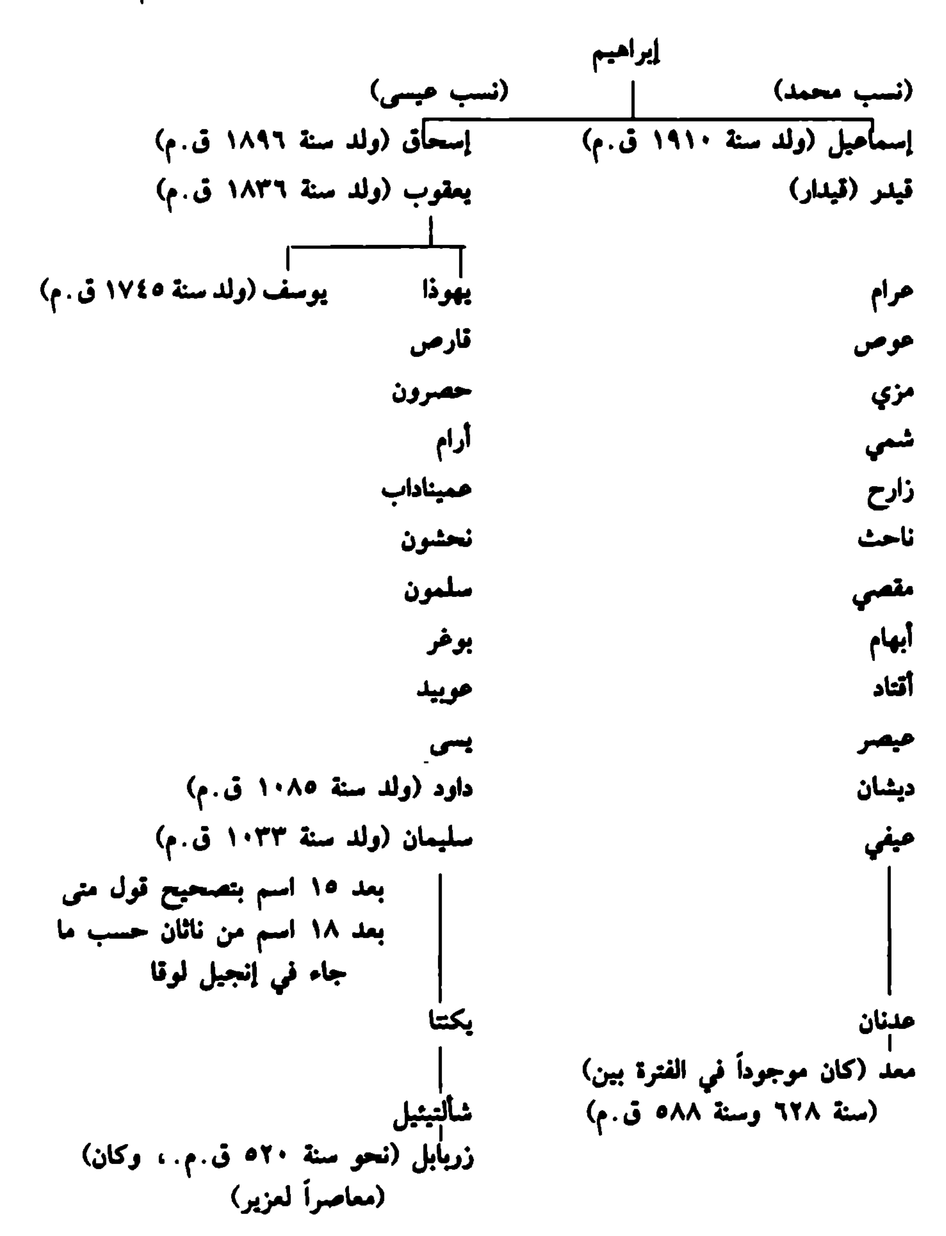
وتيسيراً على القارىء نَعرضُ عليه هنا سلسلةَ نَسَبِ النبي علىٰ وجْهٍ يستطيعُ منْهُ أنْ يأخُذَ فكرةً عن الزَّمَنِ الذي وُجِدَ فِيهِ أجدادُ النَّبِيِّ، وسنعرضُ

---

(١) وقالوا: «فتح الله عينيها، فأبصرت بئر ماء (أي: بئر زمزم) فذهبت وملأت القربة ماء وسَقَتِ الغلامَ، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران (أي: مكة) واخذت له أمه زوجة من أرض مصر» (تكوين ٢١: ١٩ - ٢١).

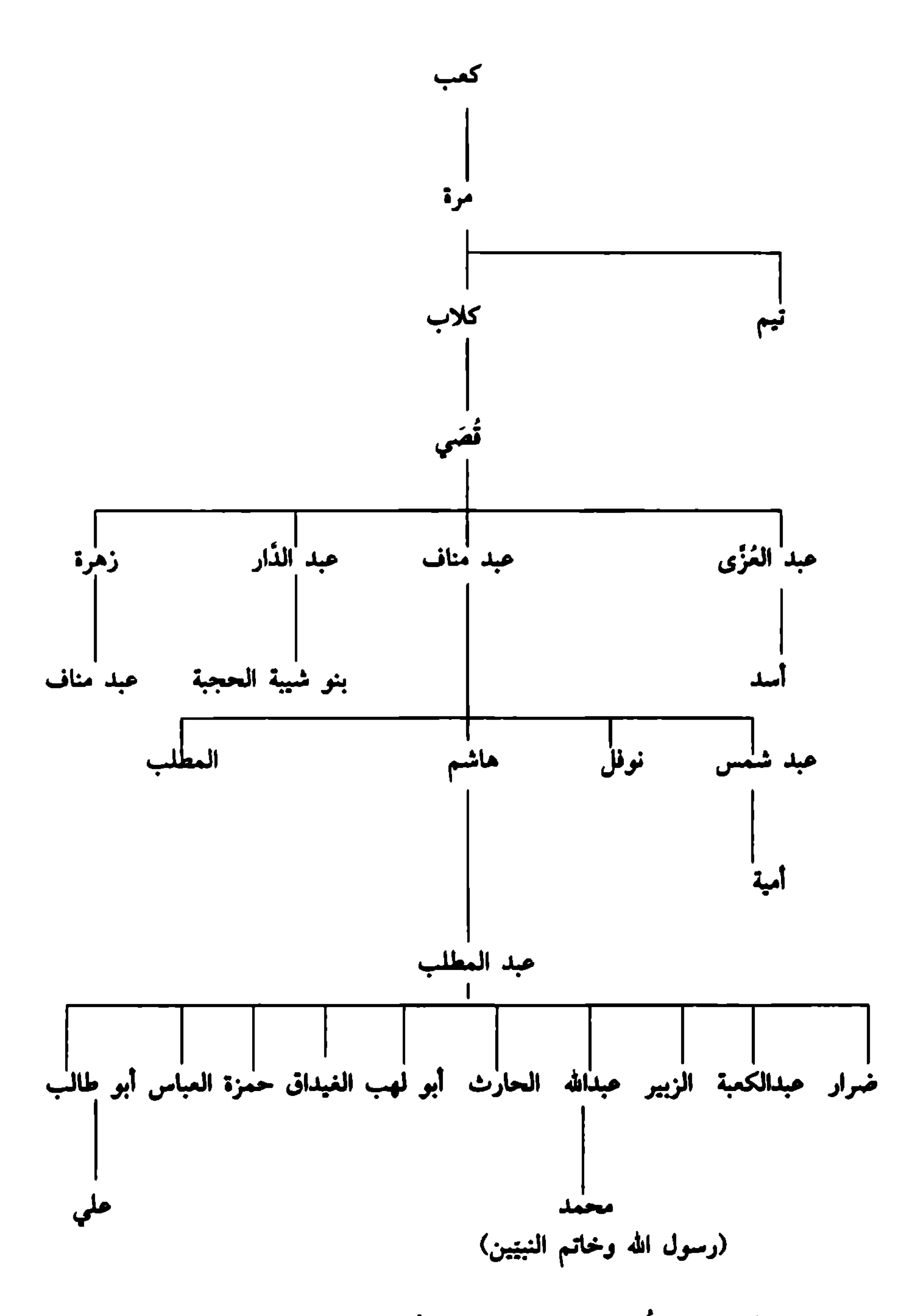
(٢) مسلم ١/ك٤٣ ب ١، وراجع الترمذي ك ٤٦ ب ١.

بعْضَ العلاقاتِ الزَّمَنِيّة بين سِلْسِلَةِ نَسَبِ الرَّسولِ الكريم وبينَ بَعْضِ الرُّسُلِ والنبيِّين الذين عاصروا أجدادَ النَّبِيّ ما وسِعَنا ذلك، وسنقسم سلسلة نسبِ النبيِّ إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول سلسلة النسب بين إبراهيم ومعد، والسلسلة الثانية بين معد وكعب، والسلسلة الثالثة بين كعب وخاتم النبيين.



الجزء الثاني من سلسلة نسب النبي:

نسب محمد		نسب عيسى على قول متى	
الاسم	السنة بالتاريخ الميلادي	الاسم	التاريخ الميلادي بالسنة
معد	حتى عام ٥٨٨ ق.م	شالتيئيل	
نزار		زربابل	نحو عام ٥٢٠ ق.م
مُضَر		أبيهود	
إلياس		الباقيم	
مُدْرِكَة		عازور	
خُزَيْمَة			
كِنَانَة			
النَّضْر		صادوق	
مالك		اليود	
فِهْر (قريش)		إليعازر	
غالِب		متان	
لُؤي		يعقوب	
كَعْب	(سنة ١١ ميلادية) (وكان معاصراً لعيسى)	يوسف (رجل مريم حسب تعبير الإنجيل)	حضر ميلاد عيسى ابن



ولدَ الرسولُ الكريم في ٢٠ أبريل/نسيان سنة ٥٧١ م (في صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول)، حسب ما تذكره

المصادر الإسلامية[1]، ونحو سنة ٥٧٠ م حسب المصادر الأخرى[2].

فلمّا تَمّ له أربعون سنة جاءه جبريلُ بالنبوَّة، وذلك في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده، فيكون عمره إذْ ذاك أربعين سنة قمرية، وستة أشهر، وثمانية أيامٍ، وذلك يوافق ٦ أغسطس/آب سنة ٦١٠ م وهو بغار حراء.

وكانت هجرته إلى يثرب في ١٦ ربيع الأول (٢٠ سبتمبر/أيلول سنة ٦٢٢ م) وانتقل إلى جوار ربه في يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هجرية (٨ يونية/حزيران سنة ٦٣٢ م) وهو في الثالثة والستين من عمره بعد أن بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة على أحسن الوجوه وأكملها[3].

٢ ـ من عقائد الناس عند بِعْثَةِ خاتَم النبيّين:

أرسل اللّهُ محمّداً رسول الله في بلاد العَرَبِ، وقد كانَتْ وقتئذٍ تموجُ بمخْتَلَفِ العقائد وشتّى الديانات، كانت تتمثَّلُ في بلاد العرب جميع الأديان المنْتَشِرَة في العالم على اختلاف صُوَرِها، وتعدّد طقوسِها ومعتقدات أهْلِها، وكانَتْ تتركَّزُ جميعُ هذه الأديان في مَكّة لتوسُّطِها بين الشام واليمن، يمرُّ بها المسافر من الشام إلى أقصى الجنوب للتجارة وتبادل السلع، كما يَمُرُّ بها المسافر من الجنوب إلى الشمال، ويتّخِذُها الجميعُ مكاناً يتزوّدُونَ منه بالماء الذي يزخر ببئر زمزم أثناء سفرهم.

---

(١) «تاريخ الإسلام السياسي» ص ٩١.

(٢) «أطلس التاريخ الإسلامي» ص ٧.

(٣) «تاريخ الإسلامي السياسي» ص ١٢٤ وص ١٩١؛ وقال ابن سعد: اشتكى رسول الله يوم الأربعاء لليلة بَقِيَتْ من صفر سنة إحدى عشرة وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول. «الطبقات الكبرى» مجلد ٢/ ٢٧٢.

وكانَتْ قوافِلُ قريش تجوب البلادَ كذلك طُولاً وعَرْضاً، يحثُّها على ذلك فَقْرُ البلاد، وعَدَمُ توافُرِ الغذاء فيها أو الماء، وكان القرشِيُّون على غَايَةٍ كبيرةٍ من النشاط والصَّبْر على التجوال، فوصلوا إلى غَزّة، وبيت المقْدِس ودمشق، وعَبَرُوا البحْرَ الأحمر إلى بلاد الحَبَشة، وكان ميناء جدّة، ويبعدُ عن مَكّة بنحو أربعين ميلاً، واسطة التجارة بينها وبين الحبشة الغَنِيّة بالتوابل، وكانَت إبِلُ قُرَيْش تحملُ من أسواق صنعاء، ومن موانىء عُمَان واليَمَن الطِّيبِ والبخور الذي كان يكثر استعماله في المعابد والكنائس والقصور في البلاد الواقعة في حَوْضِ البَحْر المتوسّط وكذلك المنسوجات الحريرية والجلد والأسلحة، وكانت تَشْتَرِي من أسواق بُصْرَىٰ ودمشق القمح والمصنوعات وزيت الزيتون والحبوب، ومن مِصْرَ المنسوجات التي كانت تسمى بالقباطي، وكانت تَرِدُ إلى موانىء بلاد اليمن من الهند والصين وغيرها من بلاد الشرق المنسوجات الحريرية والمعادن النَّفِيسة وغيرها من ضروب التجارة.

ولم يَكُنِ العربُ منعَزِلين عن العالم المحيط بهم، كما قَدْ يتبادر إلى الذهن، بل لقد ساعدتهم ظروفهم على الاتصال بمِصْرَ والحبشة والشام، والاتصال بالفُرْس والروم، ومعرفة شيء عن دياناتهم ومعتقداتهم، وكان القرشِيُّون قد اعتادوا على السَّفَر إلى الشام في الصَّيْف وإلىٰ اليمن في الشِّتاء[1]، وكان بنو عبد مناف الأربعة، يتوجَّهون للتجارة إلى مختلف البلاد، فكان هاشِم يتوجَّهُ إلى الشام، وعبد شمس إلى الحبشة، والمطّلب إلى اليمن، ونوفل إلى بلاد

(١) قال تعالى: ﴿لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [١٠٦ سورة قريش/ الآيات: ١ ـ ٤].

الفرس، وكانوا في رحلاتهم هذه آمنين على أنفسهم، وكانوا حريصين على أَخْذِ أمانٍ من الملوك الذين ينزلون إلى أراضيهم.

إنّ هذه التنقُّلات وهذه الرحلات ساعَدَتْ كما قدَّمْنا على تبادُلِ الأفكار بين العرب وبين سكان مختلف البلاد، وفَتَحَتْ مَجالاً للمجادلات الدينية، وكانَ كلُّ فَرْدٍ يحاول أن يقنع الآخر بمعتقداته الخاصّة، وكان كُلُّ رئيسٍ لفرقة من الفرق الدينية المختلفة يبذل ما اسْتَطاع من جهدٍ ليضمّ أكبر عَدَدٍ مُمْكِنٍ من الناس إلى فرقته، ليقوّي سلطانه، ويتمكَّنُ من الحصول على أوْفَرِ نصيبٍ من المال، بحُجَّةِ التقرُّبِ إلى معبودِهِ، ونوال الحظوة عنده، وبحجّة بناء المعابد أو ترميمها أو إطعام الفقراء، أو غير ذلك مما يتقنه الرؤساء الدينيون لابْتِزاز الأموال، كما كانت اليهود تَفْعَلُ مِنْ قبل، فجزاهم الله بتحريم بعض الطيّبات عليهم، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآيتان: ١٦٠ و ١٦١][1].

(١) الدهريون:

لقد جاء رسولُ اللّهِ في جزيرة العرب، وفيها الذين ينكرون الخالق إنكاراً تامّاً وينكرون البعث: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ..﴾ [٤٥ سورة الجاثية/ الآية: ٢٤].

لقد كانوا يقولون ذلك لِرسولِ اللّهِ، وهو القول نفسه الذي كانت

(١) ولقد أخبر اللّهُ أمّةَ محمد بمِثْلِ ذلك فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله...﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ٣٤].

تردّده الأفراد من عاد قوم هود، ومن ثمود قوم صالح، فكانوا يقولون: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيات: ٣٥ ـ ٣٧].

(٢) الوثنيُّون:

وكما كانَتْ قوم نوح تعبد الأصنام، وتزعم أنها شفعاؤهم في الآخرة، فشادوا لها الهياكل، وسمُّوها بأسماء خاصّة كوُدّ وسُواع ويغوث ويعوق ونَسْر، كما بَيّنّا عند الكلام عن قوم نوح، فكذلك أرسل الرسولُ الكريم، وكانَ في البلاد العربية من يعبدُ مِثْلَ تلك الأصنام، مثل: اللات، وهي مِنْ أقدم أصنامهم، وهي من الأصنام الأنثوية، لها صورة امرأة، وكانت مصنوعة من حَجَرٍ أسود يعبدُها ثقيف في الطائف، وكانت بنو ثقيف حُجّابها.

ومن تلك الأصنام: العُزّى، وكانت صَنَماً بصورة امرأة، وقيل: بصورة نخلة، يعبدُها قريش وبنو كنانة، وكان حُجّابُها بنو شَيْبَة.

ومن تلك الأصنام كذلك: مَناة، وكان يعبدها هُذَيل وخُزَاعة، بين مكة والمدينة.

وقد قال الله تعالى في هذه الأصنام: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيات: ١٩ ـ ٢٢].

ومنها: هُبَل، كان صَنَماً لعمرو بن سبأ ملك الحجاز، وكانَ أكْبَرَ أصنامهم، ويسمّونَهُ: الصَّنَمَ الأكبر، وكان منصوباً فوق الكعبة، ومصنوعاً من نحاس، وقيل: من قوارير، أي: زجاج، على هيئة رجل

ضخم، وكانوا يذبحون له، ويستخيرونه في أسفارهم وحروبهم وسائر أعمالهم اليومية العادية.

ومنها: أَساف ونَائِلة، وهما صَنَمان، الأول على صورة رَجُلٍ والثاني على صورة امرأة، جلبهما عمرو بن لُحَي من البلقاء بالشام، فوضعهما على بئر زمزم بالكعبة، ثم وضع أحدَهُما على الصَّفَا، والآخر على المروة[1].

ومنها: كثرى لِطسَمَ وجَدِيس، وتيم لبني تميم، وذو الشَّرَى للأوس والخزرج، والباجر لبني أزد، والجهار لهَوَازِن، وأوال لبني بكر وتغلب، والمحرق لبني بكر بني وائل، وسعد، وكان صخرة كبيرة قائمة في فلاة فسيحة لبني ملكان بن كنانة وغيرها، ولقد رُوِيَ أنَّ المسْلِمين أخرجوا من البَيْتِ الحرام ٣٦٠ صنماً حين فتحوا مكة في السنة الثامنة للهجرة.

قال الشهرستاني: إنّ أوّلَ من جَعَلَ الأصنام في الكعبة وعَبَدَها، فأطاعته العرب، واستمرُّوا على عبادَتِها إلى مجيء الإسلام، هو عمرو بن لُحَيّ من ولد كهلان بن سبأ، كان مَلِكَ الحجاز، وإليه تُنسَبُ خزاعة، قيل: إنّهُ سار يوماً إلى البَلْقاء من أراضي الشام، فرأى قوماً يعبدون الأصنام، فسألَهُم عنها، فقالوا: هذه أربابٌ اتَّخَذْناها على شَكْل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية نستنصر بها فننتصر، ونستسقي بها فنُسْقَىٰ؛ فأعْجَبَهُ ذلك، وطَلَبَ منهم صَنَماً من أصْنَامِهِم،

---

(١) الصفا والمروة مكانان في مكّةَ مرتفعان، يسعى بينهما الحجاج إلى بيت الله الحرام والمعتمرون، وهما من شعائر الله، قال تعالى: **﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما، ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾** [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٥٨].

فدفعوا إليه هُبَلٍ فسار به إلى مَكّة، ووَضَعَه على الكعبة.

والظاهِرُ أنَّ العَرَبَ اقْتَبَسُوا عبادَةَ الأوثان عمَّن جاوَرَهُم من الأُمَمِ، كالكَلْدان، والفِينيقِيّين وقُدَماء المصْريين، وغيرهم، وقد ضَلُّوا كما ضلّت الأُمم من قَبْلِهم منذ عهد قوم نوح وقوم إبراهيم وبني إسرائيل مِمّا بَيَّنّاه بالتَّفْصِيل من قَبْلُ.

وكانت عبادة الكواكب والنجوم منتشرةً انتشاراً كبيراً عند العرب، فكانوا يَعْبُدُون الشَّمْسَ والقَمَر وعُطارِد والزُّهْرَة، والشِّعْرَى والمُشْتَري والمرِّيخ وزُحَل وسُهَيْل والدَّبَران وغيرها.

لقد سارُوا على سَنَنِ مَنْ كانَ قَبْلَهُم من الأُمَم الضَّالَّة كقَوْمِ إبراهيم وموسىٰ اللذين أُنْزِلَ في صُحُفِهِم: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآية: ٤٩] وكأهْل سَبَأٍ وغيرِهِم، أَنْزلَ الله على رسوله الكريم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآية: ٣٧]...: ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٥٤].

ورُوِيَ أنّ العَرَبَ كانوا يقدِّمون القَرَابين لآلِهَتِهِم، ويسيرونَ في مواكبَ حَوْل معابدهم، وكانَ المُنْذِرُ بن ماء السماء (٥٠٥ ـ ٥٥٤ م) في الحِيرَةِ، يقدِّم كثيراً من أسرى المسيحيين تكريماً للسيَّار فينوس Venus (الزُّهْرَة)، كما كان يقدِّمُ عَرَبُ شبه جزيرة سيناء القرابين البشرية لنَفْسِ هذا السَّيَّار، وقد سَبَقَهُم الإسرائيليون منذ عهدٍ بَعيدٍ إلى مثل ذلك، ومِنَ المُحْتَمِل أن يكونَ لاتِّصال العَرَب الشديدِ بالمَسيحِيّين وأهْلِ الدِّيانات الأخْرَى أثَرٌ كبيرٌ في إحياءِ الحَمَاس الديني، وقد تلاشَتْ تلك القرابين

البَشَرِيَة في عَهْدِ محمّد رَسُولِ الله[1].

(٣) المَجُوس:

وكانَتِ المجوسِيّة كذلك موجودةً في جَزيرة العَرَب، وكانت في بني تَمِيم، ومنهم زُرَارَة بن عَدِيّ، وابنه علي الذي تزوّج بابْنَتِهِ حسب إباحة ذلك في دين المَجُوس.

والمجوسُ أتباعُ زَرادَشْت، وهو رَجُلٌ من أهل أَذَرْبيجان، ولد سنة ٦٦٠ ق.م، وادَّعَىٰ النبوّة، فآمن به بشتاسف، وأظهر أسبنديار بن بشتاسف دينَ زرادَشْت في العالم، ويؤمِنُ بأنّ الذي خَلَقَ الخَيْرَ هو أهُورا مَزْدا، وأنّ الذي خَلَقَ الشرّ هو أهْرمان، وكتابُه الذي يضمُّ تعاليمه يسمى: الأفيستا. وكان يحاربُ عبادَةَ الأوثان، ويسمّي نفسَهُ: نبي الإله الواحد، ويقول: أن أَهُورا مَزْدا هو الإله الأعظم، وهو أزليٌّ قديمٌ، مجرّدٌ من جميع شوائب المادّة منزَّهٌ عن كلّ أدرانِ النَّقْص، لم يولَدْ ولن يَموت، وهو رُوح الأرْواح، يرىٰ ولا يَنْظر، ولا تدركُه عَيْنٌ أو بَصَرٌ، وهو موجودٌ في كُلّ مَكانٍ، ولكنَّهُ لا يُرَىٰ في أيّ مَكانٍ، وهو يَعْلَمُ الحاضِرَ والمستقبلَ، ويعلم الغَيبَ، ويدرك دخائِلَ النفوس، وهو قديرٌ على كلّ شَيْءٍ لا يسْمُو عليه شيء قَطّ، وهو مُعِينُ مَنْ لا مُعينَ له، وراعي الفقراء والأغنياء على حَدٍّ سواء. . . ورُمِزَ إلى أَهُورا مزدا برمزَيْن مادِيّين، هما: الشمس والنار.

ويقولَ الزرادَشْتيون: إنّهم يقدّسون النارَ ولا يَعْبُدُونَها، لأنّها مقدّسة كَرَمْزٍ[2]، وقد انقسمَتِ المجوسُ إلى فِرَقٍ كثيرةٍ، لِكُلّ منهُما

---

(١) «تاريخ الإسلام السياسي» ص ٨٥ عن:

Noeldeke, Historian's History of the World, vol, VIII pp. 9-10.

(٢) «قصة العقائد بين السماء والأرض» ٢٤٠ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ص ٨٦.

معتقدات تتميَّزُ بها على الأُخْرَى، ويقولُ أبو حامد الزُّوزَنِي: إن المجوسَ زَعَمَتْ أنَّ إبليسَ كانَ لم يَزَلْ في الظلمة والجوّ الخلاء بمَعْزِلٍ عن سلطان الله، ثم لَمْ يَزَلْ يزحَفَ ويقرب بحيلةٍ حتى رأى النور، فوثَبَ وثَبَتَ، فصار في سلطان الله في النُّور، وأدْخَلَ معه هذه الآفات والشُّرور، وخلقَ اللّهُ هذا العالم شَبَكَةً له، فوقَعَ فيها، وصارَ مُتَعلِّقاً بها لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه، فهو محْبُوسٌ في هذا العالم، مضطرِبٌ في الحَبْس، يرمي بالآفات والمِحَن والفِتَنِ إلى خَلْقِ اللّهِ، فمَنْ أحياهُ اللّهُ، رماهُ بالمَوْت، ومن أصحَّه رماه بالسّقْم، ومن سَرَّه رماه بالحُزْن، فلا يزال كذلك إلى يوم القيامة، وكلُّ يَوْمٍ يَنْقُصُ سلطانُهُ حتى لا يَبْقَى له قوّة، فإذا كانَتِ القيامَةُ ذَهَبَ سُلطانُه، وخمدَتْ نِيرَانُهُ، وزالَتْ قُوّتُهُ، واضمَحَلَّتْ قُدْرَتُهُ، فيطرحُهُ في الجَوّ، والجوُّ ظلمةٌ ليس له حَدٌّ ولا مُنْتَهَى، ثم يجمعُ اللّهُ أهْلَ الأديان فيحاسبهم ويجازيهم على طَاعَةِ الشيطان وعصيانه(١).

(٤) اليَهُودِيَّة:

وكانَتِ اليَهُودِيّة في زَمَنِ الرسول الكريم في بني نُمَيْر، وبني كِنانة، وبني الحارث بن كعب، وبني كِنْدَة.

ويقال: إنّ الّذي أدْخَلَ اليهوديّة بين العرب زُرْعَة بن كعب بن حَسّان أحد ملوك اليمن، الملقب بذي نُواس الحِمْيَري، وكان اسمه: يوسُف، وقد تهوّدَتْ معه أهلُ اليَمَن، في أواخر القرن الخامس للميلاد، ودعا أهْلَ نَجْران ليتحوّلوا عن النصرانيّة إلى اليهودية فأبوا، فاحْتَفَرَ لهم أُخدوداً فيه النار، وألْقَى فيه من ظَفِرَ به منْهُم، ونرى أنّ

---

(١) «الملل والنحل» ص ٦١، ٦٢.

اليهود نَزَحوا من أورشليم وفلسطين إلى الجنوب فراراً من غزوات نَبُوخَذْ ناصِر، وفراراً من بَطْشِهِ وتنكيله بهم، ومن البلاد الَّتِي استعمروها يَثْرِب، مدينة رسول الله، وكان يهودُ يَثْرِب ثلاث قبائل: بَنُو النَّضِير، وبَنو قَيْنُقَاع، وبنو قُرَيْظَة.

ومن البلاد التي اسْتَعْمروها كذلك تِيمَاء وفَدَك وخَيْبَر ووادي القُرَىٰ[1].

وكانَتِ اليهودُ فقدتِ التوراةَ الَّتي أُنْزِلَتْ على موسىٰ منذ حَرَق بُخْتُنَصَّر الهيكل الذي قالوا: إنّ اللّه أمر موسى أن يحفظها فيه[2]، وبعد حَرْقِ أورشليم وسَبْي اليهودِ إلى بابل كما قدَّمْنا؛ ففقدَتِ اليهودُ سَنَدَها الأصلي الذي كانت تَرْجِعُ إليه، فضلُّوا سَوَاء السَّبيل، ولكنَّ اللّهَ أَرْسَلَ إليهم أنبياءه ليهدونهم إلى شريعَةِ موسىٰ، ويردُّوهُم إلى عبادَةِ الله وحده لا شريك له، فلقي أنبياؤهم منهم كلَّ معارضة وإعراض، ولقد رأينا كَيْفَ عَبَدُوا البَعْل، ملوكهم وأحبارهم وعامتهم مِن قبل، وكيف لاقى منهم إلياسُ أشدّ الصِّعاب في محاولة رَدِّهم إلى الله تعالى والإيمان به. ثم كيفَ استمرَّتْ فيهم عبادَة البَعْلِ بعد موتِ إلياس، وكان الشَّعْبُ لا يزالون يذبحون ويوقدون على

(١) «فجر الإسلام» ص ٢٧.

(٢) قالوا: إن الله قال لموسى: فاكتب على اللوحَيْن الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذيْن كسرتهما وتضعهما في التابوت (تثنية ١٠: ٢) وذكروا أن موسى قال: ثم انصرفتُ ونزلت من الجبل، ووضعْتُ اللوحَيْن في التابوت الذي صنعت، فكانا هناك كما أمرني الرب (تثنية ١٠: ٥) ولم يكن لأحد من اليهود أن يحصل على التوراة، فقد كان الموكَّلُ بها أحَدٌ من سِبْط لاوي، قالوا: في ذلك الوقت أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب ولكي يقفوا أمام الرب ليخدموه ويباركوا باسمه إلى هذا اليوم (تثنية ١٠: ٨).

المرتفعات (الملوك الثاني ١٤ : ٤) فأرسَلَ اللّهُ إليهم ٱلْيَسَعَ ليردّهم كذلك إلى اللّهِ وطرح عبادَةِ التماثيل والأوثان.

ولقد ذَكَرُوا في كُتُبِهم السَّبَبَ الذي من أجْلِهِ سلَّط الله عليهم مَنْ قَهَرَهُم، وأذلّهم وسَباهم وحَرَق بلادهم، فقالوا: وعَمِل بنو إسرائيل شرّاً ضد الربّ إلَهِهِم أموراً ليست بمستقيمة، وبنوا لأنفُسِهم مرتفعات في جميع مُدُنِهم، ومن بُرْجِ النواطير إلى المدينة المحصّنة، وأقاموا لأنفُسِهم أنصاباً وسواري على كلّ تَلّ عالٍ، وتحتَ كلّ شجرةٍ خضراء، وأوْقَدُوا هناك على جميع المرتفعات، مثل الأمم الذين ساقَهُمُ الرّبُّ من أمامِهم، وعَمِلوا أموراً قبيحةً لإغاظة الرّبّ، وعبدوا الأصنام التي قال الربُّ لهم عنها: لا تَعْمَلوا هذا الأمر. وأشهدَ الرّبُّ على إسرائيل وعلى يهوذا عن يَدِ جميع الأنبياء وكلّ راء قائلاً: ارجعوا عن طُرُقِكم الرّدِيّة، واحفظوا وصاياي وفرائضي حسب كلّ الشريعة التي أوْصَيْتُ بها آباءكم، والتي أرْسَلْتُها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء، فلم يسْمَعُوا، بل صَلَبُوا أقْفِيَتَهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرّبّ إلَهِهِم، ورَفَضُوا فرائِضَهُ وعَهْدَهُ الذي قَطَعَهُ مع آبائهم وشهاداته التي شَهِدَ بها عليهم، وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً ووراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب ألا يعملوا مثلهم. وتركوا جميع وصايا الرب إلَهِهِم، وعَمِلُوا لأنْفُسِهِم مسبوكات من عِجْلَيْن، وعملوا سواري، وسجدوا لجميع جند السماء، وعبدوا البَعْلَ، وعبَّرُوا بنيهم وبناتهم في النار، وعَرَفُوا عِرَافة، وتفاءلوا وباعوا أنفسهم بعمل الشر في عيني الرب لإغاظته. فغضب الربّ جدّاً على إسرائيل، ونحاهم من أمامه. ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده. ويهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب إلههم، بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها، فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلّهم ودَفَعَهم ليَدِ ناهبين حتى طرحهم من أمامه، لأنّهُ شَقّ

إسرائيل عن بيت داوود، فملكوا يَرُبْعَام بن نَبَاط، فأبعد يَرُبْعَام إسرائيلَ من وراء الربِّ، وجعلهم يخطئون خطيئةً عظيمةً، وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يَرُبْعَام التي عمل لم يحيدوا عنها، حتى نحى الربّ إسرائيل من أمامه كما تكلّم عن يَدِ جميع عبيده الأنبياء، فسبىٰ إسرائيل من أرضه إلى أَشُورِ إلى هذا اليوم (الملوك الثاني ١٧ : ٩ ـ ٢٣)[1].

وقالوا: إن إشَعْيَاء (٧٥٩ ـ ٧٠٠ ق.م) كان يَصِفَهُم بقولِهِ: ولكن هؤلاء أيضاً ضلُّوا بالخمور، وتاهوا بالمُسْكِر. الكاهن والنبي ترنّحوا بالمسْكِر، ابتلعتهما الخمر، تاها في المُسْكِر، ضلاَّ في الرؤيا، قَلِقا في القضاء (أشعياء ٢٨ : ٧) وقال: إن الله كان يقول فيهم: هذا الشعب قد اقترب إليّ بفمه، وأكرمني بشَفَتَيْه، وأما قلبه فأبعدَهُ عني. . . لذلك ها أناذا أعود أصنع بهذا الشعب عجباً وعجيباً، فتبيد حكمة حكمائه، ويختفي منهم فهمائه. (إشَعْيَاء ٢٩: ١٣ و ١٤).

لقد كانوا يَقْتُلون أنبياءَهُم[2]، ويكذِّبون رسالات رُسُلِهم، حتى جاءَهُم زكريا ويحيىٰ وعيسىٰ ابن مريم فكذّبوهُم، واستبدلوا بالتوراةِ كُتُباً كتبوها بأيديهم، لَعِبَتْ فيها الأهواء دوراً عظيماً، حتىٰ إنّك لا تجد سنداً متّصلاً لأيّ كتاب من الكتب التي يحويها العهد القديم، وذلك بشهادَةِ رؤسائهم ومؤرّخيهم، ولقد رأينا كيف كَتَبَ المسيحيّون أنّ عيسىٰ كان يوبّخهم على سَيْرِهم حسب أهوائهم، وطرحهم العقائد

---

(١) قال تعالى: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٧٩].

(٢) ذكروا أن نَحَمْيَا (٤٤٦ ـ ٤٣٤ ق.م) كان يقولُ في بني إسرائيل أنهم عصوا الله وتمرَّدُوا عليه، وكانوا يقتلون أنبياءهُ، وهذا هو نَصُّ ما في كتابهم: وعصوا وتمردوا عليك. وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم، وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك وعملوا إهانة عظيمة (نَحَمْيَا ٩: ٢٦).

الأساسية في الدين، وقصر تمسُّكهم على بَعْضِ الطقوس التي ينالون بها عَرَضاً من أعراض الدنيا، فحرَّضُوا الرومان على قَتْلِهِ لولا أن نَجَّاهُ الله، ورَفَعَ على الصليب رجلاً آخراً ألقى اللّهُ شبهَ المسيحِ عليه.

جاءتِ الرِّسالَةُ المحمَّدِيّة واليهودِيّة لا يَمْلِكون سوىٰ بعض الكتب التي كتبها أجدادُهُم[1]، وليسَ فيها ما نَستطيع أن نقولَ: إنَّه يَحْمِلُ بَعْضَ الصواب إلا القليل النادر، الذي لا يَتعارَضُ تعارضاً صريحاً مع القرآن، والذي شاءَ اللّهُ أن يَبْقَىٰ عليه لتقوم عليهم الحجّة، خاصّةً فيما يتعلّق بالبشارات التي كانت تبشِّرُ بمجيءِ عيسىٰ من قبل، وبرسالة خاتم النبيين من بَعْدُ، وليظهر كذلك التناقض الذي يثبت تحريفهم للوصايا التي أوصاهم بها الله وليظهر أمام العالم كلّه تاريخ إلحادهم، وعصيانهم أوامر ربهم، ومروقهم عن الدين، واتخاذهم لعقائد باطلة، وعبادتهم للأصنام، وقتلهم للأنبياء، وتصليبهم أقفيتهم: كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم (الملوك الثاني ١٧ : ١٤).

بل وليرى الناسُ كلُّهم كَيْفَ حشوا كُتُبَهُم أقوالاً تتعلَّق بالجِنْسِ، تضربُ مثلاً لاستهتارهم بالوحْي حين ينسبونها إلى الله، مثال ذلك ما ادَّعوا أنّه أُوحِي إلى سليمان رسول الله، فقد قالوا: إنَّ الله أَوْحىٰ إلى سليمانَ بن داود أن يقول: ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم، دوائر فخذيك مثل الحلي صنعه يد صناع، سرتك كأس مدورة لا يُعْوِزُها شراب ممزوج، بطنك صبرة حنطة مُسَيَّجَة بالسوسن، ثدياك كَخَشْفَتَيْن توأمي ظبية. عنقك كبرج من عاج... ما أجملك وما

---

(١) قال تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٧٩].

أحلاك أيتها الحبيبة باللّذّات. قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد، قلت: إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها، وتكون ثدياك عناقيد الكرم. ورائحة أنفك كالتفاح. وحنكك كأجود الخمر. من لحبيبتي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين... ليتك كأخ لي الراضع ثديي أمي فأجدك في الخارج فأقبلك ولا يخزونني، وأقودك وأدخل بك بيت أمي وهي تعلّمني فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني. شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني، أحلفكن يا بنات أورشليم ألا تُيَقِّظْنَ ولا تُنَبِّهْنَ الحبيب حتى يشاء... قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه. قد غسلت رجليّ فكيف أوسخهما. حبيبي مد يده من الكوة فأنّت عليه أحشائي. قمت لأفتح لحبيبي ويداي تقطران مُرّاً. وأصابعي مر قاطر على مقبض القفل. فتحت لحبيبي ولكن حبيبي تحول عني ومرّ. نفسي خرجت عندما أدبر. طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابني. وجدني الحرس الطائف في المدينة ضربوني، جرحوني، حفظة الأسوار رفعوا إزاري عني. أحلفكن يا بنات أورشليم إن وجدتن حبيبي أن تخبرنه بأني مريضة حُبّاً[1]... وهكذا ترى صورة من الكلام الذي يؤمن اليهود بأنه من إلقاء الوحي الإلهي.

كانت بعض اليهود تتمسّك وتتشدّد في الطقوس المدوّنة في الكتب التي بين أيديهم، وهم الذين يسمون فاورش، بالعبرية، ويسمّيهم العهد الجديد الفرّيسيّون Parisee، وهم الذين قيل: إن المسيح كان يسميهم هم والكَتَبَة: الحيات أولاد الأفاعي (متى ٢٣ : ٣٣) كما قدّمنا.

ومنهم من كانَ يقدِّسُ تعاليمَ بَعْضِ رؤسائهم الدينيّين التي يقولون: إنّها تووَرِثَت شفوياً من عهد موسىٰ وجَمَعَتْ في الكتاب

(١) نشيد الإنشاء (٧: ١ ـ ١٣) و (٨: ١ ـ ٤) و (٣: ١ ـ ٥) و (٥: ٣ ـ ٨).

المسيحي: التلمود، وفي الكتاب الذي يطلقون عليه اسم: المِشْنَة، وهو جُزْءٌ من التلمود، يضمُّ مجموعَ المتون مضافاً إليه حواشيه المعروفة بالجيمارة، أي: «التتمة» وهي عبارة عن الشُّروح والاستنتاجات التي بناها حاخاماتهم المتأخِّرون على نَصِّ المِشْنَة نفسها.

وذكروا أنَّ هذه التعاليم الشفاهية كان يحرمُ عليهم كتابَتُها، إلا أنَّ بَعْضَ التلامذة كان يدوِّنُ شيئاً من محفوظاته وشروح أستاذه في درج صغير، وكان يحفظه لنفسه خِفْيَةً عن أستاذه إلى أن كثرت تلك الألواح المعروفة باسم: المجلات المخبوءة، وتضارَبَتْ فتوحَّدَتْ كلّها بالمِشْنة، وأهمل منها ما لم يوافقوا عليه.

قيل: وخَشِيَ على هذه التعاليم الشفوية من الضّياع، فتشاور حاخاماتهم في رفع المنْعِ من تدوينها، فاتَّفَقُوا على كتابَتِها، وأول من فكر في هذا شمعون الثالث (سنة ١٦٦ م) وأوّلُ من شَرَع في كتابَتِها ابنه يهودا هناسي (سنة ٢١٦ م).

ومما تجدر الإشارة إليه، أنَّ المِشْنَة لم تذيّل كلها بالجيمارة في زمنٍ واحدٍ، لهذا وجد تلمودان، أحدهما المعروف بالأُورشليمي، وهو الأقصر (وهو المدوّن في القرن الثالث من الميلاد)، والثاني، وهو أهمّها عندهم، ويسمى: التلمود الكبير، أو التلمود البابلي، الذي يحتوي على ما ينوف عن ثلاثين مجلداً[1]. والمعروف أنّ التلمودَ الأخير أُلِّفَ في ابتداء القرن السادس الميلادي في بابل، وهو المعتمد اليوم عند اليهود دون التلمود الأورشليمي.

وفي هذا التلمود عقائد تخالف كثيراً ما يُفْهَمُ من كُتُبِ العهد

---

(١) مختصر من كتاب «التلمود أصله وتسلسله وآدابه».

القديم، ففيه مثلاً أن الله: لا شغل له في الليل غير تعلّم التلمود مع الملائكة، وأنّ النهار اثنا عشر ساعة: في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، وهذا الحوت كبير جداً يمكن أن يتسع حلقه لسمكة طولها ثلاث مئة فرسخ دون أن تضايقه. ونظراً لِكِبَرِ حجمه فقد رأىٰ الله أن يحرمه من زَوْجَتِهِ، لأنه إن لم يفعل ذلك امتلأت الدنيا وُحوشاً تهلك من فيها، ولهذا حَبَسَ اللّهُ الذَّكَرَ لقوَّتِهِ الإلهية وقتل الأنثى وملحها وأعدّها لطعام المؤمنين في الجنة...[1] إلى غير ذلك من عقائد أخرى خاصّة تتعلق بالملائكة والجن والشياطين وغيرها.

وتعتَقِدُ اليهودُ إلى اليوم أنّ العهد القديم (أي: الناموس المكتوب) ناقِصٌ ومبهمٌ في كثير من المواضع، ولا يكون اليهودي عندهم مؤمناً إيماناً كاملاً إلا إذا صدق بالقانون الشّفاهي (التلمود البابلي)، ولو خالف ما فيه ما جاء في العهد القديم.

واليهودُ فِرَقٌ مخْتَلِفَةٌ، فالَّذِينَ منْهُم لا يصدّقون إلا بِكُتُبِ العَهْدِ القَدِيم المنسوبِ منها إلى موسىٰ وهارون، وهم السّامرة، ومنهم من يؤمن بكُتُبِ العَهْدِ القديم كلّها الخمسة والعشرين وهم باقي اليهود.

ومنهم العنانية، ويقولون: إن عيسى ليس نبيّاً، وإن كان رجلاً صالِحاً جاء لتقرير شريعة موسى، وكتُبُ العَهْد الجديد ليست بكتاب له، بل الإنجيل جمعه بعض تلاميذه.

ومنهم المعادية وهم كالباطنية[2].

---

(١) «قصة العقائد بين السماء والأرض» ص ٣٣٣.

(٢) «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ص ٨٢ و ٨٣.

(٥) المَسِيحِيّة:

وكانت المسيحيّة منتشرةً في قبائل تَغْلِب وغسّان وقُضَاعة في الشمال، وفي بلاد اليمن في الجنوب، وكانت كذلك في ربيعة وتَنُوخ وحِمْيَر وبَهْرَا وبعض طَيّ وعرب الحِيرَة الذين تنصَّرُوا مع مَلِكِهم النعمان بن المنْذِر، وجاءَتِ النصرانيّة من الجنوب عن طريق الحبشة ومن الشمال عن طريق سورية وشبه جزيرة سيناء الآهلة بالأديرة والصوامع[١] وكان لأباطرة الرومان في القرن الرابع الميلادي دَخْلٌ ملحوظٌ في دخول النصرانية إلى شِبْهِ الجزيرة.

وكانت نجران، أهمّ موطن للنصرانية في جزيرة العرب، وكان ذو نُواس قد قتل أهلها كما ذكرنا من قبل، ولكنهم اسْتَنْجَدُوا بالحَبَشَةِ فأنجدوهم، وهَزَموا ذا نُواس سنة ٥٢٥ م، وقِيلَ: كان بنَجْران كعبة بناها بنو عبد الموان بن الديّان الحارثي على بناء الكعبة وعظَّمُوها مضاهاةً للكعبة، وسَمُّوها كعبة نجران. وكان فيه أساقفة معْتَمُّون.

وكانَتِ النّصْرانِيّةُ قد انْقَسَمَتْ إلى جملةِ فِرَقٍ تسرَّبَ منها إلى جزيرة العرب فرقتان كبيرتان، النّسَاطِرَة واليَعاقِبَة، فكانت النّسْطورِيّة منتشرةً في الحِيرَة، واليعقوبيّة في غسّان وسائر قبائل الشام؛ كذلك كانَتْ هناك صوامع في وادي القُرَىٰ[٢].

أمّا النّساطِرَة، فيسمُّون باسْمِ نَسْطور بِطْرِيرَك القسْطَنْطينية، ويعتقدون أنّ مريم وَلَدَتِ الإنسان، أي: جسم المسيح، ولم تلد الإله، أي: نفس المسيح، وأنّ الله ولد الإله «المسيح» ولم يلدِ

---

(١) «تاريخ الإسلام السياسي» ص ٨٦.

(٢) «فجر الإسلام» ص ٢٩ و ٣٠.

الإنسان. واليعاقبة يقولون: إن روح الله اخْتَلَطَ ببَدَنِ عيسىٰ اختلاط الماءِ باللَّبَن، وأنَّ المسيحَ هو الله تعالى نفسه، وتَنْتَسِبُ اليعاقبة إلى يعقوب البَرْذَعاني الذي كان راهباً في الرُّهَا[1].

ويزيدُ عَدَدُ الفِرَقِ المسيحية عن ٧٢ فرقة، يتشعَّبُ كلٌّ منها إلى مذاهب لا حَصْرَ لها، وأهمُّ هذه الفرق: فرقة تقول بألوهية المسيح وأمّه كِلَيْهما، وهي الفِرْقَةُ التي يعنيها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ . .﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ١١٦][2].

لَبِثَ المسيحيون أكثر من ثلاثة قرون وليس لهم كتابٌ معيَّنٌ يسيرون عليه، أو لديهم نظام ديني خاص يتبعونه، ولم يَبْدأ المسيحيّون في جمع شَمْل أنفسهم إلا في أوائل القرن الرابع الميلادي، فقد اجتمعَ أكثرُ من ألف رئيسٍ ديني في نيقية Nice، وعقدوا مؤتمراً عامّاً سموه: مجمع نيقية العام؛ لينظروا في الأناجيل المختلفة التي بين أيديهم، ويزيد عددها عن الخمسين، وليبحثوا الرسائل والكُتُب التي لا عَدَدَ لها الموزّعة في مختلف بقاع العالِم، وذلك لعلّهم يسْتَخْلِصون من بين هذه كلّها الكُتُبَ التي يغلبُ على ظَنّهم صحّتُها منها، والتي قد توحّدُ وجهتَهم وتهديهم سواء السُّبُل.

وانعقد مجمع نِيقِيَة العام سنة ٣٢٥ م، فانقسم الأعضاء إلى فريقين، أمّا الفريق الأول فقد كان برئاسة آريوس رئيس الموحِّدين الذي يرى أنّ المسيح مخلوق، وأنه عبد الله، وأن الجُمَل والمحرّرات

---

(١) «الفصل في الملل والنحل» ص ٤٨ و «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ص ٨٤.

(٢) «المسيح والتثليث» ص ١٠٤.

القديمة التي يُدَّعَىٰ أنها تؤيد التثليث وتجسّد المسيح محرّفة وزائفة؛ وأمّا الفريقُ الثاني، فقد كان على رأسِه الشماس أثناثيوس الشاب الذي يرى أنّ المسيح إلهٌ تامٌّ، وأنّه متَّحِد الجَوْهَر.

فكان طبعي أن يتنازعَ الفريقان، ويشتد بينهما الخلافُ، ولقد ذكر المؤرّخان المشهوران: سقراط، وسوذينون، أنّ الآباء الروحانيين نسوا جميعاً سَبَبَ اجتماعهم، فتشاتموا، وتنابَذوا بالألقاب، وأظهر كلٌّ منهم مساوىءَ خَصْمِه، واتّسعتْ بينهم شِقَّة الخِلاف، حتى تضارَبُوا، فتدخَّل حينئذٍ الأمبراطور في الأمر، وذلك بعد أن تبطّن رأي صديقه ومواطنه البابا، وقد كان الأمبراطور قسطنطين وثنياً، وقد روى عنه صديقه أبوسيبوس بسقيوس قيصريه أنه لم يتنصّرْ إلا قُبَيْلَ وفاتِهِ وهو أسير الفراش.

وطبيعي كذلك أنْ يَنْتَصِرَ الأمبراطور للفريق الأقرب إلى مبادئه ومعْتَقَداتِهِ، فطرد ما ينوف عدده على السبع مئة من الرؤساء الروحانيين الموحّدين من المجْمَع، وهم ثلثا أعضائه، ونفىٰ كثيراً منهم من البلاد، ثم قتل رئيسهم آريوس مع كثيرين معه، وهكذا تحقّق معنى جملة جاءت في إنجيل يوحنا على اعتبار أنّها من قول المسيح، وهي: سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كلٌّ مَنْ يقتلكم أنه يقدِّمُ خذمةً لله، وسيفعلون هذا لكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني. (يوحنا ١٦: ٢).

ونحن لا نَسْتَبْعِدُ أنْ يقولَ المسيحُ هذا القول الذي يذكر حادثاً يعتبر أهم حادث وقع في التاريخ المسيحي بأسْرِهِ، حيث تقرّرت في هذا المجمع الكتب المتداولة بينهم حتى الآن، واتّجَهَ الدينُ هذا الاتجاه الحالي الذي لم يقرّه سوى ثلث أعضاء المجمع المذكور، بواسطة الأمبراطور الوثني، وبذلك يكون المسيحُ قد تنبّأَ عن ثلثي

الأعضاء الذين نالهم من التعذيب والنفي والقتل ما نالهم، في سبيل عقيدة التوحيد الحَقَّة.

بقي من الأعضاء ٣٨٠ عضواً، وهم ثلث الأعضاء، فانقسموا هم كذلك بدورهم على أنفسهم إلى ثلاث فرق، ولكن المعارضين من هؤلاء اضطروا أخيراً إلى وضع إمضاءاتهم على الوثيقة المشهورة (بعقيدة نيقية) خوفاً على أنفسهم من التعذيب والنفي، وخوفاً على أرواحهم من الضياع.

وهكذا شاءت إرادة الأمبراطور قسطنطين الوثني أن يختار من بين الأكوام المكدّسة المتراكمة من الكتب المختلفة والرسائل والمذكرات سبعاً وعشرين رسالة، وجهت المسيحين هذا التوجيه العقائدي الموجود عند السواد الأعظم من مسيحيي اليوم[1].

ولقد تمخّص مجْمَعُ نيقية عن ثلاث مسائل هامّة، هي اليوم أساس الكنيسة وشعارها، وهي الإشراك بالله، حسب ما سنبيّن بعد، وعبادة الصور والتماثيل، والأفخارستيا الذي يطلق عليه اسم: العشاء الرباني؛ وهو مما لا يتّسِعُ لتحليل فكرَتِهِ وبيانها هذا المقام.

٣ ـ العقائد الإسلامية:

وهكذا جاءَتْ رسالَةُ خاتَمِ النبيّين في هذا الزمن الذي تتلاطَمَ فيه أفكارُ أهْلِهِ في بَحْرٍ خِضَمّ من العقائد الباطلة المختلفة المتزاحمة المتخبّطة في دياجيرَ من الأوهام والظنون والأحلام.

---

(١) «المسيح والتثليث» ص ١٣٠ ـ ١٣٣ ونرجو مراجعة الردّ على هذه العقائد التي أوْجدها مجمع نيقية العام في الكتاب المذكور.

بَعَثَ اللَّهُ رسولَهُ الكريم في هذا الوقت الذي آن فيه أن تُنقَذَ البشرية من الهاوية السّحِيقَة التي تردّت فيها وماجَتْ في دُجُنَّاتِها، وأنْ تمتد إليها يَدُ الرحمة لترفعها إلى المستوىٰ السَّوِي السامي الذي يخلق بها أن تحيا فيه، ولتعاونها على الأَوْبَةِ إلى العقائد الصحيحة التي تضمَّنَها الدين الإسلامي الذي حمل مشاعله الرسل والنبيّون منذ فجر البشرية عبر القرون والأجيال.

جاءَتِ الرسالةُ المحمَّدِيّة لتخلِّصَ العقولَ مِمّا لَحِقَها من وساوس الشياطين وخِدَعِ المختَرِفين بالدِّين، ولترفع سَيْفَ الحَقِّ على أئمة الكُفْرِ وزعماء الباطل والمجادِلين ضدّ الحقّ، ولتحرّر الأفكار مما لَحِقَها من شوائب الشِّرْك التي تمكّنَتْ من قلوبِ الناس، وتأصَّلَتْ في نفوسهم، وَوَرِثَها الأبناء عن الآباء، وَوَرِثَها الآباءُ عن الأجْداد، واعتنقوها كحقائق مُسَلِّمٍ بها من غَيْر تَرَوٍّ أو تأمُّلٍ أو تَفْكِيرٍ.

بَعَثَ اللَّهُ الرسولَ الكريمَ ليبيِّن للناسِ سبيلَ الرّشاد. وليحقّ الحقّ وليُبْطِلَ الباطل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ٣٣] و [٦١ سورة الصف/ الآية: ٩].

أُرْسَلَ النبيُّ في حقْبة من التاريخ كانَ الإنسانُ فيها قد بَلَغَ من النُّضوجِ العقلي درجةً تؤهِّلُه إلى توجيه تفكيرِهِ صوبَ المنطِق السَّلِيم، وتمكنه منْ إدراكِ الحقائق التي عجز أسلافُهُم عن إدراكها، وتيسَّرَ له الاقتناع الذي تؤيِّدُه المشاهدات من الحِسِّيّات والمعنويات التي لا يتطرّق إليها الشّك، ولا يحولُ دون التَّسْلِيم بها إلا المكابرة وتغلّب سلطان الهوىٰ والعناد.

لم تَعْتَمِدْ رسالَةُ خاتَمِ النبيين على مجرَّدِ الدلائل الحِسِّيَّة التي كان

لها الشأنُ الأوّلُ في العهود الماضِيَة، والتي سَلَّحَ اللّهُ بها رسلَهُ وأنبياءه من قَبْلُ كما قدَّمنا في البحوث السابقة، والتّي لم يعتمد عليها خاتَم النبيين في رسالته إلى ما جاءَ منها على سبيل أنّها في المرتبة الثانية من مراتب الإقناع التي تَلْزمُ في بعض الأحيان للشواذ من الأناسي الذين لم يبلغوا بعد درجة النضوج العقلي الملائم.

لقد خَلَتْ رسالةُ خاتم النبيين من معجزات إحياء الذين عاجلهم الموت، وتحويل العصا إلى حية تَسْعَىٰ، وما شاكَلَ ذلك، بل كانت معجزاته من نَوْعٍ آخَرَ، كإحياء موتى القلوب وتحويل الناس من مجرَّد صُوَرِ آدمية إلى آدميين تدبُّ فيهم روح الحياة الحقيقية الخليقة بالإنسان، ولذلك خاطب الله عباده بمثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [٨ سورة الأنفال/ الآية: ٢٤].

لقد سألَ بَعْضُ القوم من النبي معجزات ماديَّة بحتة، كتلك المعجزات التي بالرغم من ضخامتها لم يؤمن بها المارقون من قبل، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ ..﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٥٩] ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآيتان: ٦٨ و ٦٩].

لقد كانَتِ الآيَةُ الكبرى الدالّة على رسالة خاتم النبيين هي القرآن الكريم، بما حَوَىٰ من آيات التوحيد والعقائد الصحيحة، وبما حَوَىٰ من أخبار الأُمَمِ التي توجِبُ الاتّعاظ والاعتبار، والتي لم تَخْلُ منها

رسالات النبيين منذ خلق آدمَ إلى تاريخ الرسالة المحمدية، وبما حوى من الحقائق العلمية الأخرى على اختلاف فروعها وشُعَبِها مما استدلّ ببعْضِهِ أولو العزم من الرسل على وجْهِ الخُصوص عند محاولة إقناع ذوي العقول القابلة للفَهْم والإدراك.

أرسلَ اللّهُ مُحمّداً بالقرآن الكريم للنّاسِ كافّةً، وناداهم قائلاً: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيتان: ١٥ و ١٦].

(١) التوحيد:

لقد جاءَ الإسلام منذُ خُلِق البَشَر بالتّوْحيدِ الخالِصِ الذي لا يشوبُهُ شيءٌ من الشّرْكِ، حمله الرُّسُلُ والنبيّون إلى الناس كافّةً على طولِ حياتِهِم الإنسانية، لتتحقّق لهم سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وليطهروا أنْفُسَهُمْ مِنْ ما تحمله عقيدة الإشراك مما يلوّث النفوسَ وينحطّ بها عن المستوى اللائق بالإنسان، الذي خلقه الله ليكون مرتفعاً عن الطبيعة الحيوانية المنحطّة، وليحميه من إذلال نفسه واحتقارها بتقديم العبادة وإجراء الطقوس الدينية لمخلوقات لا تملك لهم ضرّاً ولا نفعاً: ﴿..وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ..﴾ [٦٣ سورة المنافقون/ الآية: ٧].

(أ) وجود الله:

ردّ رسولُ اللّهِ على مُنْكِرِي وجودِ الخالق كما رَدَّ النبيّون من قَبْلُ، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ [٥٢ سورة الطور/ الآيات: ٣٥ ـ ٣٧].

لقد رَدَّ اللّهُ على مُنْكِرِي الألوهية بالمنْطِقِ السَّلِيم، فهم بَيْنَ أَمْرَيْن: إما أن يكونوا قد خُلِقُوا من غير شيءٍ، وهو محالٌ، لأنهم مصوَّرُون في هياكل محدودة، وكل محدود قابل للزيادة والنقصان، ووجوده في حدوده يحتاج لِمُوجِدِ، فالموجدُ هو الله. وإما أنْ يكونوا قَدْ خَلَقُوا أنفسَهُم، ويقتضي هذا حدوث الله، وهو محالٌ، كذلك ما داموا لا يقدرون على الخَلْقِ فهم بالأحْرَى لم يخلقوا السماوات والأرض ولا يَمْلِكون خزائن الله ولا يملكون السيطرةَ على هذا الكَوْنِ، فكيف يكفرون بوجود الخالق؟

لقد أثْبَتَ مِنْ قَبْلُ إبراهيمُ وجودَ الخالق لقَوْمِهِ فيما حكاه عنه من استعمال تلك الطريقة المنطقية الصادقة، وتتلخّصُ هذه القضية المنطقية في أنّهُ فَرَضَ أنّ الكوكب هو الخالق: ﴿.. فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ..﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٧٦] فاتَّجَهَ نحو القمر، فأفَل هو الآخر: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان. ٧٨ و ٧٩] فالخالق لا يغيب عن الوجود ولا يكون مخلوقاً محدوداً في رقعة من الكون.

ومن الآيات التي تدلُّ على وجود الله قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ [٦٤ سورة التغابن/ الآيات: ٢ ـ ٤] وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [٨٧ سورة الأعلى/ الآيات: ١ ـ ٥] ولقد ذَكَرَ اللّهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [٨٧ سورة الأعلى/ الآيتان: ١٨ و ١٩].

ومن الآيات العقلية على وجودِ الله ما ذكره الله في قوله: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [٤٥ سورة الجاثية/ الآيات: ٣ ـ ٦].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [٦٧ سورة الملك/ الآيتان: ٣٠ و ١٩].

وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٦٤].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ

وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [١٣ سورة الرعد/ الآيات: ٢ ـ ٤].

هذا بَعْضُ ما جاءَ في كتابِ اللّهِ من الدلائل على وجودِهِ، فليس من المعقول أنْ يوجَدَ هذا الكون بما فيه من تلك الآيات العظيمة، المحْكَمَة الخِلْقَة، البالِغَة نهاية النظام والتنسيق والدقَّة؛ من غير خالق مُبْدِع أنشأها بهذه الصورة العجيبة المذهلة للعقول: ﴿.. مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [٦٧ سورة الملك/ الآيتان: ٣ و ٤].

لقد كان النبيّون من قَبْل يحتَجُّون على منكري الألوهية بمثل هذه الآيات، وكانوا يأتون مع هذا بآيات مؤقَّتة تجري على أيديهم، ولكن لما كانَتِ الرِّسالة المحمَّدِيّة آخر الرسالات، وهي الباقية إلى أنْ يَرِثَ اللّهُ الأرضَ ومن عليها، كانت أدلَّتُها باقِيَةً مع بقاء الرسالة، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [٤٥ سورة الجاثية/ الآية: ٦].

(ب) الله ووحدانِيّتُه:

بعد أنْ ذكَرَ اللّهُ لرسوله في سورة النَّمْل شيئاً من قِصَصِ بَعْض من الأنبياء الذين دعوا إلى التوحيدِ، كموسىٰ وداوود وسُلَيْمان وصالح ولوط؛ قال لنبيه: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ

مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيات: ٥٩ ـ ٦٥].

وقال جل شأنه يُسفِّهُ أحلامَ المشركين: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ١٨] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ .. أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآيات: ٢٨ ـ ٣٦ و ٦٦].

واحتج اللّهُ على الوحدانية كذلك بقوله: إنّهُ لو كانَ مع الله آلهةً أخرى لطَلَبُوا إلى مَنْ له الملك والربوبية سبيلاً بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم إلى بعض، ولابتغوا سبيلاً إلى إفساد مُلْكِهِ، ومعاندته في قُدْرَتِهِ، ومعلوم أن ذلك لم يكن، فلا إله إلا هو[1]، وهو قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآيتان: ٤٢ و ٤٣].

ويقول جلّ شأنهُ في موضع آخر: ﴿..وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيات: ١٨ ـ ٢٢] وطبيعي أنّه لو كانَ هنالك إلهان لجازَ أنْ يريد أحدهما شيئاً ويريد الآخر ضده، أو أن يفعل أحدهما شيئاً فيفسده الآخر، فتتعارض الإرادتان ويتضارب الفعلان، فيفسدُ المُلْك، وتضطرب أحوال الكَوْن، ولما كان هذا لم يَحْدُثْ، فيلزم من هذا ألا يكون إلا إلهٌ واحِدٌ، ولا إله إلا هو: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١١٧] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ ..﴾

(١) «الكشاف» ٢/ ٣٦٢ وكتاب «التسهيل» ٢/ ١٧٢.

[٦ سورة الأنعام/ الآية: ١٦٣].. ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [١٣ سورة الرعد/ الآية: ١٦].

دعا الرسول الكريم إلى الوحدانية كما فعل سائر النبيين، فنوح قال لقومه: ﴿.. يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ..﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٢٣].

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٦٥].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٧٣].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٨٥].

وإبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيتان: ٨٥ و ٨٦].

ويوسف قال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٣٩].

وموسى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٤٠].

والياس قال: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٢٥].

وقال المسيح: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ..﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٧٢].

وقال الله لخاتم النبيين: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦)﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآية: ٦].

وقال جلَّ شأنُهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ٣٦] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٢٥].

وذكر اللَّهُ عَبَدَةَ الملائكة الذين يزعمون أنهم بنات الله، وذكر كذلك عَبَدَة الجِنّ، وفنّدَ أقوالَهم، وبَيّن سفاهَةَ أحلامِهم، وقال لرسوله الكريم: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩)﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ١٤٩ ـ ١٥٩].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١) فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآيات: ٤٠ ـ ٤٢].

وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ

عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيات: ١٠٠ ـ ١٠٣].

ولقد افْتَرَتِ اليهودُ على الله كذباً، فقد عبدوا عُزَيْراً (عِزْرا) الذي تقدّم ذكره من قَبْلُ، وكان يكتب لليهود كتباً ليهتدوا بها، وذلك بعد خروجهم من بابل إلى أورشليم بعد الأسْرِ وتخريب بابل على يد بُخْتُنَصَّر، ولقد تابَعَتِ النصارى اليهودَ، فعَبَدوا كذلك المسيح عيسى ابنَ مريم كما قدمنا، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ [(١)] قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا

---

(١) كان الآشوريّون يقولون: إن مَرْدُوخ هو ابن الله البكر، وكان الكلدانيون يقولون: إن حراراً هو ابن الله، وكانت الفرس تدّعي أنّ ابن الله البكر هو مترات. وكان الإسكندافيون قديماً يسمون ابن الله البكر تورا ابن الأب أودين. والابن عند الهندوس في المكسيك اسمه: باكاب ابن الأب بزونا. ويقول الهنود أن كرشنا هو ابن العذراء النقية الطاهرة ديفاكي، ويدعونها والدة الإله، وسكان سيام يقولون: إنّ العذراء، ولدت الإله المخلص كودم، وفي رأس كومورين أنّ الإله تيشاكا ولد المخلص سليفاهانا. ويقول الكساكيون والصينيون: إن بوطا حملته مايا العذراء، ويقولُ المصريون القدماء: إن هورس المخلص ولد من العذراء إيسيس. وكان الرومانيون القدماء يقولون: إن رومليوس مؤسّس رومة ولد من العذراء راسيلفيا. وهنالك من كانوا يقولون أن الإسكندر المقدوني ابن المشتري من الأم البشرية أولمبياش... إلخ. عن «العقائد والوثنية».

لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [٩ سورة التوبة/ الآيتان: ٣٠ و ٣١] وقال جل شأنه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١١٦] وقال: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآيتان: ٦٨ و ٦٩].

وقال جل شأنه: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآيات: ٧٢ ـ ٧٧].

ومن المناسِبِ هنا أن نقول: إنّ الكتابَ المقدّسَ عند اليهود يعْتَرِفُ بالوحدانية، فقد جاءَ فيه أن الله تعالى قال: اسمع يا إسرائيل! الربّ إلهنا ربٌّ واحدٌ، فتحب الرب إلهك من كلّ قَلْبِكَ، ومن كلّ نفسك، ومن كلّ قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها

اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك. (تثنية ٦: ٤ ـ ٩).

وهكذا تقرّر في ما يجب أن يعتقدوا أنَّ الوحدانية عقيدةٌ أبَدِيَّةٌ لا تزولُ.

وذكرتِ النصارىٰ في كُتُبِهِم أنَّ المسيح أيَّدَ هذه العقيدة التي جاءت في العهد القديم، فقد روى مرقص أن عيسىٰ كان يعلم اليهود: فجاء واحِدٌ من الكَتَبَةِ وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنّه أجابهم حسناً، سأله: أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أوّلَ الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الربّ إلهنا ربّ واحد، وتحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولىٰ، فقال له الكاتِبُ: جَيّداً يا معلم، بالحَقّ قلتَ، لأنّه الله واحد وليس آخر سواه. ومحبته من كلّ القَلْب ومن كلّ الفَهْم ومن كلّ النفس ومن كل القدرة.. فلما رآه يسوع أنّهُ أجابَ بعَقْلٍ، قال له: لست بعيداً عن ملكوت الله. (مرقص ١٢: ٢٨ ـ ٣٤).

ويذكرونَ أنّ المسيحَ قالَ لإبليس حين أخَذَه إبليس ليجرّبه ويعرض عليه مُلْكَ الدنيا كلّها لو سَجَدَ له، أنّهُ لا يسجد له لأنّ السجودَ لا يكون إلا لله وحده، قالوا: حينئذٍ قال له يسوع: اذهب يا شيطان! لأنّهُ مكتوبٌ للرّبِّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبده. (متى ٧: ١٠).

ونرى أنّ اللّهَ لو كان ثلاثة، وإذا كان التثليث هو العقيدة التي جاءَ بها موسى وعيسى، لقال عيسى: للثلاثة أقانيم آلهتك تسجد وإياهم وحدهم تعبد. أو لقال: إن إلهكم إله واحد وثلاثة أقانيم.

ولكن ما ذكروا أنَّ المسيح قالَهُ لإبليس، وما قاله الكاتب، هو نفس ما حكىٰ اللَّهُ تعالى عَنْهُ من قول المسيح أنّه لا إله إلا الله.

وجاء في إنجيل متّى كذلك أنّ المسيح كان يقول: وأمّا أنتم، فلا تدعوا سيِّدي، لأن معلمكم واحد المسيح، وأنتم جميعاً إخوة. ولا تدعوا لكم أباً - أي: إلهاً - على الأرض، لأنَّ أباكم - أي: إلهكم - واحد الذي في السماوات، ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح. (متى ٢٣: ٨ - ١٠).

ألا ترى أنّ المسيحَ يقول: ولا تدعوا لكم أبا - أي: إلهاً - على الأرض. أي متجسّداً على الأرض أو حالاً في جَسَدٍ أرْضِي. لأن أباكم - أي: إلهكم - واحد. لا شريك له، وهو الذي في السماوات، العليّ الكبير، وهكذا يشهد المسيح مؤكِّداً أنّه هو المعلم، أي: الرسول الذي أرسله الله ليعلمهم، ويعد هذا تصديقاً لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان: ٧٩ و ٨٠].

إنّ الكتابَ المقدَّسَ عند النصارى كما رأينا يقرِّرُ أنَّ المسيحَ رسولُ اللَّهِ كسائر الرُّسُل، ومن ذلك قولهم كذلك أن الناس لما رأوا الآية التي صَنَعها يسوعُ، قالوا: إن هذا هو في الحقيقة النبي الآتي إلى العالم. (يوحنا ٦: ١٤).

وهنالك تصريحٌ آخَرُ بالوحدانية ذَكَرَهُ يُوحنا في إنجيله، وهو أنّ المسيح يقول: إنَّ شَرْطَ الفَوْزِ في الحياة الآخِرَة هو الاعتراف بوحدانِيّة الله، وأنَّ المسيحَ رسولُ الله، والجملة التي نُسِبَ إليه قولها

هي بالنص: وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته (يوحنا ١٧ : ٣) وهكذا لم يقل المسيح: (إن الحياة الأبدية أن يعرفوكم أنكم ثلاثة أقانيم ممتازة امتيازاً حقيقياً، وأنكم جميعاً إله واحد) أو (إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله المكون من ثلاثة أقانيم، هي الأب والابن وروح القدس... إلخ) (وأن يسوع إله وإنسان، أو إله مجسّم، أو أن هو الأقنوم الثاني.. إلخ).

بل لقد شهد المسيح، حسب قولهم أنّ (الحياة الأبدية هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن المسيح رسول الله) وهو عَيْنُ ما يُؤْمِنُ به المسلمون.

ونضيف إلى هذا أنّ اللّهَ ذَكَرَ أنّ الجنّ، منهم من يؤمن بالوحدانية وينفي عن الله سبحانه الصاحبة والولد، قال جَلّ شأنه إنّهم قالوا: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [٧٢ سورة الجن/ الآية: ٣] وذَكَرَ اللّهُ أنّ الناسَ سَأَلَتْ رسولَ اللّهِ عن اللّهِ، فقال له الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [١١٢ سورة الأخلاص/ الآيات: ١ ـ ٤].

(ج) أسماء الله وصفاته وصفات أفعاله:

وسَمّىٰ اللّهُ نفسَهُ بأسماء، يطلق عليها عادَةً اسْمَ الصفات، وجاء في رسالة خاتم النبيين كذلك ذِكْرٌ لِصِفاتِ أفعاله[1]، وقد بَيّنّا في

(١) لله تعالى أوصاف شتّى، منها ما يستحقّه لنفسه، ومنه ما يتسحقّه لصفة تتعلّقُ به، وأسماؤه العائدة إلى نفسه هي هو، وما تتعلق بصفة له فهي أسماء له، ومنها صفات لذاته ومنها صفات أفعال، وهذا هو تأويل قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ أي: التسميات الحسنى، وأدخل القاضي أبو بكر =

المباحث السابقة ما جاءَ في رسالات هؤلاء النبيين مِنْ ذِكْرٍ لهذه الأسماء أو الصفات وما يلحقها من صفات أفعال الله، وسنرى هنا أنّ رسالَةَ خاتَمِ النبيّين فيها استفاضة وتوسّع لم يأتِ في كتب النبيين السابقين كما جاءَ في القرآن الكريم، إذْ إنَّ رسالة خاتم النبيين هي الرسالة الخالدة التي سوف تبقىٰ إلى آخِرِ الدَّهْرِ، وأنّها هي التي أكملت بها رسالة الإسلام.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٨] وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ..﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ١١] وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ(١) ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٨٠].

= ابن العربي عدّةً من الأسماء في أسمائه سبحانه، مثل: متمّ نوره، وخير الوارثين، وخير الماكرين، ورابع ثلاثة، وسادس خمسة، والطيب والمعلم، وأمثال ذلك؛ واقتدىٰ في ذلك بابن بَرّجَان (المتوفى سنة ٥٣٦) إذ ذكر في الأسماء (النظيف) وخرج عن ابن عباس أن النبي كان يقول في دعائه: «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وأمكر لي ولا تمكر علي»، وقال فيه: حديث صحيح، فعلى هذا جائز أن يقال: يا خير الماكرين امكر لي ولا تمكر علي... «الجامع لأحكام القرآن» ٧/٣٢٦ و ٣٢٧.

(١) قيل: الإلحاد يكون ثلاثة أوْجُه: أحدهما بالتغيير فيها كما فعله المشركون، وذلك أنّهم عدلوا بها عمّا هي عليه، فسمُّوا بها أوثانهم، فاشتقّوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان. والثاني: بالزيادة فيها، والثالث: بالنقصان منها، كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الله تعالى بغير أسمائه، ويذكرونه بغير ما ذكر من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به.. ومعنى الزيادة في الأسماء التشبيه والنقصان التعطيل، فإن المشبهة وصفوه بما لم يأذنْ فيه. والمعطلة سلبوه ما اتّصَفَ به. وسئل الشيخ أبو الحسن البوشَنْجي عن التوحيد، فقال: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات. «الجامع لأحكام القرآن» ٧/٣٢٨.

وَعَدَّ اللهُ بعضاً من أسمائِه في قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [٥٩ سورة الحشر/ الآيات: ٢٢ ـ ٢٤].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ (١٤)﴾ [٨٥ سورة البروج/ الآية: ١٤] ﴿.. وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٦٠] ﴿.. وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣٠] ﴿.. إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [٥٢ سورة الطور/ الآية: ٢٨] ﴿.. وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٢٥] ﴿وَٱللَّهُ.. غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٦٣] ﴿.. وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ٩٩] ﴿.. فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٤٩] ﴿.. إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [١١٠ سورة النصر/ الآية: ٣] ﴿.. وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ٢٨] ﴿.. إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٣٥ سورة فاطر/ الآية: ٣٤] ﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآية: ٤٧] ﴿.. وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآية: ١] ﴿.. إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ٥١] ﴿.. وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآية: ٢٦].

ونرى أنْ نضرب أمثلة من بعض الآيات الكريمة التي تَذْكُرُ اللّهَ فيها أسماء أخرى غير التي قدَّمْناها أو صفات لأعماله، من ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ (٥٤)﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٥٤] ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [١٣ سورة الرعد/ الآية: ٣٣]

﴿..إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [٨٦ سورة الطارق/ الآيتان: ١٥ و ١٦] ﴿..وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٥١] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ٨١].

ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [٣٣ سورة الأحزاب/ الآية: ٤٣] ﴿..وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ١٠٨] ﴿..وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ١٣٤] ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٦٠] ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٦] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآية: ٤٦] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [١ سورة الفاتحة/ الآية: ٢].

ومن ذلك قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآيتان: ٣٣ و ٣٤] ﴿..هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [٧٤ سورة المدثر/ الآية: ٥٦] ﴿..وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [٤٨ سورة الفتح/ الآية: ٢٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٩] ﴿..وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢١٢] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٩٨] ﴿.. وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٧٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ٢٦].

ومن قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان: ٣١ و ٣٢] ﴿.. وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ١٤٠] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآية: ٢٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ١٠] ﴿.. وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٣٥].

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ... وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيات: ٨٧ ـ ٨٩ و ١٢٩] ﴿.. وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٠٠] ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [٥١ سورة الذاريات/ الآية: ٥٦] ﴿.. لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ ..﴾ [٩ سورة الأنعام/ الآية: ١٥٢] ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ ..﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٢٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ١٧٨] ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ

مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ . . وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآيتان: ١٢١ و ١٢٢] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآيتان: ٦١ و ٦٢] ﴿. . مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ . .﴾ [٦٧ سورة الملك/ الآية: ٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [٦٧ سورة الملك/ الآية: ١٩] ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ . . قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ [٦٧ سورة الملك/ الآيات: ٢٠ ـ ٢٦ و ٣٠] ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآيات: ١ ـ ٣] ﴿. . وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٢٢] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ . .﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآية: ٥٨][(١)].

---

(١) راجع ١٠ سورة يونس/ الآية: ١١، ٤ سورة النساء/ الآيات: ٨٨ و ١٤٢ و١٤٣، ١٠ سورة يونس/ الآيتان: ١٠٢ و ١٠٣، ١٦ سورة النحل/ الآية: ٦١، ٥ سورة المائدة/ الآية: ٤١، ٤ سورة النساء/ الآيتان: ١٦٨ و ١٦٩، ٦ سورة الأنعام/ الآيات: ٤٤ و ٤٥ و ١١٠، ٧ سورة الأعراف/ الآيات ٩٩ و ١٨٠ ـ ١٨٣، ١٠ سورة يونس/ الآية: ٢١، ١٩ سورة مريم/ الآيتان: ٨٣ و ٨٤، ٣١ سورة لقمان/ الآية: ٢٤، ٣٩ سورة الزمر/ الآية: ٢٣، ٤١ سورة فصلت/ الآية ٢٥، ٤٢ سورة =

(د) الله وقدرته:

ولقد بَيَّنّا في المباحث السابقة أنَّ الله تعالى زَوَّد رُسُلَه بالآيات والمعجزات التي تُثبِتُ قدرتَهُ، بَيَّنّا كذلك أنَّ هؤلاء الرسل قد ذكروا لأقوامهم من آيات الله في الخلق ما يلفت نظرهم إلى هذه القدرة، كقول نوح لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ . . أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [٧١ سورة نوح/ الآيات: ١٠ و ١١ و ١٥ و ١٦] إلى غير ذلك مما بَيَّنّاهُ من قَبْلُ.

ومثل هذا قَوْلُ هودٍ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٦] وقول صالح لثمود: ﴿. . يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . .﴾ [١١ سورة هود/الآية: ٦١].

ولقد جاء في صحف إبراهيم وموسى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيات: ٤٢ ـ ٥٤].

وممّا جاء في بيان قدرة الله تعالى في عهد إبراهيم إحياء الموتى، قال تعالى؛ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ

= الشورى/ الآيتان: ٤٤ و ٤٦، ٤٣ سورة الزخرف/ الآيتان ٧٩ و ٨٠، ٤٥ سورة الجاثية/ الآية: ٢٣، ٦١ سورة الصف/ الآية: ٥، ٦٨ سورة القلم/ الآيتان: ٤٤ و ٤٥، ٣ سورة آل عمران/ الآية: ١٤٦، ٨٩ سورة الفجر/ الآيات: ١ ـ ١٤، ١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٤٤.

أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٦٠].

وممّا جاء من الأدلة على بيان قدرة الله تعالى إحياء المَيْتِ وعدم تغيّر الطعام الذي مر عليه مئة عام، وإحياء رجل[1] بعد موته مئة عام كذلك؛ قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٥٩].

ويبيّن اللّهُ قدرتَهُ تعالى في قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٥٥].

وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [١ سورة الفاتحة/ الآية: ٢] وقـــال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢٢] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [٢ سـورة الـبـقـرة/ الآيـة: ١١٧] ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ

---

(١) قيل: هذا الرجل هو عُزَيْر (عِزْرا)؛ وقيل: هو (إرميا بن حلقيا) راجع «جامع البيان» ٣/١٩ ـ ٢٢.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٦٤] ﴿.. بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١١٦].

وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢)﴾ [٨٠ سورة عبس/ الآيات: ٢٤ ـ ٣٢] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ (١٤) ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [٨٥ سورة البروج/ الآيات: ١٣ ـ ١٦].

وقال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا (٢٧)﴾ [٣٣ سورة الأحزاب/ الآية: ٢٧] وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآيتان: ٦٢ و ٦٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ..﴾ [٣٥ سورة فاطر/ الآية: ٤١] وقال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ..﴾ [٣١ سورة لقمان/ الآية: ٢٨]... إلخ.

(هـ) الله واليوم الآخر:

وجاء في رسالات النبيّين مِن قَبْلُ ذِكْرُ اليوم الآخر، وأن الله هو الذي يَملِكُ ذلك اليوم، وأن ذلك لمن دلائل وحدانيته، وجاء في رسالة خاتم النبيين تفصيل أكثر عن هذا، فقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٢١٠)﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢١٠].

وقــــال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ . وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان: ٨٣ و ١٠٩] وقال: ﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٥٦].

وقــال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ١٢٣] وقال: ﴿.. وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية: ٤٨] وقــــال: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [٢٤ سورة النور/ الآية: ٦٤] ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [٣٠ سورة الروم/ الآية: ١١] ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [٣١ سورة لقمان/ الآية: ٢٢].

وقــــال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [٣٢ سورة السجدة/ الآيتان: ٤ و ٥] وقــــال: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآية: ٧] ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآية: ١٤] وقال جَلّ شأنه: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآية: ٨٥] وقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [٩٦ سورة العلق/ الآية: ٨]

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ [٨٥ سورة البروج/ الآية: ١٣][1].

وذكر الله تعالى أنه جاء في صحف إبراهيم وموسى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآية: ٤٢].

(و) الله وأوامره:

وبيّنّا في مباحثنا السابقة أنّ الرسل والنبيين دعوا جميعاً إلى طاعةِ الله وامتثال أوامره، فلا طاعةَ لِمَنْ يأمُرَ بعِصْيانِ أوامر الله، أو كما يقال: لا طاعة لمخلوق في عصيان الخالق؛ ولنضربْ هنا مثلاً لأوامر الله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٨٣].

وقال جلّ شأنه لرسوله الكريم: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيات: ١٥١ ـ ١٥٣].

---

(١) لم نجدْ في أسفار العهد القديم الخمسة المنسوبة إلى موسى شيئاً عن اليوم الآخر، ولم نجد أثراً لذلك أيضاً في أكثر أسفارهم، وإنّما الآخرة عندهم هي العودة إلى أورشليم!

وذكر اللَّهُ أنّه أمَرَ بني إسرائيل في التوراة بهذه الأوامر العشرة، التي يقال: إنها هي الوصايا العشر الحقيقية التي أنزلها الله في كتاب موسىٰ، وفي الآية الأخيرة أمَرَ اللَّهُ أهلَ الكتاب أن يتَّبِعُوا رسالة خاتم النبيين التي هي الصراط المستقيم.

ومن أوامر الله قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٣٣]، ومن أوامره تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [٤٩ سورة الحجرات/ الآية: ١١] وقال جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ..﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية: ٣٠].

(ز) الله وحبه:

ولا شَكّ أنّ الرُسُلَ والنبيين قد دعوا جميعاً إلى حُبّ الله، فإنّ هذا الحبّ من أشدّ الأشياء ارتباطاً بتَوْحِيدِ الله، فإنّ المُؤمِنَ لا يحبُ سوىٰ الله، ولا يعدلُ عن حُبّهِ بحبّ سواه، ولقد أنزلَ اللَّهُ تعالى في كتابه الكريم آيةَ عامّةً تتعلّقُ بالدِّين الإسلامي الذي دعا إليه جميع الرسل والنبيين، كما قدّمنا، وينطوي تحت حكمها جميع الناس، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٦٥].

وتعترف اليهودُ والنصارىٰ أنّ كُتُبَهُم جاءَ فيها ذِكْرٌ لهذا الحُبِّ، ولقد ذكرنا من قَبْلُ أنّهُ جاء في سفر التثنية: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك.. (تثنية ٦: ٤) وذكرنا قول مرقص أنَّ واحداً من الكتَبَةِ سأل المسيح: أية وصية هي أول الكل؟ فأجاب يسوع: إنَّ أول الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى. (مرقص ١٢: ٢٨ ـ ٣٠].

ولنضرب مثلاً آخراً لما جاء عن حُبِّ اللّٰهِ في قِصَّةِ زكريا ويحيىٰ، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٩٠]، وجاءت إشارةٌ إلى هذا الحُبِّ في رسالة خاتم النبيين في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٧٧] فالضمير في حُبِّهِ يعودُ على الله[١].

ومحبَّةُ العبادِ لله عند جمهور المتكلِّمين نوعٌ من الإرادة، سواء قُلْنَا: إنها نفس الميل النابع لاعتقاد النفع، كما هو رأي المعتزلة، أو صفة مرجّحة مغايرة له كما هو مذهَبُ أهْلِ السُّنَّة، فلا تتعلَّقُ إلا بالجائزات، ولا يمكن تعلّقها بذاتِهِ تعالى، فمحبَّةُ العبد، له سبحانه إرادة طاعته، وتحصيل مراضيه، وهذا مبنيٌّ على انحصار المطلوب بالذات في اللذة ورفع الألم، ويقول بعض المتصوّفة: إن الكمال أيضاً

---

(١) أورد صاحب «التسهيل» رأياً بأن الضمير يعود على الله. كتاب «التسهيل» ١/ ٦٩، ونحن نؤيد هذا الرأي، لأنه المناسب في هذا المقام.

محبوبٌ لذاته، فالعَبْدُ يحبُّ الله تعالى لذاته، لأنَّهُ الكامِلُ المطْلَقُ الذي لا يداني كمالَهُ كمالٌ، وأما محبَّتُهُ وخدمته وثوابه فمرتبته نازلَة، ومحبَّةُ الله تعالى للعباد صِفَةٌ له عزَّ شأنه، لا تتكيَّف، ولا يحوم طائِرُ الفِكْرِ حول حماها، وقيل: إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي. والمراد بالمحبة في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٦٥] التعظيم والطاعة، أي: إنَّهم يسوّون بين الله تعالى وبين الأنداد المتَّخذة فيعظمونهم ويطيعونهم كما يعظِّمون الله تعالى ويميلون إلى طاعته[1]، ويعود الضمير كذلك إلى الرؤساء.

ويقول الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٣١].

(ح) الله والتوكل عليه:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [٦٤ سورة التغابن/ الآية: ١٣]، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [٣٣ سورة الأحزاب/ الآية: ٣] ﴿.. وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ ..﴾ [٦٥ سورة الطلاق/ الآية: ٣] وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ٢١٧ ـ ٢٢٠].

وقد كان النبيّون متوكِّلين على الله، ولنذكر أمثلة لذلك:

فقد قال نوح لقومه من قبل: ﴿.. يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى

---

(١) روح المعاني ج ١/ ص٣٥١.

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ..﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٧١].

وقال هود لقومه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٦].

وقال إبراهيم والذين معه: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٦٠ سورة الممتحنة/ الآية: ٤].

وقال يعقوب: ﴿..إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٦٧].

وقال شُعَيب والذين آمنوا معه: ﴿.. وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٨٩].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٨٤] وهذه الدعوة موجَّهَةٌ من موسىٰ إلى جميع بني إسرائيل، وطبيعي أنَّ هذا القَوْلَ قد قالَهُ جميعُ أنبياء بني إسرائيل، بما فيهم عيسى رسول الله، وقد بيّنا أنه كان رسولاً إلى بني إسرائيل إذ قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٤٩].

والتوكّل على الله مرْتَبِطٌ بعقيدَةِ التوحيد كل الارتباط كذلك، لأنها تعني عدم الاعتماد على أحَدٍ أو شيءٍ غير الله الذي لا إله إلا هو.

(ط) الله وخشيته:

والإيمان بالله ووحدانيته يقتضي خشية عذابه، واتقاء عقابه، قال تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآيتان: ٥١ و ٥٢] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ . . . يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [٨ سورة الأنفال/ الآيتان: ٢ و ٢٩].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [٦٧ سورة الملك/ الآية: ١٢] وقال: ﴿. . وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآيتان: ٣٤ و ٣٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [٥٩ سورة الحشر/ الآية: ٨].

ولقد دعت جميعُ الرسل والنبيين إلى تقوى الله، كما بيَّنَّا مِنْ قَبْلُ، ولنضرب في هذا المقام مثلاً لذلك، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٠٥ و ١٠٦].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآية: ١٢٣ و ١٢٤].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٤١ و ١٤٢].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٦٠ و ١٦١].

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٧٦ و ١٧٧].

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيتان: ١٢٣ و ١٢٤].

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ١٦].

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيتان: ١٠ و ١١].

وقال جل شأنه: ﴿..وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٣١].

وقال: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية: ٥٢].

(ي) الله وملائكته:

قال تعالى: ﴿..وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٧٦] وقال: ﴿..مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٩٨].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٨٠] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [٣٤ سورة سبأ/ الآيتان: ٤٠ و ٤١] ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيات: ٢٦ ـ ٢٨].

وقال جل شأنه: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآيات: ١٩ ـ ٢٢].

وذكر الله الملائكة المحاسبين في قولِهِ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [٥٠ سورة ق/ الآيتان: ١٧، ١٨].

وقال عن الحَفَظَةِ والقائمين بمُهِمَّةِ الموتِ من الملائكة: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٦١].

وقال في الملائكة الذين يستقبلون الموتى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآيات: ٣٠ ـ ٣٢].

وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [٤٧ سورة محمد/ الآية: ٢٧].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [٣٣ سورة الأحزاب/ الآية: ٤٣].

وقال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً

وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٧] وقال: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [٨ سورة الأنفال/ الآية: ١٢] وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ..﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية: ٧٥].

وقال: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [٦٩ سورة الحاقة/ الآية: ١٧] وقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [١٣ سورة الرعد/ الآيتان: ٢٣ و ٢٤].

ولقد جاءَ ذِكْرُ الملائكة منذ عَهْدِ آدم، ونعتَقِدُ أنّه ما من نَبِيٍّ إلا قد قَصَّ على قومه قصة آدم والملائكة، وذكر لهم أنهم عباد مكرمون، وذكر لهم شيئاً عن وظائفهم بالقدر الذي تسمح به رسالته.

وقد بَيَّنّا في المباحث الماضية كيف كانَتِ الأقوام تستنكر رسالات رسلها، بدَعْوى أنّهم بَشَرٌ مثلهم، وأنَّ الله لو شاء أن يُنَزِّلَ إليهم رسالةً ما لأرْسَلَها بواسِطَةِ مَلَكٍ من الملائكة، فبَدَهِيٌّ أن يَذْكُرَ المُرْسَلُون لأقوامهم أنّ الملائكة لا يمشون على الأرض مُطْمَئِنِّين كبني آدم.

ولقد قال الناس لخاتم النبيِّين نَفْسَ ما قالته الناس فيما مَضى لِرُسُلِهِم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ٨ و ٩].

(ك) الله وجبريل وميكال:

وجبريل وميكال مَلَكان من الملائكة جاء ذكرهما في قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ٩٧ و ٩٨].

وطبيعي أنّ جبريلَ كان معروفاً في رسالة المرْسَلِين من قَبْلُ، فهو مَلَكُ الوحي، وتدلُّ الآية الكريمة أنّهُ كان معروفاً عند اليهود، وذُكِرَ جبريلُ في كُتُبِ النّصارىٰ، من هذا ما جَاءَ في مَقام تَبْشِير المَلَكِ زكريا بولادة يحيىٰ، وتعجُّبه من أن يرزقَ بوَلَدِ وهو شيخ وامرأتُه متقدِّمَة في السنّ، قالوا: فأجاب الملاك وقال له: أنا جبريلُ الواقف قدّام الله، وأُرْسِلْتُ لأكلِّمك وأبشّرك بهذا. (لوقا ١: ١٩).

وجاء ذكر مِيكالَ في قولهم: وَأَمّا ميخائيل رئيسُ الملائكة، فلمّا خاصم إبليس محاجّاً عن جَسَدِ موسىٰ لم يجسر أنْ يُورِدَ حكم افتراء، بل قال: لينتهرك الربّ. (يهوذا ١: ٩).

(ل) الشياطين وإبليس:

وجاء ذكر الشّيَاطِين في رسالات الرُّسُلِ والنبيّين منذ عهد آدم ورسالته، كما قَدّمنا، وأنّها مخلوقَةٌ من النار، وقد حَذّرَ الرُّسُلُ والنبيُّون أقوامَهُم من الشّيَاطِين، طبيعيّ أنّهُم أخبروهم بِقِصّةِ آدم وما حَدَثَ فيها من رَفْضِ إبليس السجود لآدم تكبُراً واستعلاءً، وذكروهم بتوعُّدِ إبليس بإضْلالِهم وصَرْفِهِم عن توحيدِ الله، وقَصْرِ العبادة عَلَيْهِ.

وممّا جاءَ في رسالة خاتم النبيين قولُهُ تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ

مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [١٦ سورة النحل/ الآيات: ٩٨ ـ ١٠٠] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [٣٥ سورة فاطر/ الآية: ٦].

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ٦ ـ ١٠] وقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ٣٧ ـ ٣٩] وقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [١٧ سورة الشعراء/ الآية: ٥٣].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآية: ٢٢].

وجاءَ ذِكْرُ الشياطين في كُتُبِ اليهود والنصارىٰ، من ذلك الرواية التي قَصَّتْها النصارىٰ مِنْ أنّ إبليس أخذ عيسىٰ ليجرِّبَهُ مما ذكرناه آنفاً.

ومما جاء في الجنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ

يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [٧٢ سورة الجن/ الآيات: ١ ـ ١٥].

ومن ذلك يتَّضِحُ أنّ الإيمان بوجود إبليس والشياطين والجِنّ ومعرفة أصْلِهِم، والشيء الذي خُلِقُوا منه، ووظائفهم، وعقائدهم، وكلّ ما يتَّصِل بهم؛ يتعلّقُ بعقيدَةِ التَّوْحِيدِ، وهو فَرْعٌ مِنْهُ، فإذا ما عَرَفَ النَّاسُ ما أرادَ أنْ يُبَيِّنَهُ اللَّهُ مِنْ شَأْنِهِم ازدادوا إيماناً برَبِّهِم، ووحَّدُوهُ ولم يُشْرِكوا الجنّ أو غيرهم في عبادته.

(م) الخَلْق أو الخليقة:

وجاء في رسالاتِ الرُّسُلِ والنبيين، كَمَا قدَّمْنا، إشاراتٌ إلى الخليقة، ليعلَم الناسُ أنّ اللّهَ واحِدٌ لا يشارِكُهُ في الخَلْقِ غَيْرُهُ، ولما كانَتْ رسالَةُ خاتم النبيّين تتمُّ بها رسالَةُ الدِّين، فقد أفاضَ في ذِكْرِ الخَلِيقَةِ، فقد آنَ للعالم أن يَتَنَبَّهَ من غَفْلَتِهِ، ويتأمّل في بدائع خلق الله، وأن يتعمّق في دراسة الكون وما فيه من العَظَمَةِ والدِّقَّة التي تلفتُ الأنظار إلى الخالِقِ، وتبهر المفكّرين فيخرُّونَ للأذْقانِ سُجَّداً للّهِ.

ومن آياتِ الخلْق قولُهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٣٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٧].

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآيات: ٩ ـ ١٢].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [٦٥ سورة الطلاق/ الآية: ١٢].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [٣١ سورة لقمان/ الآية: ١٠].

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٥٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآيتان: ١٩ و ٢٠] ﴿.. كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٢٩].

(ن) العَدَم:

ومن دلائل التوحيد أنّ اللّهَ بَدأ خَلْقَهُ من العَدَمِ، أي: من لا شَيْء، وهو ما جاء في قولِهِ تعالى: ﴿ بَدَأَ ﴾ [٢٩ سورة العنكبوت/ الآية: ٢٠] و: ﴿بَدَأَكُمْ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ٢٩] ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ ..﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٤] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [٣٦ سورة يس/ الآية: ٨٢].

وقد أخْبَرَ اللّهُ زكريّا مِنْ قَبْلُ أنّهُ خُلِقَ من لا شيء، فقد كان عَدَماً قبل أن يخلقه ربه: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [١٩ سورة مريم/ الآيتان: ٨ و ٩].

ونرىٰ أنّ جَمِيعَ الرُسُلِ والنبيين شملت دعوتُهم بيانَ ذلك، فقد ذكر كلٌ منهُم لقومِهِ أنّ اللّهَ هو الذي خَلَقَهُم، وما الخَلْقُ إلا إيجاد شيء كان معدوماً، وكان ليس له وجود قَبْلَ أن يوجَدَ.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [٧٦ سورة الإنسان/ الآية: ١] أي: لم يَكُنْ له وجودٌ، وإنْ كان في الوجود شيءٌ آخرُ موجودٌ سابقٌ له في الخَلْقِ، فقد سَبَقَ خلقَهُ خَلْقَ السّموات والأرض والجبال والماء وغير ذلك من الملائكة والجِنّ.

فاللّهُ خلق التُّرابَ أَصْلاً من العَدَمِ، ثم خَلَق آدَمَ من التُّرابِ، فكان آدَمُ قَبْلَ خَلْقِهِ من التراب عَدَماً، ثم خلق من آدَمَ ولدَهُ، فكان ولدُهُ قبل أن تتكون النطفة في أبيه عَدماً، وهكذا.

فعلى هذا الاعتبار كانَ قولُ المُرْسَلِين والنبيّين لأقوامهم: إنّ الله خَلَقَهُم، معناه: إنّهم كانوا قبل خَلْقِهِم لا شيء، وأنّ اللّهَ بَدَأَهُم من العَدَمِ.

وهذا البدءُ منصُوصٌ عنه في قِصَّةِ آدم، ثم قال نوح لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [٧١ سورة نوح/ الآيتان: ١٣ و ١٤] وقد جاءَ هذَا المعنى على لسان الرُسل والنبيين كما قَدّمْنا.

(٢) الوحي:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ... رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآيات: ١٦٣ ـ ١٦٥].

وقال: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ٥١].

وهكذا أوحىٰ الله تعالى إلى خاتَمِ النبيين بالقرآن الكريم كما أوحىٰ إلى الرسل من قبله بما أنزل إليهم من الكُتُب، وقال جَلّ شأنُهُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰٓ ..﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠٩].

ويبيّن اللّهُ تعالى أنّ الله يوحي إلى رسولِهِ، فينزل روحَ القُدس من الله بالوحي: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ١٠٢] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى

﴿زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [٢٦ سورة الشعراء/ الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٧].

وكان الروحُ ينزلُ على النّبِيّ وعلى مَنْ شاءَ اللّهُ من النبيين المصطفين، وهو قوله جلّ شأنه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ١٥] وقوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ٢].

وذكر اللّهُ أنّ النبيين بُعِثُوا جميعاً مُبَشِّرين ومُنْذِرين، وأَرْسَلَ معهم الكتاب الذي يحمل رسالَةَ الدِّينِ، فقال: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ..﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢١٣].

وذَمَّ اللّهُ مدَّعِي الوحْي والرسالة، مِنَ الَّذِين يُوهِمُونَ النَّاسَ أنّ الله يُوحِي إليهم، وأنّ لَدَيْهِم مثل ما في كتاب الله من هداية، فقال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٩٣].

(٣) القضاء والقَدَر:

وكانَ الرُّسُلَ جميعاً يُؤْمِنُون بالقضاء والقَدَر، ويتبيّن هذا من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ٣٦].

وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [٣٢ سورة السجدة/ الآية: ١٣].

وقـــال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيتان: ١٧٨ و ١٧٩].

ولقد قالَ نوحٌ لقومِهِ مِنْ قَبْلُ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [١١ سـورة هود/ الآية: ٣٤] وقال جَلَّ شأنه لخاتم النبيين: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ..﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٥٦].

(٤) اليوم الآخر والبعث والحساب:

لقد ذكرنا مِنْ قَبْلُ أنَّ أوّلَ شَيْءٍ خاطَبَ اللّهُ به البَشَرَ عندما أخرج آدمَ وزَوْجَهُ من الجَنّةِ قوله: ﴿.. ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٧].

وبيّنّا أنّ المُرْسَلِين والنبيّين قد بَعَثَهُمُ اللّهُ ليُذَكّروا النّاسَ باليوم الآخر والبَعْثِ والحِساب، وأرْسَلَ معهم المعجزات والآيات الدالة على صدقهم، ولقد بَيّن لنا اللّهُ أنّهُ ما مِنْ رَسولٍ إلا قد حَذّرَ قومَهُ لقاء الله، وبيّن لهم أنهم سَيُبْعَثون بعد الموت ليلاقوا جزاءهم.

وأمّا الآياتُ التي تدلُّ على أنّ الرُسُلَ جميعاً حملت هذه الرسالة، فهي قوله تعالى:

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآيتان: ١٣٠ و ١٣١].

وقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [٣٦ سورة يس/ الآيات: ٤٩ ـ ٥٤].

وقــولــه: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [١٤ سورة إبراهيم/ الآيات: ٤٤ ـ ٥١].

يـقـول جـلّ شـأنـه: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ

﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآيات: ٤٥ ـ ٥٣].

ويقول: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٦ ـ ٩].

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ .. ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [١٦ سورة النحل/ الآيات: ٨٤ و ٨٥ و ١١١].

ويــقــول: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ

ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآيات: ٨٣ - ٩٠].

ويقول جل شأنه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [٤٥ سورة الجاثية/ الآيات: ٢٦ - ٣١].

ويلاحَظُ أنَّ هنالك تفاصيلُ عن اليوم الآخر والقيامة والحساب في رسالة خاتم النبيين لم يأتِ ذِكْرُها في رسالات النبيّين من قَبْلُ حسب ما جاءَ ذِكْرُهم في القرآن، كقولِهِ تعالى يُبيّنُ خروجَ النّاسِ من يوم البَعثِ: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ ..﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآيتان: ٧ و ٨] وكقوله عن الشهود: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآيتان: ٢٠ و ٢١] وكبيان قياس الأعمال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾ [١٠١ سورة القارعة/ الآيات: ٦ - ١١] إلى غير ذلك من التفاصيل

التي قد يكون النبيّون ذكروا بَعْضَها ولم يذكُرْها اللَّهُ عنهم اكتفاءً بالقرآن الكريم الذي أرادَ اللَّهُ تعالى أن يَحْتَوِي على كُلِّ ما أرادَ أن يُعْلِمَنا به عن ذلك اليوم.

(٥) جهنَّم:

وبيّنّا في المباحث السّابقة أنَّ الرُسُلَ والنبيّين خَوَّفُوا أقوامَهُم مِنْ جهنم ومِنْ ما فيها من نارٍ أُعِدَّتْ للعاصِين، وأنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مع النبيّين من المعجزات والبيّنات ما يُؤَيِّدُ صِدْقَهُم في إخبارهم عن جهنم، وأن جهنّم ليست خيالاً بل هي حقيقة من الحقائق، وأنّ الله وَعَدَ بها الذين يعصون أوامره، ويكذّبون رُسُلَهُ.

ونرى أن نَذْكُرَ في هذا المقام ما يُثْبِتُ أنّه ما مِنْ رَسولٍ إلا قد حذر قَوْمَهُ من نار جهنم، فقَدْ قالَ جلَّ شأنه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ . وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآيات: ٦٠ و ٧١ و ٧٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآيتان: ٤٩ و ٥٠].

وقال جل شانه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [٤٠ سورة عافر/ الآيات: ٧٠ ـ ٧٢].

وقال: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [٥٢ سورة الطور/ الآيات: ١١ ـ ١٤]. ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [٦٧ سورة الملك/ الآيات: ٧ ـ ٩].

وهكذا تخبر هذه الآيات الكريمة أنّ النبيين أنذروا قومهم لقاء هذا اليوم الذي سيكون فيه العذاب في نار جهنم، وطبيعيٌّ أن النبيّين ما كانوا ليخفوا هذا العذاب عن أقوامِهم، ذلك العذاب الذي سوف يَخلد فيه العاصُون المكذبون به.

ويلاحَظُ هنا كذلك أنَّ رسالة خاتم النبيين قد جاءَتْ فيها تفاصيل أوسع عن جهنّم، كحرق جلد أهل النار واستبدال هذا الجلد كلّما نضج، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ..﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ٥٦] وكوجود شَجَرَةٍ معيَّنة في النار يأكلُ منها أصحابُ جهنم، قال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأٓكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ٦٢ ـ ٦٧] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٤ سورة الدخان/ الآيات: ٤٣ ـ ٤٦] وهكذا.

(٦) الجنَّة:

وذكرنا مِنْ قَبْلُ كذلك أنّ النبيّين وعدوا أتباعَهم بالجنّةِ، وذكروا لأقوامِهِم أنَّ الجنّةَ جَعَلَها اللّهُ للمُتَّقِين، فإن أطاعوه أدخلهم جنّات النعيم ووقاهم عذاب الْجَحِيم، وممّا يبيّنُ أنَّ المرسلين جميعاً ذَكَرُوا الجنّةَ في رسالَتِهم واعتقدوا بوجودِها، وبيّنُوا لأقوامِهِم أنَّ الجنَّةَ حقيقةٌ من الحقائق التي لا يتطرّقُ إليها الشكّ، ووعدوا الذين يؤمنون برسالاتهم أن تكون الجنة نُزلُهم في الآخرة، هو قوله جلّ شأنه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآيات: ٤٢ ـ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ..﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآيتان: ٧٣ و ٧٤] وقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآيات: ١٠١ ـ ١٠٣].

وقال: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ .. أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآيات: ١٥ و ١٦ و ٢٤].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآية: ٣٠].

فهذه الآيات الكريمة تَذْكُرُ الّذِينَ يدْخُلون الجنّةَ، ممّن اتّبَعُوا المرسلين الذين وَعدهم ربُهم بها، منذ فجر الخليقة إلى أن يرث اللّهُ الأرضَ ومَنْ عليها، فكلّ نبي ورسولٍ بغير استثناء، قد صَدّقَ بالجَنّةِ وآمَنَ بوجودِها وعَرّفَ قومَهُ خَبَرَها، ووَعدَ متّبعيه بدخولها.

ولا يفوتُنَا أنْ نَذْكُرَ هنا كذلك أنّ ما ذَكَرْنَاهُ في الأبحاث السابِقة كانَ فيه ذِكْرُ الجنّةِ أو الثواب في الحياة الآخرة مُخْتَصراً حسب ما جاء في ذكر رسالاتِهم في القرآن، ومع هذا، فإنّ لَفْظَ الجنّةِ وحده يدلُّ على أنّ الحياة فيها ستكونُ حياةَ استمتاعٍ مشابهٍ لأقصى ما يتصوّر من الاستمتاع في الحياة الدنيا، فالجنّةُ لا بُدّ أنْ تكونَ فيها فاكهة، ولا بُدّ أن يكون في الجنة طيورٌ وغذاءٌ وطيْبٌ وماءٌ جارٍ، ورائحةٌ زَكِيّةٌ، تفوحُ من زهورِها وورودِها ورياحِينِها، وأزدية وملابس، واستمتاع جنسي مع الأزواج المطهّرة، وفيها كلّ ما تشتهي الأنفُس وتلذُّ الأعْين، ولا يتصوّر العقلُ جَنّةً ليس فيها هذه الأشياء[١]، وطبيعيٌ أنّ الرُسُلَ قد ذكرتْ ما في الجَنّةِ من خَيْرِ الأطعمة وألذّ الشراب.

---

(١) يعتقد النصارى أن الحياة الأخرى مجردةٌ من المادة.

وقد بَيَّنَ اللّٰهُ في كتابِهِ الكريم بَعْضَ التفاصيل التي لَمْ تُذْكَرْ في الكتب السابقة، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [٣٨ سورة ص/ الآيات: ٤٩ ـ ٥٤] إلى غَيْرِ ذلك من خَيْراتٍ يسْهُلُ الرجوعُ إليها في القرآن الكريم[١].

(٧) خلود العذاب والثواب:

ولقد ذَكَرْنا شيئاً عَنْ خُلودِ العذاب والثَّوابِ في رسالة النبيّين مِنْ قَبْلُ، ونستطيعُ أنْ نُضِيفَ جديداً في هذا المَقام، وهو ما ذَكَرَهُ اللّٰهُ من أنَّهُ كَتَبَ في التوراة أنَّ الذي يدخلُ النّارَ يخلد فيها، ذَكَرَ اللّٰهُ تعالى ذلك في مناسَبَةِ ادّعاء اليهود أنَّهُم لن يَلْبَثُوا في النار إلا أيّاماً معدودةً، فبيَّنَ اللّٰهُ خطأهم وافتراءهم عليه، وذَكَرَ أنَّ هذا لم يَأْتِ به رسولٌ ولا أتى به موسىٰ في صُحُفِهِ، وأكّدَ أنَّ الخلودَ في النارِ هو الحقّ الذي جاء بذِكْرِهِ المرسلون والنبيّون، وفي هذا يقول جلّ شأنه: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيتان: ٨٠ و ٨١] وقال جلَّ شأنُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم

---

(١) راجع مثلاً: ٣٧ سورة الصافات/ الآيات: ٤٠ ـ ١٦، ٥٢ سورة الطور/ الآيات: ١٧ ـ ٢٨، ٥٥ سورة الرحمن/ الآيات: ٤٦ ـ ٧٨، ٥٦ سورة الواقعة/ الآيات: ١ ـ ٤٠، ٧٦ سورة الإنسان/ الآيات: ٥ ـ ٢٢، ٨٣ سورة المطففين/ الآيات: ٢٢ ـ ٣٥، وغيرها.

مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٢٤].

وذكر اللَّهُ تعالى في آيَةٍ أُخْرَى أَنَّ الَّذِي جاء به المُرْسَلُون، وهو الحَقُّ، أَنَّ أصحابَ النَّارِ يَمْكُثُون فيها خالِدِين، بَلْ قد حُرِمُوا مِنَ المَوْتِ في النار حتى يسْتَمِرُّوا في العذاب إلى ما لا نهاية، ويؤخَذُ هذا مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآيتان: ١٦٨ و ١٦٩].

(٨) الذنب:

ولقد ذَكَرْنا من قَبْلُ أنَّ اللَّهَ يعاقِبُ على الذَّنْبِ، وأنَّ العِقابَ على الذَّنْب عَقيدَةٌ من العقائِدِ التي تؤمِنُ بها الرسلُ، وما مِنْ رَسُولٍ إلا قَدْ بَيَّنَ لِمَنْ أُرْسِلَ إليهم أنَّ اقترافَ الذَّنْبِ جريمةٌ يعاقَبُ عليها مُقْتَرِفُها، ولقد ضَرَبْنا الأمثلةَ على ذلك في الأبحاث الماضِيَةِ، وأن المغفرةَ ترجعُ إلى الله وحده دون سواه، فالله هو: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ ..﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٣] وقد أمَرَ اللَّهُ تعالى رسولَه الكريم أنْ يَدْعُوَ أُمَّتَهُ إلى تَرْكِ الإثم، ظاهرِهِ وباطِنِه، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ١٢٠].

(٩) الفتنة:

وجاءَ ذِكْرُ الفِتْنَة كعقيدةٍ في رسالات النبيين، وذَكَرْنا أنَّهُ علينا أن نؤمِنَ بوجودِ الفِتْنَةِ حتى نستطيعَ أنْ نُعِدَّ أنفسَنا لمقاومتها، وقد ذَكَرَ اللَّهُ تعالى شيئاً عن الفتنة في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيتان: ٩٧ و ٩٨].

وقال جلّ شأنه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾... وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [٨ سورة الأنفال/ الآيتان: ٢٥ و ٢٨].

ومما يؤخَذُ منهُ معنى الفتنة كذلك ما يؤخذ من قولِه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ١١٢] وفي هذه الآية الكريمة تعزيَةٌ للنَّبيِّ، فقد ذُكِرَ له أنَّ كُلَّ نبيٍّ من قَبْلِهِ جعل اللّهُ لَهُ أعداءَ، من شياطين الإنس والجنّ، يوَسْوِسُ كلٌ منهُما للآخر ليُحْدِثُوا فتنةً، والآيَةُ تدلُّ على أنّ كُلَّ النبيين مبْتَلُون بهذا، فقد جَعَلَ اللّهُ لهم أعداء من قَوْمِهِم يُؤْذُونَهُم بالجدال والخصومات، وبذلك يقولُ اللّهُ تعالى لرسوله: إنَّ الذي امتحنك به، لم تخصَّصْ به من بين النبيين وحدك، بل قد عمَّمْتُهُم بذلك لأبتليهم وأختبرهم مع قدرتي على منْع أذاهم، فلم أفعلْ ذلك إلا لأعرف أُولِي العزْمِ منهم من غيرهم[1].

(١٠) الجزاء:

وإنَّهُ لمن العقائد الإسلامية أنْ يُؤْمِنَ المسلمُ بأنَّهُ يُجازَىٰ على فِعْلِهِ، وقد ذكرنا أنَّ هذا مِمَّا جاءَ به النبيّون والرسل.

وقد جاءَ في شريعة إبراهيم وموسى أنَّ الإنسان لا يُحاسَبُ ولا يجازىٰ إلا حسبَ أعماله هو لا على أعمال غيره من سائر البشر، وإنَّهُ لَيسَ له إلاَّ ما قدَّمَتْ يداه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ

(١) «جامع البيان» ٨/ ٤.

﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [٥٣ سورة النجم/ الآيات: ٣٦ ـ ٤١].

ولقد جاءَ ذِكْرُ هذا الحكْم نفسه في شريعة خاتم النبيين، فقد قال الله تعالى لخاتم النبيين: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [٦ سورة الأعراف/ الآية: ١٦٤].

(١١) التوبة:

وأمّا عقيدَةُ التَّوْبَةِ، فإنّها مقرَّرةٌ كذلك من فَجْرِ الإنسانية، وجاءت في رسالة الرُّسل والنبيين كما ذكرنا مِن قَبْلُ، وما دعوة الرسل والنبيين أقوامهم إلى الرجوع إلى الله واتّقائه إلا دعوة إلى التوبة.

وذكرنا مِنْ قَبْلُ أنَّ فرعون موسىٰ عندما أوْشَك على الغَرَقِ: ﴿..قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٩٠] فقال له الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٩١] ويعني هذا أنَّ فرعونَ تابَ عندما أدركه الغَرَقُ، وأنَّ اللَّهَ لم يَقْبَلْ هذه التوبة لأنَّ التَّوْبَةَ لها شَرْطٌ في الدِّين، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآيتان: ١٧ و ١٨] وبذلك يُعَدُّ هذا الحكم حكماً عامّاً بالنسبة إلى عقيدة التوبة، وعقيدة يعتنقها النبيّون والمرْسَلون والمؤمنون.

وفي مثل ما تقدَّم يقول جلّ شأنه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [٣٩ سورة الزمر/ الآيات: ٥٤ ـ ٥٩] فالتوبةُ الَّتي آمَنَ بها المرسلون والنبيون هي التوبة التي يَتْلُوها من العمل الصالح ما يدلُّ على جدِّيَّتِها والإخلاص فيها. ولهذا يقول جل شأنه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ ..﴾ [٥ سورة الزمر/ الآية: ٣٩] ويقول: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآية: ٧٠].

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآية: ٧١].

(١٢) الاستغفار:

قال اللّٰهُ تعالى لرسوله الكريم: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [٤٧ سورة محمد/ الآية: ١٩] وقال: ﴿..وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ٦٤].

وقال نوحٌ لقومِهِ مِنْ قبل: ﴿..ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [٧١ سورة نوح/ الآية: ١٠].

وقال هود: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٥٢].

وقال إبراهيم لأبيه: ﴿.. سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [١٩ سورة مريم/ الآية: ٤٧].

وقال الأسباط لأبيهم: ﴿.. يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٩٨].

وقال لهم يعقوب: ﴿.. سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٩٧].

وقال يوسف لإخوته: ﴿.. لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ٩٢].

وقال سَحَرَةُ فرعون: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ..﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ٧٢].

وقال شُعَيبُ لقومه: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ ..﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ٩٠].

(١٣) الرسل:

ومن العقائد الدينية أنْ يؤمِنَ المسلمُ بجميع رُسُلِ الله، وأنْ يؤمِنَ كذلك الرسلُ بعضهم ببعض. ولقد أخذَ اللّهُ ميثاق النبيّن بذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ٨١].

وقد عَدَّ اللّهُ مَنْ يَكْفُرُ برسولٍ ويؤمن بآخر، أو ينكر رسالة

رسول من الرسل مع إيمانه بالآخرين، كأنَّهُ كذب الرسل جميعاً، وقد بَيَّنَّا هذا مِنْ قَبْلُ، ونكتفي هنا بذِكْرِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [٤ سورة النساء/ الآيات: ١٥٠ ـ ١٥٢].

بهذا آمَنَتِ الرُسُلُ، وإلى هذا دَعَتْ، ولقد رأيْنا كيفَ يذكر الرسلُ بعضُهُم بعضاً، وكيف كانَ بَعْضُهُم يبشِّرُ برسالة الرَّسولِ الآخر وبِمَقْدَمِهِ، بل لقد رأينا كيف يعاصِرُ رسولٌ رسولاً آخَرَ، فيؤمن به ويتعاون معه على أداء رسالته الإسلام.

(١٤) الله وكتبه:

ويتبع إيمان كلّ رسول بالآخر، إيمانُ كُلِّ واحِدٍ منهم بكتابِ الآخر، فيقولُ جَلّ شأنُه مثلاً: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٤٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ..﴾ [٦١ سورة الصف/ الآية: ٦].

ثم يقول اللّهُ تعالى لخاتم النبيين: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ..﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٤٨] ويقول: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ..﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيتان: ٣ و ٤].

ولقد رأينا كيفَ يَحكي اللّهُ تعالى في القرآن الكريم قِصَصَ الأنبياء ويذكُرُ كُتُبَهُم، كما بَيَّنَّا، ثم يقول لرسوله الكريم: ﴿..وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ..﴾ [٤٢ سورة الشورى/ الآية: ١٥].

(١٥) الحياة البرزخيّة:

ذكرنا عند الكلام عن العقائد في دِين آدم أنّ الحياةَ البَرْزَخِيّة حقيقةٌ من الحقائق التي يَجِبُ أن يُسَلِّمَ بها كُلُّ مسْلِم، وذكرنا هنالك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٢٤] وقلنا: إنّ هذا القول هو بيانٌ للحياة بعد المَوْتِ إلى أن يُنْفَخَ في الصور للمرة الأولى حيث تَفْنىٰ جميعُ الكائنات الحَيّة.

ولا شَكّ عندَنا أنّ هذه الحقيقة قد بَيَّنَها الرُسُلُ والنبيُّون لأقوامِهِم، وهنالك دليلٌ على أنّهُ جاء في التوراة خَبَرٌ عن هذه الحياة، إذ إنّ من غير المعقولِ ألاّ يَذْكُرَ اللّهُ لموسى ما يَفْعَلُهُ لفرعون وآله، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٤٦].

إن فرعونَ وهامان وآلَهُما يُعْرَضون على النار غدواً وعَشِيّاً قبل القيامة، فلا بُدّ أن يكون هذا العَرْضُ سابقاً ليوم القيامة، ولم يُعْرَضْ فرعون وهامان وآلُهما على النار عندما كانوا أحياء على وجه الأرض، فلا بُدّ أن يكونَ هذا العَرْضُ في حياةٍ وَسَطٍ بين الحياة الدنيا والحياة يوم النشور والحساب، إنّ هذه الحياة هي الحياةُ الضَّنْكُ السالفة الذِّكْر.

وقد أكّدَ الرسولُ الكريمُ خاتَمُ النبيّين هذه الحقيقة، فقد أخْبَرَهُ اللّهُ بوجودِها في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ

يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآيات: ٩٩ ـ ١٠١].

والمعروف أن البَرْزَخَ معناه الشيء بين الشيئين، قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [٥٥ سورة الرحمن/ الآيتان: ١٩ و ٢٠] وقال: ﴿۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [٢٥ سورة الفرقان/ الآية: ٥٣] ولهذا كانَتْ اسْمُ هذه الحياة الوسط بالحياة البَرْزَخِيّة، لأنّها تَقَعُ بين الحياة الدُّنيا، ويوم البَعْثِ والنُّشورِ.

ولقد بَيّنَ اللّهُ تعالى لِرَسُولِهِ الكريم، خاتم النبيين أنّ هذه الحياةَ حياةٌ حقيقيّةٌ، وفيها تَنَعُّمٌ للمؤمنين الذين استقامُوا على الطريق المسْتَقِيم وماتوا وهم مجاهدون في سبيل الله، فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآيات: ١٦٩ ـ ١٧١].

ويلاحَظُ مع أنّ هذه الآية ذكر فيها الذين قتلوا في سبيل الله وحدهم إلا أنّها عامّةٌ، ونستطيع أنْ نستدلّ على هذه العمومية مِمّا جاءَ في آخر الخَبَرِ الذي ذكره الله تعالى عن هذه الحياة، وهو: ﴿..وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢ سورة آل عمران/ الآية: ١٧١] فهم يُؤْجَرُون بالتَّنَعُّم في الحياة البرزخية كإخوانهم الذين قتلوا في سبيل الله، ولقد قدّمنا أنّ من يُعْرِضُ عن ذِكْرِ اللّهِ كما جاء من قبل: لَهُ في هذه الحياة البَرْزَخِيّة ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٢٤] وهذا حكم عام، فيقابله الحكم العام، أن من تمسك بذكر الله له (معيشة طيبة).

وهنالك آية كريمة نَعْتَقِدُ أنّها تدلُّ على الحياة البرزخية كذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ١٠١].

لقد عَذَّبَ اللّٰهُ المنافقين فِعلاً في الحياة الدنيا على أيدي رسول الله والمؤمنين، فقد كَشَفَ اللّٰهُ لرسوله الكريم عن نِفَاقِهِم مرَّاتٍ عديدةً[1]، ومن لم يكشف الله لرسوله عَنه انضمَّ إلى الأعداء فناله مثل ما نال الأعداء، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ..﴾ [٩ سورة التوبة/ الآيتان: ١٤ و ١٥] ومنهم مَنْ ماتَ مُعَذَّباً بحقْدِهِ وغَيْظِهِ، وهو قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١١٩)﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ١١٩].

هذه هي المرّةُ الأولى من المرَّتَيْن اللَّتَيْن سيعذّبُ اللّٰهُ فيها

---

(١) قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون، لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ [٩ سورة التوبة/ الآيتان: ١٠٧ و ١٠٨].

وقال: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ [٦٣ سورة المنافقون/ الآيتان: ١ و ٢].

وقال: ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ٦٤].

المنافقين في قوله: ﴿..سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ..﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ١٠١]، فلا بُدَّ أنْ يكونَ العذابُ الثاني هو العذاب في الحياة البَرْزَخِيّة، فإنَّ الله تعالى قد قال: إنه بعد العذاب الثاني سيعذّبون عذاباً عظيماً، وليس هذا العذاب إلا العذاب في الآخرة: ﴿..ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ١٠١] فهذا عذابٌ ثالِثٌ بعد العذاب في الحياة الدنيا والعذاب البَرْزَخِي.

أما قوله تعالى: ﴿..وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [٣٥ سورة فاطر/ الآية: ٣٢] فمعناه: إنَّك لا تُسْمِعُهُم سماعاً يَنْفَعُهُم، وقد يَنْتَفِي الشيءُ بانتفاء فائدته وثمرته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ..﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٧٩] فليس معنى ذلك أنَّهم لا يسمعون الأصوات حقيقةً، أو لا ينطقون مطلقاً، أو لا يرون شيئاً ٱلْبَتَّةَ، بل المعنى أنَّهم بعدم إجابتهم لداعي الخَيْر وعدم أمْرِهِم بالمَعْرُوفِ، وعدم انتهاجهم الطريق الصالح عُدُّوا صُمّاً بُكماً عُمْياً.

وهكذا، جاء ذِكْرُ الحياة البَرْزَخِيَّة في كتاب آدم وفي كتاب موسى، وفيما أَنْزَلَهُ اللّٰهُ تعالى في وصف حال الكفار عامَّةً، فإذا كان ذِكْرُ هذه الحياة لم يذكرْهُ اللّٰهُ في القرآن الكريم حين ذكر قِصَصَ النبيّين والمُرْسَلِين في الآخرة، فلا يَمْنَعُ هذا أنهم ذَكَرُوهُ وبيَّنُوه للنَّاس، خصوصاً أننا عَلِمْنَا أنَّ اللّٰهَ تعالى لم يذْكُرْ أسماءَ جَميعِ المُرْسَلِين، واكْتَفَى بِذِكْرِ بعضهم، ولا يعني هذا أنَّنا غير مُلْزَمِين بالإيمان بهم، والإيمان بأنَّ العقائد التي جاءت في رسالاتهم هي نفس العقائد الدينية التي جاءت على لسان غيرهم من النبيين والمُرْسَلِين.

أهم المراجع

- القرآن الكريم.
- «جامع البيان في تفسير القرآن» تأليف ابن جرير الطبري المتوفىٰ سنة ٣١٠ هـ، والمطبوع بالمطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر سنة ١٣٢٨ هـ، على هامشه كتاب «تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للنيسابوري.
- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ، الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرىٰ ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠١ هـ.
- «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله أحمد الأنصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب سنة ١٣٥٤ هـ.
- البخاري بشرح الكرماني، المطبعة المصرية سنة ١٣٥٣ هـ.
- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر، المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٨ هـ.
- «صحيح مسلم».
- «الطبقات الكبرى» لابن سعد المتوفىٰ سنة ٢٣٠ هـ، المطبوع بدار صادر ببيروت سنة ١٣٧٦ هـ.
- «المعارف» لابن قتيبة الدِّينَوَرِي المتوفىٰ سنة ٢٧٦ هـ، المطبوع بالمطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٣ هـ.
- «البداية والنهاية» لابن كثير، مطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ.
- «إحياء علوم الدين» لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى في سنة ٥٠٥ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٨ هـ.
- «دائرة المعارف الإسلامية».
- «الأرض التي نعيش عليها» تأليف: روث مور، ترجمة: إسماعيل حقي، مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٦١ م.

- «العائلة البشرية» تأليف: الدكتور إبراهيم رزقانة، المطبعة النموذجية سنة ١٩٥٠ م.
- كتاب «العالم والمتعلم» للإمام أبي حنيفة النعمان، طبع المطبعة الحسينية في بلدة حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى.
- «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» للقاضي أبو بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني البقري المتوفى سنة ٤٠٣ هـ، المطبوع سنة ١٣٦٩ هـ.
- «حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله عن النسوة» تأليف: السيد محمد صديق حسن خان بهادر ملك مملكة بهوبال، طبع في مطبعة الجوائب قسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ.
- الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد.
- «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» للشيخ طنطاوي جوهري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأولى.
- «مرشد الطالبين» المطبوع سنة ١٨٦٨ م في مدرسة العلوم الأمريكانية في عبيّة إحدى قرى جبل لبنان.
- «موجز تاريخ العالم» تأليف هـ. ج. ويلز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ م.
- «تاريخ العالم» ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، المجلد الأول.
- «نهاية الأرب في فنون العرب» تأليف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النُّوَيْرِي، طبع دار الكتب.
- كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» للحافظ المفسِّر محمد بن أحمد بن جُزَي الكلبي، مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٥ هـ.
- «تاريخ الإسلام السياسي» تأليف: الدكتور حسن إبراهيم حسن، مطبعة حجازي سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥ م.
- «أطلس التاريخ الإسلامي» صنفه: هاري. و. هازارد، مطبعة مصر.
- «حياة محمد رسول الله ﷺ» تأليف: محمد رضا، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م.
- «التلمود أصله وتسلسله وآدابه» ترجمه عن العبرانية وشرحه الدكتور شمعون يوسف مويال، مطبعة العرب سنة ١٩٠٩ م.

- «فجر الإسلام» تأليف: أحمد أمين، مطبعة الاعتماد سنة ١٩٣٣ م.
- «قصة العقائد بين السماء والأرض» تأليف: سليمان مظهر، مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٦٢ م.
- «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للفخر الرازي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ م.
- «المسيح والتثليث» تأليف: الدكتور محمد وصفي، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٧ م.
- «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» للإمام محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ، مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٤ هـ.
- «العقائد الوثنية في الديانة النصراينة» تأليف محمد طاهر التنّير.

دليل مباحث الكتاب

المبحث الثاني
شيث وإدريس

المبحث الثالث
نوح والعقائد الدينية

المبحث الرابع
هود والعقائد الدينية

المبحث الخامس
صالح والعقائد الدينية

المبحث السادس
إبراهيم والعقائد الدينية

المبحث السابع
لوط والعقائد الدينية

المبحث الثامن

إسماعيل وإسحاق

المبحث التاسع

يعقوب ويوسف والعقائد الدينية

المبحث العاشر
الأسباط

المبحث الحادي عشر
أيوب

المبحث الثاني عشر
ذو الكفل (حزقيال)

المبحث الثالث عشر
شعيب

المبحث الرابع عشر
موسى وهارون

المبحث الخامس عشر
النبي الذي سألته اليهود أن يبعث لهم ملكاً يقودهم للقتال

المبحث السادس عشر
داود

المبحث السابع عشر
سليمان

المبحث الثامن عشر

إلياس

المبحث التاسع عشر

اَليسع

المبحث العشرون

يونس

المبحث الحادي والعشرون
زكريا ويحيى

المبحث الثاني والعشرون
المسيح عيسى ابن مريم

المبحث الثالث والعشرون

الإسلام دين التوحيد، وتعاقب الرسل وتواترهم

المبحث الرابع والعشرون

محمد رسول الله وخاتم النبيين